الجامعة الأمريكية المفتوحة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

أصول الإيمان (١)

تأليف

الدكتور/ صلاح الصاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى الدارس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. الإخوة والأخوات طلبة وطالبات الجامعة الأمريكية المفتوحة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..... وبعد:

فمرحباً بكم على طريق التفقه في الدين، وأهلاً بكم أوفياء لدينكم في زمن الغربة الثانية للإسلام، ونزف إليكم بشرى إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ أن: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يفعل، وأن من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً يسر الله له به طريقاً إلى الجنة.

عزيزي الدارس ..عزيزتي الدارسة: يطيب لنا أن نلتقي بكم مجدداً في مرحلة البكالوريوس مع مقرر **أصول الإيمان (١)**. وقد تم إعداد هذه المادة وتنظيمها في صورة وحدات تضم فصولاً، تحتوي كل وحدة على عناصر أساسية هي: (مبررات دراسة الوحدة ـ الأهداف التعليمية ـ الرسومات الخطية ـ الاختبار البعدي ـ الأنشطة التعليمية).

وإننا لنوصي إخوتنا وأخواتنا – طلبة الجامعة – بأن يسيروا في دراسة هذا المقرر وفقاً لنظام تصميم الوحدات الذي أعد به هذا الكتاب، ومحاولة تحقيق الأهداف التعليمية، وقراءة كل العناصر الأساسية في كل وحدة، والاستفادة من الرسومات الخطية الموجودة في بداية كل فصل، والإجابة عن أسئلة الاختبارات البعدية الملحقة بنهاية كل وحدة بمساعدة أستاذ المادة، وتنفيذ الأنشطة التعليمية الملحقة في نهاية كل وحدة، وذلك حتى يتحقق أكبر قدر من الاستيعاب والفائدة، والله تعالى هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

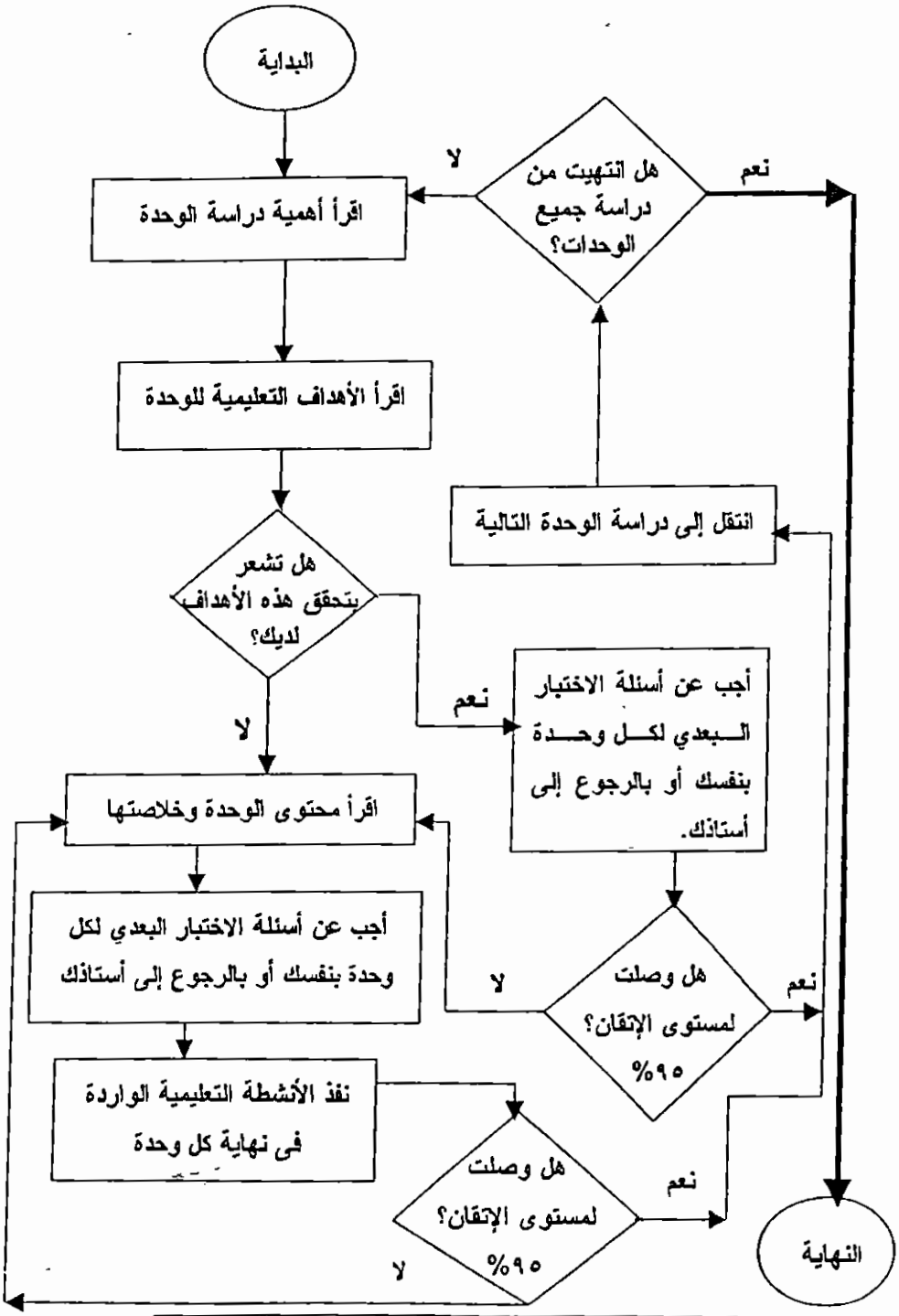

لوحة مسارية توضح كيفية السير فى دراسة وحدات الكتاب

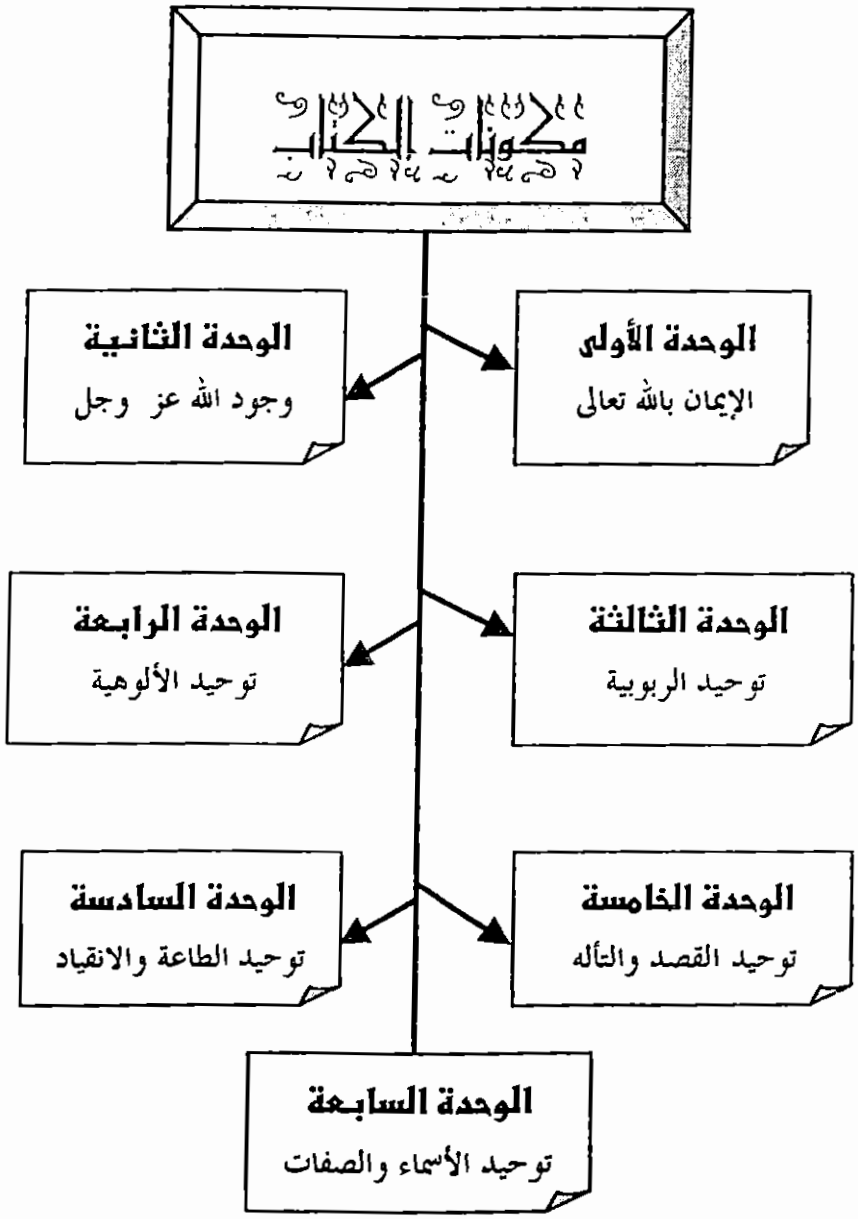
مكونات الكتاب
الوحدة الأولى
الإيمان بالله تعالى
الوحدة الثانية
وجود الله عز وجل
الوحدة الثالثة
توحيد الربوبية
الوحدة الرابعة
توحيد الألوهية
الوحدة الخامسة
توحيد القصد والتأله
الوحدة السادسة
توحيد الطاعة والانقياد
الوحدة السابعة
توحيد الأسماء والصفات

الوحدة الأولى
الإيمان بالله
تعالى

الوحدة الأولى : الإيمان بالله تعالى

أهمية دراسة الوحدة:

تأكيداً على أهمية وجوب الإيمان بالله على سائر العالمين فقد قال الله عز وجل : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ۞ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧]، كما أن الإيمان بالله من الفطرة لقوله ﷺ: "**كل مولود يولد على الفطرة**"، ولذا يعد الكفر والإلحاد أمرًا يطرأ على الإنسان، ولا يجبل عليه.

وعلم الإيمان بالله تعالى يعد أفضل وأشرف العلوم لارتباطه بمعرفة الذات العلية، والتماس الطرق الصحيحة للعبادة وإقامة شعائر الإسلام.

ومن ينظر في القرآن ببصيرة ثاقبة ويتمعن في قصة موسى وفرعون يتبين له أن أهل الإلحاد يكثرون الجدل بالباطل؛ حتى لا يدخلوا إلى حظيرة الإيمان، ومن أراد أن يؤمن حقاً فأمامه الكون وما فيه من آيات إن تفكر فيها بقلبه علم أن الله هو خالق كل شيء، وآمن وصدق به سبحانه وتعالى.

وكما أن لكل عامل أجراً فإن للإيمان - أيضاً - ثمرة يجنيها المؤمنون جزاء إيمانهم، من بينها النصر والتمكين في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

عزيزي الدارس: سوف تجني من خلال دراستك لهذه الوحدة بعضاً من ثمار الإيمان بالله عز وجل، فابدأ الآن في دراستها.

❁ الأهداف التعليمية للوحدة الأولى:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- تعرف أن الإيمان بالله تعالى هو الفطرة.

٢- تبين كيف أن الإلحاد شذوذ طارئ.

٣- تحدد لماذا يكون علم الإيمان من أشرف العلوم.

٤- تصف الطريق إلى الإيمان من خلال تدعيم ما تقول بالآيات والأحاديث والآثار.

٥- تعدد ثمرات الإيمان التي يجنيها المؤمنون في الدنيا والآخرة.

٦- تستخلص من خلال مطالعتك لكتب العقيدة أركان الإيمان بالله وفوائده، وصفات المؤمنين بربهم حقاً.

الوحدة الأولى
الإيمان بالله

أولاً: الإيمان بالله
هو الفطرة.

ثانياً: الإلحاد شذوذ طارئ.

ثالثاً: شرف علم الإيمان.

رابعاً: الطريق إلى الإيمان.

خامساً: ثمرات الإيمان.

أولاً الإيمان بالله هو الفطرة

إن الله تعالى قد فطر عباده على الإيمان به، وأخذ بذلك عليهم الميثاق في ظهر أبيهم آدم، ثم أرسل الرسل بعد ذلك مبشرين ومنذرين ليذكروهم بهذا الميثاق الأول وليردوهم إلى ما فطروا عليه من الإيمان بالله والإقرار بربوبيته.

قال تعالى مشيراً إلى فطر عباده على الإيمان: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]. فيخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه .

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠]، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بالفطرة في هذه الآية هو الإسلام .

وقال ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من

جدعاء »[1] ، ثم يقول أبوَ هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾، والمعنى أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه بعد أن ولد على الفطرة، كما تجدع البهيمة بعد أن خلقت سليمة.

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فكان مما جاء في خطبته: «**إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: كل مال نحلته عبادي حلال، و إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**»[2]

وقال ﷺ : « **يقال لرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟ فيقول: نعم، فيقول الله: كذبت، قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي** »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز: باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام: ١/٤٥٦ ح ١٢٩٢ ومسلم في كتاب القدر: باب معنى كل مولود يولد على القطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٤/٢٠٤٧ ح ٢٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/٢١٩٧ ح ٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء: باب قول الله تعالى ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة...** ﴾ ٢/١٢١٣ ح ٣١٥٦ عن أنس ﷺ .

ثانياً الإلحاد شذوذ طارئ

وإذا كـــان الإقرار بالإيمان هو الفطرة التي فطر الله عليها عباده فإن الإلحاد غاشـــية طارئة خرج بها أصحابها عن أصل الخلقة ومقتضى الفطرة، بل تخلفوا بها عن مواكب العقلاء، واستباحوا بها الاسترسال مع الأهواء والشهوات بلا حريجة مـــن ديـــن أو خلق، حتى قال بعض المفكرين واصفًا هذا الإلحاد: إنه إلحاد بطن وفرج، وليس إلحاد عقل وفكر !

ولا يصـــح إذن ما يزعمه الزاعمون من أن الإنسان الأول قد بدأ مشركًا يعـــبد التوتم ثم ترقى بعد ذلك حتى انتهى إلى التوحيد؛ لأن التوحيد ليس صناعة بشـــرية وإنمـــا هو هداية ربانية فطر الله عليها عباده، وأخذ بها عليهم المواثيق في ظهر أبيهم آدم، ونصب عليها من الدلائل في الأنفس والآفاق ما تقوم به الحجة عـــلى الـــناس كافة - حاضرهم وباديهم على حد سواء - هذا.. فضلاً عن أن الإنسان الأول هو آدم عليه السلام قد كان نبيًا من الأنبياء وحاشاه أن يشرك بالله .

ثالثاً شرف علم الإيمان

إذا كـــان شرف العلم بشرف المعلوم فلا يخفى أن علم الإيمان هو أشرف العلوم على الإطلاق لتعلقه بمعرفة الله تعالى وإفراده بالعبادة، والكفر بكل ما يعبد من دونه، مع ما يقتضيه ذلك من فعل الخيرات وترك المنكرات.

وإذا كانت أهمية العلم تتناسب مع ما يجلبه للإنسان من خير أو يدفعه عنه من شر، فإن علم الإيمان هو أهم العلوم على الإطلاق لما يترتب عليه من تحقق الحياة الطيبة في الأرض والفوز بنعيم الخلد وجنة الأبد في الآخرة، ولما يدفعه عن الإنسان من ضنك المعيشة في الأرض وعذاب الأبد في الآخرة .

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٦].

رابعاً الطريق إلى الإيمان

يتهم الكثير من الملاحدة واللادينين أهل الإيمان بأنهم مغيبون وواهمون، لأنهم يؤمنون بالغيب، ويعتقدون فيما لا تدركه الحواس، ويزعمون أن الإيمان بالله خرافة لا يقبلها علم ولا يسيغها منطق، لأنه لا يقع في إطار المدركات عن طريق الحواس، حتى قال بعض كبرائهم من رواد الفضاء: لقد فتشنا عن الله في الفضاء فلم نجده !!

وقد اتبع هؤلاء الملاحدة في هذه المكابرة سنن من كان قبلهم من خصوم الرسل وأعداء الإيمان ممن جعلوا رؤية الله جهرة أو الاستماع المباشر لكلماته شرطًا للإيمان.

ـ فقد حدثنا القرآن الكريم عمن جعلوا رؤية الله شرطًا للإيمان فقال تعالى عن فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٦- ٣٧].

وحدثنا عن بني إسرائيل فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٣].

وكما حدثنا القرآن الكريم عمن جعلوا من رؤية الله شرطاً للإيمان، حدثنا عن الذين جعلوا من سماعهم المباشر من الله – تعالى – شرطاً للإيمان فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨]، وفي قوله تعالى: ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إشارة إلى أن هذه المكابرة هي منطق الكافرين قديماً وحديثاً، وفي تذييل الآية بقوله تعالى: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ

لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ إشارة إلىَ أن الطريق إلى الإيمان بالله هو التدبر في آياته التي تدل عليه .

هـذا وإن شـبهة هؤلاء أوهى من بيوت العنكبوت لتعارضها مع الواقع المادي المستيقن الذي لا يملكون له دفعاً، فإنهم يؤمنون بوجود العقول المفكرة و لم يـروها، ويؤمـنون بوجود الجاذبية الأرضية و لم يروها، ويؤمنون بوجود أمواج الإذاعة و لم يروها، وإنما آمنوا بذلك كله لما يرون من آثاره، فقد آمنوا بالجاذبية لمـا يرون من آثارها في جذب الأشياء إلى الأرض، وآمنوا بالعقول لما يرونه من آثارها التي تظهر على سلوك العقلاء، وآمنوا بالهواء لما يرونه من آثاره في تحريك الأشـياء، وآمنوا بأمواج الأثير لما يرون من آثارها التي ظهرت أصواتاً في جهاز المذياع ... وهكذا.

ولـو تخـلى هـؤلاء عن صلفهم وعنادهم لعلموا أن أبصارهم التي لا تستطيع أن ترى الهواء الذي يلامسها والتي لا قبل لها بالنظر إلى الشمس لا قبل لهـا بالـنظر إلى الله جل وعلا في هذه الحياة الدنيا، ولقد طلب موسى – عليه السـلام – وهـو من أولي العزم من الرسل – رؤية ربه وهو في مقام العبودية والـتذلل فـلم يقو على ذلك، فأنى لهؤلاء المخذولين بذلك وهم في مقام العناد والمكابرة ؟!

قـال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا

تَجَلَّـى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَـيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعـراف: ١٤٣]، ولو تجلى الله لعباده في هذه الدنيا لأسرهم ذلك التجلي وظلت أعناقهم له خاضعين، وبطلت حكمة التكليف؛ لأن الإيمان عندئذ سيكون إجبارياً لا قبل لأحد بدفعه .

ولـو تخلـوا أيضـاً عن صلفهم وعنادهم لآمنوا بربهم عن طريق رسله الصادقين الذين عرَّفوا به ودعوا إليه وقدَّموا على ذلك من البينات والمعجزات ما تقـوم بمثله الحجة؛ كما يؤمنون بكثير من الأشياء التي لم يروها عن طريق إخبار من يثقون به من الأطباء والخبراء وغيرهم.

وكما وجد من الكفار من اشترط رؤية الله جهرة أو سماع كلامه مباشرة للإيمـان بـه فقد وجد منهم من اشترط لإيمانه أن يستجيب الله لمقترحاته، كما يقـول أحدهـم: إذا أراد الله أن أؤمن به فعليه أن يفعل كذا وكذا، وهذا شبيه بقول كفار قريش فيما يحكيه عنهم القرآن الكريم: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُـرَ لَـنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَـارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّـهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٠- ٩٢].

ولو جعل الله الطريق إلى الإيمان هو الاستجابة لمقترحات البشر لوجد من يشترط لإيمانه أن يجعل الله الليل نهاراً أو الشمس قمراً، أو الأرض سماءً أو الرجال نساء !! وتجد غيره يشترط نقيض ذلك، وتجد ثالثاً يشترط قتل فلان، أو إهلاك هـذه المنطقة، وتجد آخر بعكسه فيختل نظام الكون كله، وصـدق الله العظيم: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

إذاً.. فالطـريق إلى الإيمان بالله جل وعلا هو التدبر في آياته، وهي تقود كـل منصف إلى الإيمان بالله جل وعلا، وتسكب في قلبه برد اليقين بربوبية الله وألوهيـته على الكون كله، وانتقال الذهن منها إلى مدلولها بيِّن واضح كانتقال الذهـن من رؤية شعاع الشمس إلى العلم بطلوعها، وهو أمر من البداهة بحيث يستوي في إدراكه الناس قاطبة.

خامساً ثمرات الإيمان

لقد وعد الله عباده المؤمنين بباقة من الوعود الطيبة في الدنيا: كالحياة الطيبة والهدايـة والعـزة والـتمكين والنجاة، وولايته لهم ودفاعه عنهم ونصرهم على أعدائهم وعدم تسليط الكافرين عليهم، وهي وعود لا تزال مبذولة لكل من بقي على عهد الله وميثاقه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإني لأدعوكـــم - أعزائي الدارسين- إلى تأمل هذه المعاني من خلال هذه الآيات:

لقـــد وعد الله عباده بالحياة الطيبة فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

ووعدهم بالهداية فقال: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤].

ووعـــدهم بالعـــزة والتمكين فقـــال: ﴿ وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ [النور: ٥٥].

ووعدهم بنصرهم والدفاع عنهم وألا يجعل للكافرين سبيلاً عليهم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحج: ٨٣]، وقـــال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ١٤١].

هذا بعض ما وعد به عباده المؤمنين في الدنيا، أما ما وعدوا به في الآخرة فحسبهم قول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ

بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [يونس: ٩-١٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وإذا كان واقع المسلمين في هذه الأيام لم تتحقق فيه هذه الوعود فإن مرد ذلك إلى ما أصاب إيمانهم من الضعف، وما شاب اعتقاد كثير منهم من الخلل، وإن استمرار هذا الضعف ينذر بكارثة مروعة ! وقد يخسر أصحابه ما وعد به المؤمنون في الآخرة كما خسروا ما وعدوا به في الدنيا !

ومن هنا كانت أهمية دراسة هذه المادة، والتحقق بها علماً وعملاً واستفاضة البلاغ بها بين الناس قاطبة، فإن هذا هو أول الطريق لاستعادة الهوية، والخروج من شعاب التيه التي منيت بها الأمة تحت خيمة التغريب والعلمانية.

هذا وإن الإيمان بالله تعالى يتضمن أربعة أمور:

- الإيمان بوجوده تعالى.
- الإيمان بربوبيته.
- الإيمان بألوهيته.
- الإيمان بأسمائه وصفاته.

وسوف نتناول هذه الأمور تباعاً في الوحدات الآتية .

خلاصة الوحدة الأولى

- الإيمـــان بـــالله هو الفطرة : فقد فطر الله عباده على الإيمان به، وأخذ بذلك عليهم الميثاق وهم في ظهر أبيهم آدم ، ثم أرسل إليهم الرسل بعد ذلك مبشرين ومنذرين ليذكروهم بهذا الميثاق الأول.

- الإلحـــاد غاشية طارئة خرج بها أصحابها عن أصل الخلقة ومقتضى الفطرة ، حتى قال بعض المفكرين : إنه إلحاد بطن وفرج، وليس إلحاد عقل وفكر !

- علم الإيمان هو أشرف العلوم على الإطلاق لتعلقه بمعرفة الله تعالى ، وهو أهم العلوم على الإطلاق لما يترتب عليه من تحقق الحياة الطيبة في الأرض والفوز بنعيم الخلد في الآخرة .

- الطريق إلى الإيمان بالله هو التدبر في آياته التي تدل عليه .

- من ثمرات الإيمان: الحياة الطيبة والهداية والعزة والتمكين والنجاة ، وولاية الله لأصـــحابه ودفاعه عنهم ونصرهم على أعدائهم وعدم تسليط الكافرين عليهم، وعـــدم تحقق ذلك في واقع المنتسبين إلى الإسلام في هذه الأيام مرده إلى ضعف الإيمـــان، ولا ســـبيل إلى تحقيق هذه الوعود إلا بالعودة إلى الإيمان علمًا وعملاً، تصديقًا وانقيادًا.

الاختبار البعدي للوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيـــزي الدارس: ضع علامة (√) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- التوحيد أرقى مراحل التطور في الفكر البشري الذي بدأ بالشرك ثم انتهى إلى التوحيد.

٢- الفطرة هي التهيؤ والاستعداد لقبول التوحيد.

٣- معرفة الله تعالى، والاهتداء إلى وحدانيته مركوز في الفطر.

٤- أصل معرفة الله تعالى لا تتوقف على النظر والاستدلال العقلي، وإنما تزداد بذلك.

٥- أصل معرفة الله عز وجل يكتسبها العبد من النظر والتفكر في آيات الله.

٦- معرفة الله عز وجل من بدهيات العقول عند أصحاب الفطر السليمة وجمهور العقلاء.

٧- أصل العلم الإلهي فطري ضروري يلزم نفس العبد لزوماً لا يستطيع الانفكاك عنه.

٨- العـــوام مـــن أصحاب الفطر السليمة عندهم من العلم واليقين النافع ما لم يحصل لأئمة المتفلسفة والمتكلمين.

٩- مذهب أهل السنة والجماعة أن أول واجب على المكلف هو النظر في الأدلة الموجبة للإيمان.

١٠- الاعتقادات الباطلة من تهود وتنصر وتمجس لا تنافي أصل معرفة الله الفطرية.

١١- الفطـــرة قوة غريزية جبلية تتضمن معرفة الحق ومحبته، والهداية إلى الله على سبيل الإجمال.

١٢- الفطرة تهدي العبد إلى تفاصيل ما أمر الله تعالى به عباده.

١٣- الفطـــرة هي ذلك الشعور الغامر الذي يملأ على الإنسان أقطار نفسه، إقراراً بخالقه، وتألهاً له.

١٤- الفطرة التي فطر الله الخلق عليها لا تفسد مهما عرض لها من الباطل.

١٥- مفسدات الفطرة هي الشبهات التي تصدها عن اتباع الحق، والشهوات التي تصدها عن التصديق بالحق.

١٦- الفطرة -عند كثير من المفسرين- هي الميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده وهم في ظهر أبيهم آدم.

١٧- الإلحاد غاشية طارئة تخالف أصل الخلقة ومقتضى الفطرة.

١٨- إقـــرار أهل الملل الأخرى في دار الإسلام دليل على صحة تدينهم واكتفائهم بما بقي عندهم من مواريث أنبيائهم.

١٩- يعد علم أصول الإيمان أشرف العلوم لتعلقه بأشرف معلوم.

٢٠- يعد علم السيرة النبوية أشرف أنواع العلوم لتعلقه بحياة أشرف مخلوق وهـــو النبي ﷺ.

٢١- الطريق إلى الإيمان يتمثل في التأملات الفلسفية والمناظرات العقلية .

٢٢- الطريق إلى الإيمان بالله يتمثل في التدبر في آياته المتلوة وآياته المجلوة.

٢٣- الطـــرق القياســـية والرياضية تحقق من العلم اليقيني بالله ما لا يحققه الطريق الفطري الإيماني.

٢٤- معلوم علم الإيمان هو الله تعالى، ورسله، وقضايا الغيب.

٢٥- يعذر أهل الكفر في المجتمعات الغربية لغلبة المادية وعدم مشاهدتهم لمعجزات الأنبياء.

٢٦- الرؤى الصالحة ومشاهدة المعجزات هي الطريق إلى الإيمان.

٢٧- ضـــعف الأمة الإسلامية في هذا الزمان دليل على أن الغلبة للأسباب المادية وليس للاعتقادات الإيمانية.

٢٨- لم تتحقق وعود الله بالعزة والتمكين للأمة الإسلامية نتيجة لانشغالهم بفروض الكفايات من العلوم الشرعية عن فروض الأعيان.

٢٩- الإيمان بالله مشترك إيماني معاصر بين أتباع الملل السماوية.

٣٠- أتباع الملل السماوية الأخرى على طرف نجاة باعتبار الأصل السماوي لمللهم وما بقي عندهم من آثار أنبيائهم.

ثانياً: أسئلة المقال:

س١: يزعم بعض الباحثين أن الإنسان الأول بدأ مشركًا يعبد التوتم ثم ترقى بعد ذلك إلى التوحيد، فما مدى دقة هذا الزعم ؟ وكيف ترد عليه من خلال دلالة النصوص ودلالة التاريخ ؟

س٢: لماذا كان علم الإيمان أهم وأشرف العلوم قاطبة ؟

س٣: لم يـــزل المـــبطلون على مدار التاريخ يواجهون ر سلهم بسلسلة من العناد والاستفزازات، ويشترطون للإيمان شروطًا فاسدة. ناقش هذه العبارة ثم كر على هذه الاشتراطات الفاسدة بالنقض.

س٤: مـــا الدليل على فطر الخليقة على الإيمان؟ وهل يحاسب العباد على مقتضى ميثاق الفطرة ؟ أم على ميثاق الرسل ؟

س٥: ما السبيل الصحيح الذي يؤدي إلى الإيمان بالله ؟

س٦: "وعد الله عباده المؤمنين بباقة من الوعود الطيبة"

ما هذه الوعود ؟ و لم لم تتحقق في واقعنا المعاصر ؟ وما السبيل إلى تحقيقها ؟

س٧: اذكر ثلاثة كتب معاصرة تحدثت عن ميثاق الفطرة وميثاق الرسل.

س٨: كيف ترى حكم من لم تبلغهم الدعوة في المجتمعات الغربية ؟

النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

اكتب بحثاً تبين فيه فوائد وثمرات الإيمان بالله عز وجل من خلال المطالعة في كتب التوحيد والعقيدة.

الوحدة الثانية

وجود الله عز وجل

الوحدة الثانية
وجود الله عز وجل

أهمية دراسة الوحدة:

صـــفة الوجود من صفات الله، يقر بها كافة العقلاء من العالمين، إلا من زاغ عن الحق، مثل الملاحدة والدهريين، إذ أن كل مخلوق لابد له من خالق، وقد بيّن الله عـــز وجل أنه خالق كل شيء بقـــوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ [الزمر: ٦٢].

يؤمن بوجود الله من أبصر حقيقة الوجود، وتدبر في الخلق والكون، أما من لم يؤمـــن بالله فأمامه آيات الكون ودلائل القدرة الإلهية، وتنقسم هذه الأدلة إلى أنـــواع، فمـــنها دلالة الفطرة، ومنها دلالة الآيات الكونية ، ومنها دلالة الحس، ودلالة إجماع الأمم، ودلالة العقل.

وهناك بعض الشبهات للملاحدة واللادينيين حول فكرة الألوهية، وسوف تعرض هذه الوحدة لتفنيد هذه الشبهات والرد على أصحابها.

عزيـــزي الدارس: ابدأ الآن في دراسة هذه الوحدة التي تتناول الآيات الدالة على وجود الله تعالى.

❁ الأهداف التعليمية للوحدة الثانية:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- تقف على حقيقة وصف الله عز وجل بالوجود.

٢- تذكر بالتفصيل بعض الأدلة على ربوبية الله تعالى.

٣- تقارن بين كل من دلالة الحس ودلالة العقل على ربوبية الله تعالى.

٤- تناقش وترد على شبهات الملاحدة واللادينيين حول فكرة الألوهية.

٥- تجمع عددًا من المقالات حول وجود الله تعالى من خلال زيارتك للمواقع الدينية على شبكة الإنترنت، ثم تناقشها مع زملائك في الجامعة الأمريكية المفتوحة.

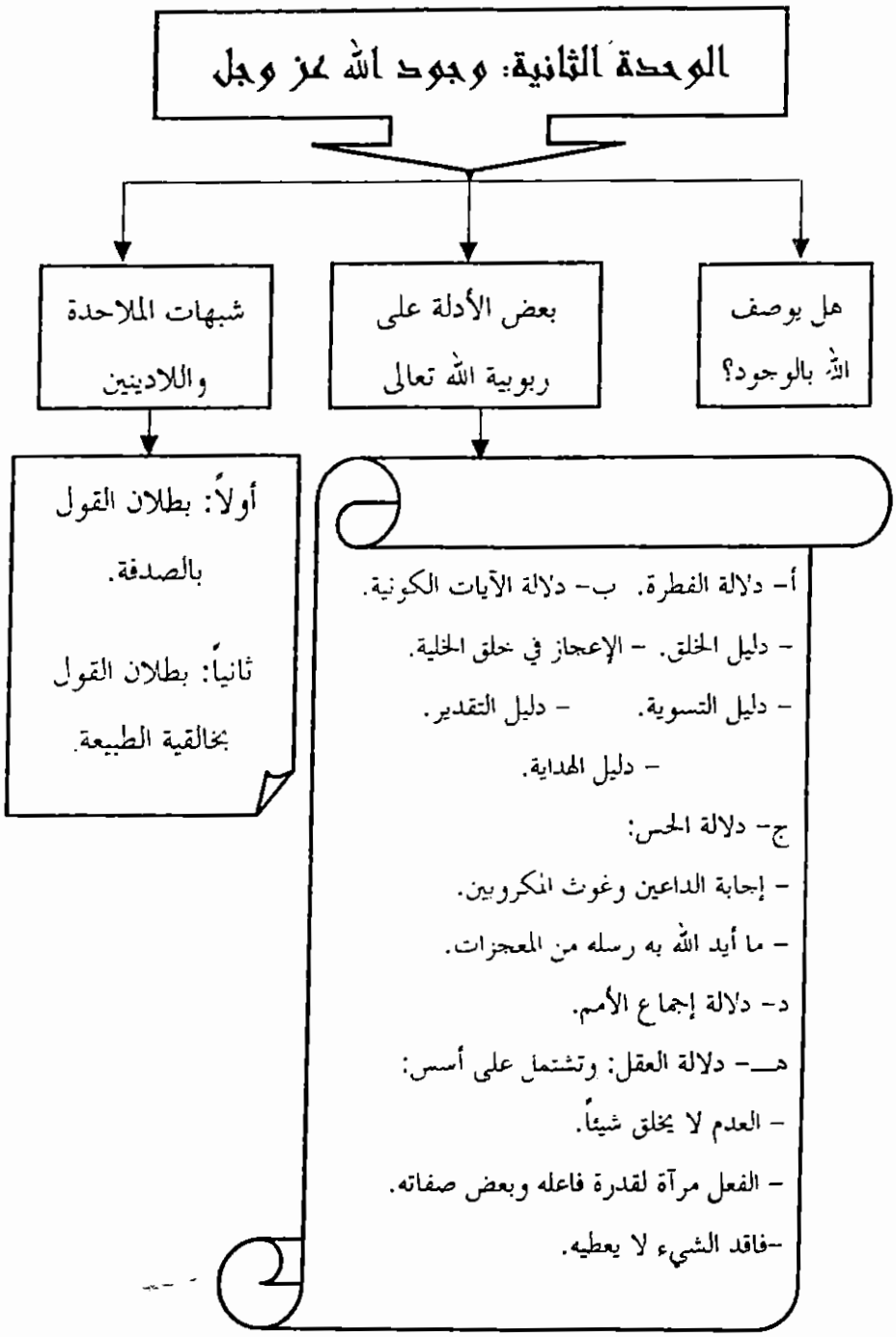
الوحدة الثانية: وجود الله عز وجل
هل يوصف الله بالوجود؟
بعض الأدلة على ربوبية الله تعالى
شبهات الملاحدة واللادينين
أ- دلالة الفطرة. ب- دلالة الآيات الكونية.
- دليل الخلق. - الإعجاز في خلق الخلية.
- دليل التسوية. - دليل التقدير.
- دليل الهداية.
ج- دلالة الحس:
- إجابة الداعين وغوث المكروبين.
- ما أيد الله به رسله من المعجزات.
د- دلالة إجماع الأمم.
هـ- دلالة العقل: وتشتمل على أسس:
- العدم لا يخلق شيئاً.
- الفعل مرآة لقدرة فاعله وبعض صفاته.
-فاقد الشيء لا يعطيه.
أولاً: بطلان القول بالصدفة.
ثانياً: بطلان القول بخالقية الطبيعة.

أولاً هل يوصف الله بالوجود

قبل أن نشرع في الحديث عن أدلة وجود الله عز وجل نبادر بالإجابة على شبهة قد تعرض حول وصف الله بالوجود، أو بأنه موجود، وما قد يجره ذلك من القول بأن له موجدًا باعتبار أن كل موجود لا بد له من موجد، فهل يليق وصف الله بذلك؟! فنقول: الوجود صفة لله جل وعلا بإجماع المسلمين، بل هو صفة لله عند جميع العقلاء حتى المشركين، لم ينازع في ذلك إلا الدهريون والملاحدة، ولا يلزم من إثبات صفة الوجود لله جل وعلا أن يكون له موجد؛ لأن الوجود نوعان:

ـ الأول: وجود ذاتي، وهو ماكان وجوده ثابتًا له في نفسه وليس مكسوبًا له من غيره، وهذا هو وجود الله عز وجل، فإن وجوده لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم، كما قال تعالى: ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الحديد:٣].

ـ الثاني: وجود حادث، وهو ما كان حادثًا بعد عدم مثل جميع المخلوقات، فهذا الذي لابد له من موجد يوجده وخالق يحدثه، وهو الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ [الزمر: ٦٢].

وعلى هذا فلا حرج في وصف الله تعالى بأنه موجود، ولا حرج في الإخبار عنه بذلك في الكلام فيقال: الله موجود، باعتبار أن الوجود صفة من صفاته وليس اسماً من أسمائه، والله أعلم.

وبعد، فإن الأدلة على وجود الله بعدد مخلوقات الله ! فكل ما خلق الله في السموات والأرض يحمل بذاته أبلغ الأدلة على وجود الله عز وجل، بدءًا من أصغر ذرة في الأرض إلى أكبر مجرة في السماء !

ولقد ظل الإقرار بالربوبية مركوزًا في فطرة الإنسان عبر التاريخ البشري، ولهذا لم يكن رسل الله بحاجة إلى أن يخوضوا معركة كبرى لإثباته لفرط وضوحه وبداهـــته، بل كانت تكفي الإشارة إليه والتنبيه عليه، ثم الانطلاق منه بعد ذلك لتقرير بقية حقائق التوحيد والإيمان.

ونحن لا ننكر أن شُذَّاذًا في تاريخ الأمم تنكروا لهذه الحقيقة وجحدوا بها، ولكنهم كانوا من الندرة والقلة، بحيث لا يشكلون ظاهرة عامة تتنـــزَّل من أجلها الكتب وتبعث من أجلها الرسل، ومن أجل ذلك خلت كتب السلف الصالح من التناول المفصل لهذه القضية وإفرادها بمؤلفات خاصة، فلم يكن للملاحدة من الوجود الفكري أو السياسي ما يحفز إلى التصدي والمواجهة.

ولكن شذاذ الأمس قد أصبحوا في هذا الزمن وإلى وقت قريب أمة قائمة يشيدون على الإلحاد الدول، ويبنون على أساسه الحضارات، بل ويقيمون له المعاهد العلمية التي تعمل على تأصيل الإلحاد وإعطائه صبغة العلم والتقدمية! وإن كان نجمهم قد أخذ مؤخرًا في الأفول بعد أن زالت إمبراطوريتهم ومزقوا في الأرض كل ممزق ! ومن هنا مست الحاجة إلى أن يهتم المسلمون بإبراز الآيات الدالة على وجوده جل وعلا، والتي تبرهن على كثير من أسمائه وصفاته، دحضًا لشبه المبطلين، وقيامًا بحجة الله على العالمين، وحماية للأمة من أن يصيبـــها رذاذ

هذا الإلحاد الفاجر، واستجابة لأمر الله لهم بالتدبر في ملكوت السموات والأرض.

وسوف نتناول في هذه الوحدة دلالة الخلق على الحق من خلال العناصر الآتية:

- دلالة الفطرة.
- دلالة الآيات الكونية.
- دلالة الحس.
- دلالة إجماع الأمم.
- دلالة العقل.

ثانياً بعض الأدلة على ربوبية الله

أ- دلالة الفطرة:

ويقصد بها ذلك الشعور الغامر الذي يملأ على الإنسان أقطار نفسه، إقرارًا بخالقه، وتألهًا له، والتجاءً إليه، لا يستطيع دفعه ولا يملك رده، فهو أشد رسوخًا في النفس من مبدأ العلم الرياضي كقولنا: إن الواحد نصف الاثنين، ومبدأ العلم الطبيعي كقولنا: إن الجسم لا يكون في مكانين، وغير ذلك من الحقائق والمسلمات.

قال تعالى: ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠]. وهو استفهام تقريري، يتضمن تقرير الأمم على ما هم مقرون به من أنه ليس في الله شك.

وإن هذه المعرفة الضرورية لمحض هبة من الله عز وجل لعباده، فهي ليست من صنع حجة أو قياس، ولم تنشأ عن نظر أو تفكر، بل هي أسبق من هذا كله، وأبلـــغ مـــن هذا كله ! لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، والحنيفية التي خلق عليها عباده كلهم، وهي التي كان يشير إليها كثير من السلف بقولهم: وإنما تزداد بذلك.

فعن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فكان مما جاء في خطبته:« **إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: كل ما نحلته عبادي حلال، و إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**»[1] .

وقال ﷺ : « **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** »[2] .

وإن هـــذا الإقرار الفطري بالخالق الحكيم ليولد مع الإنسان منذ البداية، ويظل يصحبه في مختلف أطوار حياته، ما لم تفسد فطرته وتنتكس بفعل العوارض والأهواء، فالكفر طارئ عارض، فإذا تاب منه صاحبه فقد رجع إلى الفطرة التي فطر عليها، وإلى الأصل الذي شذ عنه وخرج عليه.

---

(١) سبق تخريجه في ص: ١٢.

(٢) سبق تخريجه في ص: ١٢.

وهـــذه الفطرة عند كثير من المفسرين هي الميثاق الذي أخذه الله بربوبيته على بني آدم قبل أن يوجدوا، وجعل منه حجة قائمة عليهم لا يسعهم جهلها أو التنكر لها اعتذارًا بتقليد الآباء والأجداد. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُـــوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢- ١٧٣].

ولقـــد طابـــت نفوس العارفين بهذه المعرفة الضرورية الفطرية، وقرت بها عـــيونهم، وقـــنعوا بها عن أقيسة المناطقة والمتكلمين، حتى قيل لأحدهم يومًا: إن فلانًـــا من علماء الكلام قد أقام على وجود الله ألف دليل، فقال: لأن في نفسه ألف شبهة !

وقـــد قيل لابن عباس: بم عرفت ربك ؟ فقال: من طلب دينه بالقياس لم يـــزل دهره في التباس، خارجًا عن المنهاج، ظاعنًا في الاعوجاج، عرفته بما عرَّف بـــه نفسه، ووصفته بما وصف به نفسه !

فأخبر أن معرفة القلب حصلت بتعريف الله وهو نور الإيمان، وأن وصف اللسان حصل بكلام الله وهو نور القرآن.

وقد يحجب هذا الشعور الفطري إقبال الرخاء والعافية، أو سيطرة الذهول والغفلـــة، ولكـــن سرعان ما يتهاوى ذلك كله تحت مطارق الشدائد، فينقلب الملحد الكفور ضارعًا لربه منيبًا إليه !

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان: ٣٢].

وقد سأل رجل الإمام جعفر الصادق عن الله، فقال له: ألم تركب البحر؟ قال: بلى، قال: فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال: نعم، قال: وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال: نعم، قال: فهل خطر ببالك وانقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء ؟ قال: نعم، قال جعفر: فذلك هو الله.

وإن العتاة الغلاظ من أكابر الملاحدة والكافرين لم يستطيعوا دفع هذه الحقيقة عن أنفسهم، ولا جحدها بأفئدتهم، وإن جحدتها ألسنتهم ظلمًا وعلوًا، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾ [النمل: ١٤].

بل إن فرعون – على ما كان عليه من عتو وطغيان – لم يستطع أن يدفع عن نفسه هذه المعرفة الضرورية، وكان أول من يعرف عن نفسه كذبها في دعوى الألوهية، ويتجلى ذلك من مُحاجَّته لموسى، ومن قول موسى له فيما يحكيه عنه القرآن الكريم: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]

بل ومن قوله حين أدركه الغرق حيث لا ينفعه إيمان، ولا تقبل له توبة: ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠].

ب- دلالة الآيات الكونية:

إن في خلق السموات والأرض، وما بث فيهما من دابة لآيات بينات على وجود الله عز وجل تحرق كل شبهة، وتخرس كل كفور، وترغم كل مكابر ومعاند لما تتضمنه من الشهادة لله بالربوبية والألوهية على الخلق أجمعين، فهي بعددها أدلة على ثبوت خالقها جل وعلا.

وإن المتأمل في هذا الكون بما فيه ومن فيه يجد فيه أربعة أدلة رئيسة تهديه إلى الإيمان بالله، وهي أدلة: الخلق، والتسوية، والتقدير، والهداية، وقد أشارت إليها مجتمعة سورة الأعلى في قول الله عز وجل: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى: ١-٣]، وأشارت إلى بعضها آيات كثيرة في أماكن شتى من القرآن الكريم كقوله تعالى على لسان كليمه موسى وهو في مقام التعريف بربه: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: ٥٠]، وقوله

تعالى على لسان خليله إبـــراهيـــم: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨]، وسوف نتناول كل دليل من هذه الأدلة بكلمة مناسبة فيما يلي:

دليل الخلق:

دلـــيل الخلق من أبين الأدلة وأظهرها على وجود الرب جل وعلا، وقد صـــاغه القرآن الكريم أوجز صياغة وأبلغها في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥ -٣٦].

وقـــد روى البخاري في صحيحه عن محمد بن جبير عن مطعم عن أبيه قال: « سمعت رسول الله - ﷺ- قام يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ ﴾ كاد قلبي أن يطير »[1]، وإنما كان انزعاجه عند سماع هذه الآية كما يقول الخطابي لحسن تلقيه معنى الآية، ومعرفته بمـــا تضـــمنته من بليغ الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، واستشف معناها بزكي فهمه!

والخطـــاب القرآني في هاتين الآيتين يواجه الملحدين والمنكرين بهذه الحجة التي لا تملك العقول لها دفعاً، يقول لهم: إنكم لا تمارون في حقيقة خلقكم ولا في حقـــيقة خلـــق السموات والأرض، كما لا تُمارون في أن المخلوق لابد له من سبب لوجوده، وإذا تقرر ذلك فلا مناص لكم من الإقرار بوجود الخالق جل في عُلاه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن في سورة "والطور" ٤/١٨٣٩ ح ٤٥٧٣.

ولقد صاغ لهم هذه الحجة في هذه الأسئلة الإنكارية: هل خُلقوا من غير شيء فوجدوا بلا خالق ؟ وذلك في الفساد ظاهر لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الأمر فلابد له من خالق، فإذا أنكروا الإله الخالق، ولم يجز أن يوجدوا بغير خالق أفهم الخالقون لأنفسهم ؟ وذلك في الفساد أظهر، لأن ما لا وجود له كيف يخلق ؟ وكيف يجوز أن يكون موصوفاً بالقدرة ؟ وإذا بطل الوجهان معاً قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به.

ولقـــد أدرك هذه الحقيقة البدوي البسيط الذي عاش يرعى إبله في مجاهل الصحراء فكان يقول: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، أسماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ؟! يدلان على اللطيف الخبير؟!

كما أقر بها قادة العلوم التجريبية وأساطينها في واقعنا المُعاصر، وعبروا عنها بقانون السببية، وخلاصته أنه ليس لشيء من المُمكنات أن يحدث بنفسه من غير شيء، ولا أن يستقل بإحداث شيء؛ لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئاً لا يملكه.

ولم يـــزل عـــلماءُ المســـلمين يواجهون عُتاة المُلحدين بهذا الدليل البدهي فيُبهـــتون ويذعنون، فلقد روي أن أبا حنيفة رحمه الله عرض له بعض الزنادقة المنكرين للخالق فقال لهم: ما تقولون في رجل يقول لكم: رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة من الأثقال، قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مُختلفة، وهي من بينها تجري مستوية، ليس لها ملاَّح يُجريها ولا مُتعهد يَدفعها، هل يجوز في العقل؟! قالوا: هذا شيء لا يقبله العقل! فقال أبو حنيفة: يا سبحان

الله! إذا لم يجـــز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مُجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها، من غير صانع ولا حافظ ؟! فبكوا جميعاً وقالوا: صدقت، وتابوا.

وكلما اكتشف العلم جديداً من سنن الخلق كلما قاد هذا العلم المنصفين من رواده إلى الإقرار بوجود الله، وقد يسوق كثيرًا منهم إلى الانخلاع من الكفر والإجابة إلى الإيمان.

ولقد دعا القرآن الكريم إلى السير في الأرض والتدبر في الخلق ليستيقن المـــرتابون ويـــزداد الذين آمنوا إيماناً، فقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُـــرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١].

ولقد وعد الله عز وجل أن يري الناس من آياته في الآفاق وفي أنفسهم ما تقوم بـــه عليهم الحجة، وما يتبينون معه أن هـــذا الـــدين حق، فقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِـــنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٣٥].

وحسبنا في هذه الدراسة أن نلقي الضوء على آية أو أكثر من هذه الآيات المبثوثة في الأنفس وفي الآفاق، ثم نُحيل فيما وراء ذلك إلى كتاب الكون المفتوح والذي يتضمن من الأدلة على وجود الله بعدد ما فيه من مخلوقات الله..

فيا عجبًا كيف يعصي الإلـــه أم كيف يجحـــده الجاحد؟!

وفـــي كل شيء لـــــه آيـــة تـــدل على أنـــه الواحـــد

الإعجاز في خلق الخلية:

إن مُعظـــم الحـــيوانات والنباتات تتكون من عدد هائل من الخلايا كما يـــتكون المبنى من مجموعة من الحجارة المرصوصة، وهذه الخلايا سواء في جسم الإنسان أو في أجسام غيره من الكائنات الحية دائمة الانقسام وذلك لنمو الجسم أو تعويض ما يُفقد أو يموت من الخلايا.

ومن الإعجاز المدهش في هذا المقام أن جميع الخلايا تنقسم إلا نوعاً واحدًا وهـــو الخلايا العصبية التي يتكون منها المخ والجهاز العصبي، فإن عدد خلايا المخ عـــند ولادة الإنســـان أو الحيوان لا تزيد عليه خلية واحدة حتى الوفاة؛ لأنها لو انقســـمت فلـــن يُمكـــنها الاحتفاظ بشخصية الإنسان، وسوف تتلاشى معالم الذاكـــرة في خلال ساعات قلائل، فمن ذا الذي جعل للخلايا العصبية وحدها دون غيرهـــا مـــــن بقية الخلايا هذا الثبات من الميلاد إلى الوفاة ؟! من يا أولي الألباب ؟!

ويوجـــد في كـــل خلية من هذه الخلايا عدد من الصبغيات، وهي أجسام دقيقة تحمل العوامل الوراثية، وعدد هذه الصبغيات ثابت في خلايا كل نوع من أنـــواع الحـــيوان والنـــبات، فعددها في القطط يختلف عن عددها في الكلاب، وعددها في الكلاب يختلف عن عددها في الفيلة والأرانب، وهكذا.

وفي داخل الخلية الإنسانية يوجد ستة وأربعون من هذه الصبغيات، وعندما تنقسم هذه الخلية داخل الجسم البشري فإن كل خلية تحتوي على نفس العدد إذ لو اختل هذا العدد لما أصبح الإنسان إنساناً.

ولكـــن هذه القاعدة تتخلف في الخلايا التناسلية أي الحيوان المنوي للذكر والبُييضة لدى الأنثى، إذ أن عدد الصبغيات الموجودة في الخلية التناسلية لدى كل من الذكر أو الأنثى يبلغ ثلاثة وعشرين فحسب، أي نصف الأعداد الموجودة في بقـــية الخلايا. لماذا؟ لأن الخلية الذكرية لابد أن تندمج مع الخلية الأنثوية لتكوين الـــنطفة الأمشاج (الخلية الأولى في جسم الجنين) فإذا تم المزج بينهما رجع عدد الخلـــية الجديدة إلى العدد الأصلي وهو ستة وأربعون صبغياً نصفها من الحيوان المنوي ونصفها من البييضة !!

ترى من ذا الذي اختزل عدد هذه الصبغيات إلى النصف عند تكوين الخلايا التناسلية بالذات لكي تندمج فيعود العدد الأصلي في الخلية الأولى وفقاً للقاعدة العامة في سائر الخلايا؟! ألا يكفي هذا دليلاً على وجود إله خالق عليم أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؟! هل يمكن أن يقع هذا صدفة وهو الذي لم يتخلف مرة واحدة؟!

دليل التسوية:

وتســـوية الشيء إتقانه وإحسان خلقه وإكمال صنعته بحيث يكون مُهيئاً لأداء وظيفـــته، ويكون مستوياً مُعتدلاً متناسب الأجزاء ليس بينها تفاوت يُخل بالمقصود.

ويُعبر القرآن الكريم عن التسوية بعبارات مُختلفة الألفاظ، وإن كانت مُتقاربة الدلالة؛ كالإتقان والإحسان ونفي التفاوت و إعطاء الخلق ونحوه.

قال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧].

وقال تعالى: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، أي أعطاه من الخلق ما يصلح لما خُلق له.

وقال تعالى: ﴿ مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ [الملك: ٣].

وإذا كان الخلق يدل على وجود الله جل وعلا فإن دلالة التسوية على وجوده أظهر وأبين، إذ التسوية أخص من الخلق إذ قد يُخلق الشيء بغير تسوية، وهذه التسوية ظاهرة في الكائنات كلها، ولكنها في الكائنات الحية أظهر، وفي الإنسان – على وجه الخصوص – أظهر وأبين.

ـــ تأمل على سبيل المثال في خلق الأجنة، وانظر كيف خلق الله لها عيوناً وهي لم تزل في ظلمات الأرحام، وخلق لأجنة الطير أجنحة وهي لا تزال داخل البيض، والأجنة لا تستخدم العيون ولا الأجنحة في هذه المرحلة، ولكن الخالق العليم يُهيؤها بهذه العيون وبهذه الأجنحة لحياتها المُقبلة، فهو يعلم أن الأجنة ستتجاوز ظلمة الأرحام إلى عالم النور حيث تمس الحاجة إلى العيون، وستخرج من البيض إلى هذا الكون الفسيح حيث الحاجة ماسة إلى الأجنحة، فأعطاها خلقها وزودها بما تستقيم به حياتها.

ـ انظر إلى الأنف كيف أحكم خلقه ليتناسب مع وظيفته، فالهواء يدخل من ثقبين بين العينين لكن العليم الحكيم غطى هذين الثقبين بالأنف، وجعل النصف الأعلى من الأنف عظمًا، حتى لا تضغط الريحُ على هذا الغطاء، فتسد الثقبين، فيمتنع التنفس، كما يُشارك عظم الأنف في حماية العينين، وفتح الأنف باستمرار لدخول الهواء، إذ لو كان الأنف كله من عظام لما تمكنا من إخراج المُخاط، وجعل الخَالقُ جدار الأنف مائلاً لكي يصطدم الهواءُ بالجدار المَائل، فيَردَه إلى الحواجز الداخلية، ليصطدم بها، فيلامسَ الهواءُ الداخل المخاطَ المُبطِّن لجدار الأنف، فتلتصق به الجراثيم والأتربة، فيتصفى الهواء قبل دخوله... وفي الشتاء تتكاثر الدماء في الأنف، فتراه مُحمراً، وذلك لتدفئة الهواء الداخل، وفي الصيف يقوم الأنف بترطيب وتبريد الهواء الجاف، أو الحار.

ألا يشهد ذلك كله أنه من صنع العليم الحكيم ؟!

ـ تأمل في تفاوت قوة عضلات الجسد ستجد أن أقوي عضلات في جسم الإنسان والحيوانات الثديية هي عضلات الرحم لتتمكن من دفع الجنين، ولو لم تكن بهذه القوة لما خرج أول جنين إلى الوجود، وتلي عضلات الرحم في القوة عضلات القلب إذ لابد لها من القوة لتصمد للعمل ليلاً ونهاراً لدفع الدم إلى الأوعية الدموية.. فمن ذا الذي زود هذه العضلات بهذه القوة لتتمكن من أداء هذه الوظيفة.

ـ تأمل في التركيب الأساسي للعين وهو مدهش وشديد التعقيد، ولسوف تدرك أن آلة التصوير التلفزيونية ما هي إلا مُحاكاة بدائية لعملية الإبصار التي تتم عن طريق العين!

تـــأمل أولاً كـــيف حُميـــت العين من الخارج بسياج من عظام الحاجب والأنـــف والوجنة، ثم ارجع البصر كرتين في كيفية تهيئتها لأداء وظيفتها لتقف على العجب العجاب من صنع الله عز وجل !

إن حدقـــة العين تتسع تلقائياً في الضوء الخافت وتضيق في الضوء الساطع لحاجـــتها إلى كمـــية كبيرة من الضوء في عملية الإبصار في الحالة الأولى وعدم حاجتها إلى ذلك في الحالة الثانية.

وإن الشـــبكية تتكون من تسع طبقات مختلفة لا يزيد مجموعها عن سمك ورقـــة رقيقة، وإن الطبقة التي في أقصى قاع العين تتكون من الملايين من الأعواد والمخـــروطات منـــتظمة في تناســـب مُحكم يمكنها من أن تميز الألوان، ويتولى العصب البصري نقل هذا الإحساس إلى مركز مُعين في المخ يُترجم الإحساس إلى صـــورة مرئية تبصرها العين بوضوح، وإن كل هذه التنظيمات العجيبة لابد أن تعمل في وقت واحد وإلا لاستحالت الرؤية.

ـــ ومن الطرائف والعجائب أن البومة تستطيع رؤية الأشعة تحت الحمراء وهـــي أشعة حرارية لا يراها الإنسان، فتتمكن بها على سبيل المثال من أن تُبصر الفأر في الظلام الدامس عن طريق هذه الأشعة التي تبتعث من جسده الدافئ !

ـــ ومن العجائب كذلك قدرة النحل على رؤية الأشعة فوق البنفسجية، وهـــي الأشـــعة الوحيدة القادرة على اختراق السحب؛ لأن النحل قد يعيش في مـــناطق يكسوها السحاب مُعظم أوقات السنة، ورؤية الشمس ضرورية لمعرفة الحقول التي بها الغذاء، وبهذا يتمكن النحل من رؤية الشمس من خلال السحب فلا تموت جوعاً عندما تختفي الشمس خلف الغمام.

ـــ بـــل تمثل قول الله تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشـــية: ١٧] وتأمل في بديع خلق الإبل وكيف سواها الله عز وجل وهيأها لأداء الوظـــيفة التي خلقها لها، لقد أعطى الله الجمل الصورة الخلقية التي تلائم عيشته وأســـفاره الطويلة في الصحراء، فلهذا خُلق برقبة طويلة تُعلي رأسه وتنأى بعينيه عـــن غبار الرمال، كما مُنح شفة مشقوقة يستطيع أن يتناول بها أشواك البوادي دون أن تؤذيَـــه، وأعطـــي ســـناماً يخـــتزن فيه الدهن إن أعوزه الطعام يوماً في الصحارى القاحلة، و لم تنته رجله بحافر يغوص في الرمال كحوافر الخيل والبغال والحمير؛ بل انتهت بخف يقدر به على اجتياز الرمال دون أن يسوخ فيها، ولهذا سموه سفينة الصحراء.

ـــ تـــأمل في قرني استشعار ذكر البعوض تجد به شعيرات أطول من تلك الـــتي في قرني استشعار أنثاه، إن الأمر ليس لمجرد الزينة ولكنها أشبه ما تكون بمحطة استقبال إذاعي تستقبل الأصوات الخاصة التي تُحدثها أنثى البعوض وهي بعـــيدة عـــنه بعـــداً شاســـعاً، وهي أشبه بموجات الإذاعة، فيُحرك الذكر قرني استشـــعاره في شـــتى الاتجاهـــات ليلتقط هذه الأصوات على الرغم من وجود أصـــوات أخـــرى عديدة يموج بها الجو، وعن طريق زاوية قرن استشعاره يدرك الذكر غريزياً مكان الأنثى فيطير إليها ليتم التزاوج بينهما، ويتمكن البعوض من البقاء جيلاً بعد جيل.

ألا تدل هذه المظاهر – والكون حافل بها – على وجـــود الله جل وعلا وعلى بديع علمه وإرادته وقدرته وحكمته ؟!

دليل التقـديـر:

التقدير: هو خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب بحيث يتلاءم مـــع مكانه وزمانه، وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه.

فـــإذا كانـــت التسوية إعطاء كل شيء من الخلق والتصوير ما يُؤدي به وظيفـــته على الوجه اللائق به، فإن التقدير أن يكون بالقدر الذي ينفع في نفسه ولا يضر غيره ولا يصطدم بالمخلوقات الأخرى، وذلك يتم إذا ما وضع في مكانه الملائم وزمانه المناسب، وبالكم الذي يصلح ولا يفسد، وعلى الكيفية التي يتحقق بها التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه وينتظم بها سير الوجود.

وهذا التقدير ظاهرة عامة في كل شيء كما نبه القرآن على هذه الحقيقة إذ قال تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿ **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾ [الحجر: ٢١].

ولنتأمل معًا - عزيزي الدارس - بعض الظواهر الكونية التي تتجلى فيها آية التقدير والتي لا يملك المنصفون معها إلا أن يخروا لله سُجداً وبُكياً.

ـــ إن شمســـنا هـــذه لو أعطت نصف إشعاعها الحالي، لتجمدت الحياة والأحياء، ولو أنها زادت بمقدار النصف، لكنا رماداً منذ زمن بعيد.

ـــ ولو كان قمرنا يبعد عنا ٢٠٫٠٠٠ ميلاً بدلاً من بعده الحالي -ولم لا وقمـــر المريخ يبعد عنه ٦٠٫٠٠٠ ميلاً- لكان المد يبلغ من القوة بحيث إن جميع الأرض تُغمر مرتين في اليوم بماء متدفق يزيح الجبال من مواقعها !

ـــ ولـــو كان الأكسجين بنسبة ٥٠٪ أو أكثر من الهواء بدلاً من ٢١٪ فإن جميع المواد القابلة للاحتراق في العالم تصبح عرضة للاشتعال، لدرجة أن أول شرارة في البرق تُصيب شجرة لابد أن تُلهب الغابة كلها.

ـــ ولو كانت مياه المُحيطات حلوة لتعفنت وتعذرت الحياة على الأرض، حيث إن الملح هو الذي يمنع حصول التعفن والفساد.

ـــ ولو كان محور الأرض معتدلاً بدل هذا الميل الحالي الذي مقداره ٢٣ درجة مع سكون الأرض، لتجمعت قطرات المياه المتبخرة من المحيطات والبحار ونزلـــت في مكانين محدودين في الشمال والجنوب، ولظل الصيف دائماً والشتاء إلى الأبد، وهلك الناس وجميع الأحياء.

ـــ ولو كانت الأرض كعطارد لا يدير إلا وجهًا واحدًا منه نحو الشمس، ولا يدور حول محوره إلا مرة واحدة في خلال الدورة الكاملة للشمس، أو بتعبير آخـــر لو كان قسم من الأرض ليلاً دائماً والآخر نهاراً دائماً لما عاش أحد حيث الليل الدائم والنهار الدائم ولما كانت حياة.

ـــ بـــل لولا الموت ماذا يحدث؟ قالوا لو أن ذبابتين توالدتا هما وأولادهما دون مـــوت فإنـــه بعد خمس سنوات تتشكل طبقة من الذباب حـــول الكـــرة الأرضـــية ارتفاعهـــا ٥سم. وهذا جنس واحد من المخلوقات فكيف إذا كانت المخلوقات كلها تتوالد ولا تموت ؟!

ومـــن الطـــريف أنه منذ سنوات عديدة زُرع نوع من الصبار في أستراليا كســـياج وقائي، ولكن هذا الزرع مضى في سبيله حتى غطى مساحة تقرب من مســـاحة إنجلـــترا، وزاحم أهل القرى وأتلف مزارعهم، و لم يجد الأهالي وسيلة لصـــده عن الانتشار، وصارت أستراليا في خطر من اكتساحها بجيش من الزرع الصامت، يتقدم في سبيله دون عائق.

وطاف علماء الحشرات بنواحي العالم حتى وجدوا أخيراً حشرة لا تعيش إلا على ذلك الصبار ولا تتغذى بغيره وهي سريعة الانتشار وليس لها عدو يعرفها في أســـتراليا، وما لبثت هذه الحشرة أن تغلبت على الصبار ثم تراجعت و لم يبق منها سوى بقية قليلة للوقاية تكفي لصد الصبار عن الانتشار إلى الأبد.

ـــ ومـــن المعلـــوم أن كل الكائنات الحية تمتص الأكسجين وتلفظ ثاني أكســـيد الكـــربون، أما النبات فهو على العكس يستعمل ثاني أكسيد الكربون ويلفـــظ الأكسجين، فهناك تبادل مشترك بين الإنسان والحيوان من جانب وبين جميع النباتات والغابات من جانب آخر، وبدونه تنتهي حياتنا في دقائق معدودة، تُـــرى مـــن ذا الـــذي قدر هذا التناسق وأقام هذا التوازن، ووضع هذا النظام المُحكم؟! ألا يدل ذلك على وجـــود العليم الحكيم الذي يُدبر الأمر كله ؟ بلى ونحن على ذلك من الشاهدين.

دليل الهداية:

الهداية من أظهر الأدلة الكونية على وجود الله جل وعلا، ويقصد بها في هذا المقام أن كل خلق من مخلوقات الله قد ألهم غاية وجوده، وهدي إلى ما خلق

مـــن أجله، فهي الإلهام الفطري أو الغريزي الذي تتوجه به المخلوقات قاطبة إلى أداء دورها وتحقيق وظيفتها في هذه الحياة.

وهـــذه الهدايـــة عامة لا تتعلق بالمكلفين فحسب، وليست مقصورة على الكائنات التي تتحرك بالإرادة فحسب، ولكنها هداية مبثوثة في كل شيء في هذا الوجـــود لتحمل في طياتها أبلغ الأدلة على وجود الرب جل وعلا وبديع صنعه وتدبيره.

تـــأمل في أهـــداب الجفن الأعلى للعين ستجدها تنحني وتتجه إلى أعلى بخـــلاف أهداب الجفن الأسفل فإنها تنحني وتتجه إلى أسفل، ولو انعكس ذلك لتشوشت الرؤية.

تـــأمل في أسنان الفك الأسفل ستجدها تتجه إلى أعلى بينما تتجه أسنان الفـــك الأعلى إلى أسفل، وتأمل في الأنياب تنمو فوق الأنياب، والأسنان فوق الأســـنان، والأضراس فوق الأضراس، فمن ذا الذي هدى كل شعرة في الجفون وكـــل ســـن في الأفواه بحيث تؤدي دورها الـــذي خلقت من أجله في سهولة ويسر ؟!

فـــإذا انتقلـــنا إلى آيـــة الهداية في عالم الحيوان فإننا سنقف على العجب العجاب مما يذهل العقول والألباب، يتحدث ابن القيم في شفاء العليل عن هداية الـــنمل فيقول: إن حشرة المن التي يطلق عليها أحيانًا قمل النبات التي نراها على أوراق بعض النباتات يرعاها النمل ليستفيد منها، ففي الربيع الباكر يرسل النمل الرســـل لـــتجمع له بيض هذا المن فإذا جاءوا به وضعوه في مستعمراتهم حيث

يضعون بيضهم ويهتمون ببيض هذه الحشرات كما يهتمون ببيضهم، فإذا فقس بيض المن وخرجت منه الصغار أطعموها وأكرموها، وبعد فترة قصيرة يأخذ المن يدر سائلاً حلواً كالعسل كما تدر البقرة اللبن، ويتولى النمل حلب هذا المن للحصول على هذا السائل وكأنها أبقار.

وكما يعنى النمل بالرعي على هذا النحو يعنى كذلك بالزرع وفلاحة الأرض، فلقد لاحظ بعض العلماء في إحدى الغابات أن قطعة من الأرض تبلغ مساحتها خمسة أقدام طولاً في ثلاثة عرضًا قد نما بها أرز قصير يبلغ طوله ستة سنتيمترات، ويبدو للناظر أن أحدًا يعتني بها، فالطينة حول الجذور كانت مشققة والأعشاب الغريبة كانت مستأصلة، ولاحظ أن طوائف من النمل تتردد على هذه المنطقة، فعكف على ملاحظة هذه البقعة ثم لم يلبث أن عرف أن هذا النمل هو القائم بزراعة الأرز في تلك البقعة من الأرض، وأنه اتخذ من زراعتها مهنة له تشغل كل وقته، فبعضه كان ينسق الأرض ويحرثها، وبعضه كان يزيل الأعشاب الضارة، فإذا بدأ موسم الحصاد شوهد صف من شغالات النمل لا ينقطع متجهًا نحو العيدان فيتسلقها إلى أن يصل إلى حبوب الأرز، فتنزع كل شغالة من النمل حبة من تلك الحبوب وتهبط بها سريعًا إلى الأرض ثم تذهب بها إلى مخازن تحت الأرض، وساق من تفاصيل ذلك ما تذهل له العقول !!

والهداية في عالم النبات لا تقل عنها في عالم الحيوان، فليس من قبيل المصادفة البحتة أن يتجه جذر النبات نحو الأرض ليمد النبات بالماء والمواد اللازمة لنموه، وأن يتجه الساق إلى أعلى نحو الهواء؛ ليتمكن عن طريق الأوراق من

التـــنفس وتكوين المواد الغذائية عن طريق الطاقة المستمدة من الشمس، وحسبك أن كـــل نـــوع منه يمتص ما يناسبه من عناصر الأرض بنسب محدودة ومقادير معلومة رغم اتحاد التربة واختلاط العناصر فيها، فتجد اختلاف الطعوم والألوان والثمرات، بل ترى الشجرتين أو الشجرات متجاورة بل متلاصقة: التراب واحد والهـــواء واحـــد والماء واحد والضوء واحد ولا تخطئ شجرة واحدة منها يومًا فـــتأخذ مـــا لـــيس مـــن مخصصاتها، وصدق الله العظيم: ﴿ **وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [الـرعد: ٤] ترى من ذا الذي هدى الإنسان والحيوان والنبات وسائر المخلوقات على هذا النحو البديع المذهل؟! أجيبوا يا أولي الألباب !

جـ- دلالة الحـس:

ودلالة الحس على وجود الله تعالى من وجهين:

أولهمـــا: ما نشهده ونسمعه من إجابة الداعين وغوث المكروبين، وهو يـــدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال تعالى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَـــاهُ وَيَكْشِـــفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النمل: ٦١]، وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

بل إن إجابة الله جل وعلا لدعوة المظلومين والمكروبين من جنس ربوبيته لهـــم، فهـــو لا يـــرد دعوة المظلوم وإن كانت من كافر، وكثيرًا ما يجيب دعاء

المضـــطرين من المشركين ممن كانوا يخلصون له الدين في الشدة ويشركون به في الـــرخاء، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣ ــ ٦٤]، وكما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان: ٣٢].

ثانـــيهما: ما أيد الله به رسله من المعجزات، ودلالة المعجزة إحدى الطرق القرآنـــية في إثبات الربوبية، ذلك أن المعجزة كما تدل على صدق الرسل، فإنها تدل أيضًا على ربوبية المرسِل وألوهيته وذلك لما يأتي:

أولاً: أن المعجـــزة تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث، بل هـــي أخص من ذلك لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة، ولهـــذا يُسبَّح الرب عندها ويُمجَّد ويُعظَّم ما لا يكون عند المعتاد، ويحصل بها في الـــنفوس ذلة من ذكر عظمته ما لا يحصل للمعتاد، إذ هي آيات جديدة فتعطى حقها.

ثانيًا: أنه إذا تقررت بها النبوة والرسالة فقد تقررت بها الربوبية كذلك ؛ إذ لا يكون هناك نبي ولا رسول إلا وهناك مُرسِل، فالإقرار بالرسالة يتضمن الإقرار بالربوبية بلا نزاع.

ثالثًا: أن النبوة إذا ثبتت بالمعجزة، فقد صارت أصلاً في وجوب قـــبول جميع ما دعا إليه النبي من حقائق الربوبية والألوهية وغيرها.

وقد جاء القرآن بهذه الطريقة في قصة فرعون، فإنه كان منكرًا للرب جل وعلا، فحاجَّه موسى في ذلك، ثم عرض عليه الحجة البينة التي جعلها دليلاً على صدقه في كونه رسول رب العالمين، وفي أن له إلهًا غير فرعون، فاستدل بالمعجزة على كلا الأمرين: ربوبية الله جل وعلا، وكونه مرسلاً من عنده تعالى.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣- ٣٣].

فقد أقام عليه الحجة أولاً بالآيات التي يستلزم العلمُ بها العلمَ بالخالق جل وعلا، فلما عاند وكابر رده إلى دلالة المعجزة التي هي أبلغ في الدلالة على المقصود؛ ليثبت بها كلا الأمرين: الربوبية والرسالة.

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣- ١٤]. فبيّن أن المعجزة تدل على الرسالة والوحدانية، فإذا أثبتت المعجزة إحداهما فقد أثبتت الأخرى.

د- دلالة إجماع الأمم:

ومن الأدلة على وجود الخالق جل وعلا إثبات الأمم كلها له، وإجماعهم على ذلك، بحيث لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، اللهم إلا شذاذ وحثالات لا يعتد لمثلهم بخلاف، ولا يؤبه لمثلهم بقول.

وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين في الملل والنحل والآراء والديانات، فلم ينقل عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات، فضلاً عن إنكار الربوبية بالكلية، ولهذا فإن ظاهرة الإلحاد لم تكن فيما مضي إلا شذوذًا تخلف به أصحابه عن مواكب العقلاء، وهووا به إلى دركات سحيقة من الضلالة والبهتان !

هـ- دلالة العقل:

لقد دل القرآن الكريم على الأدلة العقلية التي بها يعرف الخالق وتوحيده وكثير من صفاته جل وعلا، ففي القرآن من بيان أصول الدين التي تعلم مقدماتها بالعقل الصريح ما لا يوجد مثله في كلام الناس، بل عامة ما يأتي به حذاق النظار من الأدلة العقلية يأتي القرآن بخلاصتها وبما هو أحسن منها، قال تعالى: ﴿ **وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً** ﴾ [الفرقان: ٣٣].

وقد أخطأ من ظن أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين بمجرد الخبر أو بطريقة خطابية، بل فيهما من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية ما يقوض كل شبهة، ويذهب كل ريبة، ويبني اليقين في النفوس بعيدًا عن سفسطة الفلاسفة وتعقيدات المتكلمين !

قال الرازي: تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.

هـــذا.. وقد سبق أن الأدلة على وجود الله بعدد مخلوقات الله، وأن هذه الأدلة المشاهدة في المخلوقات تقوم على أسس ثلاثة شهد بها العقل، ودل عليها الكـــتاب والســـنة، ولا يمكن لأحد أن يخالف فيها مهما كان دينه أو جنسه أو علمه.

فما هي هذه الأسس ؟ وكيف ترغم المكابر على الإقرار بوجـــود الله ؟ [مـــن الرواد الذين صاغوا هذا الدليل فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتبه حول الإيمان والتوحيد وفي مناظراته المثيرة مع الملاحدة واللادينيين].

الأساس الأول: العدم لا يخلق شيئاً:

فـــالعدم لا يخلق شيئًا، وهذه ضرورة عقلية وحقيقة شرعية، شهدت بها بداهة العقول، وأثبتها كتاب رب العالمين.

قـــال تعـــالى: ﴿ أَمْ خُلِقُـــوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥- ٣٦].

وكـــيف يمكـــن لعاقل أن يجحد هذه الحقيقة وقد شهد بها حذاؤه الذي ينتعله، والثوب الذي يلبسه، والسيارة التي تقله، والمظلة التي تقيه حر الشمس، بل وطعامـــه وشرابه وكل شيء حوله ؟! فهو لا يعقل وجود شيء من هذه الأشياء دون صانع أوجده وهيأه لما أعد له من منفعة.

وإننا إذا طبقنا هذا الأساس، وشاهدنا ما لا يحصى من الأحداث التي تقع كل يوم في هذا الكون الفسيح، أيقنت عقولنا بأن لكل فعل منها فاعلاً لا محالة.

الأساس الثاني: الفعل مرآة لقدرة فاعله وبعض صفاته:

ذلك بأن بين الفعل والفاعل علاقة قوية، فلا يكون شيء في الفعل إلا ولدى الفاعل قدرة على فعله، فإذا شاهدنا مصباحًا كهربائيًا عرفنا أن لدى صانع ذلك المصباح زجاجًا وأسلاكًا، وأن لديه قدرة على تشكيل الزجاج والأسلاك في الشكل الذي نراه في المصباح، وأن لديه خبرة بالكهرباء.

وإذا شاهدنا سيارة متحركة تسير في الطرقات المعبدة وتتحرك عند اللزوم، وتتوقف في المكان المعلوم، وتدور في المكان المعد للدوران، عرفنا أن سائق السيارة عاقل مفكر، وأن له إرادة حكيمة أحكمت توجيه السيارة، وأنه عليم بطرق قيادة السيارات.

وهكذا عرفنا شيئًا من قدرة الصانع والسائق وصفاتهما من الآثار المشاهدة لأفعالهما أمامنا، وبهذا كان الفعل مرآة لقدرة فاعله وبعض صفاته.

وقد دلنا القرآن الكريم على هذا الأساس العقلي، فحثنا على النظر في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله من شيء؛ لكي نتعرف من خلال هذا النظر على كثير من صفات الخالق الحكيم جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ

لَمُبْلِسِينَ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٤٨ -٥٠].

فظاهـــرة تكون المطر، ثم سوقه إلى الأرض الميتة، ثم حياة الأرض به من بعد موتها، تدل على وجود الصانع وعموم قدرته، خاصة على إحياء الموتى، كما تدل عـــلى رحمته - جل وعلا- ، ولهذا قال تعالى بعد ذكر هـــذه الظواهر: ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَـــى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، فالتعرف على بعض صفات الفاعل من خلال مشاهدة أفعاله وآثاره منهاج عقلي وشرعي، يحسه العقل بالضرورة، وتحث عليه النصوص الشـــرعية، وتعتمده أساسًا مهمًا تقيم عليه كثيرًا من حقائق الإيمان. وبتطبيق هذا الأساس نجد أن هذا الكون الكبير:

- يشهد بوجوده على أنه من صنع موجود دائم.
- وبعظمة تكوينه على أنه من صنع عظيم قدير.
- وبما فيه من حياة على أنه صنع حي دائم.
- وبما فيه من إحكام وتناسق وترابط على أنه من صنع حكيم عليم.
- وبنظامه الموحد وقوانينه الثابتة على أنه من صنع حاكم واحد مهيمن.

وبذلـــك تقدم لنا هذه المخلوقات شهادة يقينية على أنها من صنع موجود حكـــيم علـــيم عظيم قدير حي دائم لا يعجزه شيء، وبهذا نكون قد انتهينا إلى تقرير الملحد بوجود خالق حكيم عليم قدير عظيم حي مهيمن لا يعجزه شيء.

ثم نـــأتي إلى الأساس الثالث الذي يقوض آخر معقل للإلحاد ويأتي على بنيانه من القواعد.

الأساس الثالث: فاقد الشيء لا يعطيه:

وهـــذه ضرورة عقلية شهد بها العقل ودلت عليها النصوص الشرعية، فلا يعقل أن ينسب إلى الأخرس فصاحة اللسان، وحسن البيان، وإلقاء الخطب البليغة التي تأخذ بمجامع القلوب !

ولا يعقل أن ينسب إلى حيوان لا يعقل، أو إلى جاهل غبي لا يعلم، أنه قام بإطلاق مركبة فضائية لغزو الفضاء الخارجي والتعرف على كثير من حقائقه !

ولا يعقل أن ينسب إلى بدوي يعيش في مجاهل الصحراء، يرعى إبله وغنمه، أنه قام بإجراء عملية دقيقة في المخ لاستئصال بعض الأورام الخبيثة ! أو أنه ألّف كتابًا حول الذرة يشرح فيه بالوثائق العلمية كل ما يتعلق بها من حقائق !

كمـــا لا يعقـــل أن ينسب إلى حجارة صماء القدرة على الخلق والرزق والإحياء والإماتة، وإيصال النفع والضر إلى من تشاء.

قال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُـــمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ وَإِن تَدْعُوَهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَـــيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُـــمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُـــمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُـــرُونَ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٨].

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَراً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً ﴾ [الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً ﴾ [فاطر: ٤٠].

وإذا طبقنا هذا الأساس وجدنا أنه لا يوجد قط في هذه المخلوقات من يصح أن ينسب إليه الخلق؛ لأنه ليس فيها من يوصف بأنه الحكيم العليم الخبير العظيم المهيمن الهادي الحي الدائم الباقي !

فليس في الطبيعة المزعومة شيء من ذلك يؤهلها لأن ينسب إليها خلق أو تقدير إلا كما يصح أن ينسب إلى اللات والعزى أنها هي التي خلقت السموات والأرض، الأمر الذي لم يجرؤ على القول به أكابر المجرمين والمشركين على مدار التاريخ البشري كله !

وإذا لم يكن في المخلوقات ما يصح أن ينسب إليه الخلق، فقد تعين أن يكون خالق الكون هو غير الكون المخلوق أو الطبيعة المخلوقة.

قال تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

ثالثاً شبهات الملاحدة واللادينيين

لقد رد الملاحدة فكرة الربوبية من حيث المبدأ، ثم تفرقوا بعد ذلك شيعاً:

فمنهم من زعم بأن هذا الكون قد وجد صدفة بغير تقدير ولا تدبير!

ومنهم من نسب الخلق إلى الطبيعة، ثم تفرق هؤلاء بدورهم في تفسير هذه الطبيعة الخالقة:

- فمنهم من قال: إنها الكون نفسه بكل ما فيه.
- ومنهم من قال: إنها السنن والقوانين التي تحكم هذا الكون.

وسوف نناقش هذه الشبهات - عزيزي الدارس - في الفقرات الآتية وإن كنا نعلم سلفاً أن الأمر أهون من أن يلتفت إليه فضلاً عن أن يرد عليه !

أ- بطلان القول بالصدفة:

إن القول بأن هذا الخلق كله قد حدث صدفة يعد من أبين الباطل وأمحل المحال، ومع ذلك فقد وجد من يقول به من سفهاء البشر! لقد زعم هكسلي (وهو أحد الكتاب الملاحدة) أنه لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها بلايين السنين، فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبتها قصيدة من قصائد شكسبير، فكذلك الكون الموجود الآن، نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في المادة لبلايين السنين.

إن الصدفة تتنافى تماماً مع مبدأ الإحكام والتقدير والتدبير الذي يشهد به كل شيء في هذا الوجود من الذرة إلى المجرة، بل يشهد به واقع القوم أنفسهم، فلو قيل لهم: إن كل ما تطلقونه من الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية، قد

حـــدث صدفة نتيجة لبعض التفاعلات الكيمائية بين بعض المواد الخام الموجودة بالصـــدفة في بلادكم، من غير تقدير منكم ولا تدبير، فهو لا يشهد لكم بتقدم علمي أو حضاري لفغروا أفواههم دهشة وعجبًا، وأوشكوا أن يفتكوا بمن يقول لهم ذلك !.

فـــيا عجبًا للإنسان عندما تتخطفه الشياطين، لا يقر للصدفة بخلق مركبة فضـــائية وتوجيهها إلى الفضاء، ويقر لها بخلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة !

ومـــن ناحية أخرى فإن للمصادفة قانونًا رياضيًا عقليًا لا تنفك عنه، ولا يمكـــن الخـــروج عليه، وهو أن حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانات المتكافئة المتزاحمة، فكلما قل عدد الأشياء المتزاحمة ازداد حظ المصادفة من النجاح، وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة، ويظل يقل حتى يصبح في حكم العدم أو المستحيل.

ولنتأمل هذا المثال:

لو أن مطبعة بها نصف مليون حرف وتلك الأحرف مفرقة في صناديقها، فأصابتها هزة أرضية قلبت صناديق هذه الحروف وبعثرتها وخلطتها، فجاء من يخبرنا بأنه قد تألف من اختلاط الحروف بالمصادفة عشر كلمات متفرقة غير مترابطة المعاني فإن القضية هنا تبدو معقولة وقابلة للتصديق.

ولـــو قيل لنا: إن الكلمات العشر ألفت جملة مفيدة كاملة، فإننا نستبعد ذلك ولكن لا نراه مستحيلاً.

أما لو قيل لنا: إن حروف المطبعة بكاملها تشكلت وكونت عند اختلاطها بالمصادفة كتابًا كاملا من ٥٠٠ صفحة يتضمن قصيدة واحدة، تؤلف بمجموعها وحدة كاملة مترابطة، منسجمة بألفاظها وأوزانها، لا شك أننا في هذه الحالة نرى الاستحالة بدهية واضحة، والسبب في رؤية الاستحالة يعود إلى قانون الصدفة نفسه.

هذا.. مع مراعاة أن حروف المطبعة موجودة ومصفوفة في صناديقها، أما القضية في موضوع الكون فإنها من التعقيد لدرجة لا تستطيع أن تحيط بها عقول البشر كافة، مما يجعل الصدفة مستحيلة التصور في حد ذاتها، بَلهَ الوقوع.

يقول أحد المفكرين الغربيين: إن القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقي شبيه في مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفي يقع في مطبعة !!

وينقل وحيد الدين خان عن العالم الأمريكي كريستي موريسون قوله: " لو تناولت عشرة دراهم، وكتبت عليها الأعداد من واحد إلى عشرة ثم رميتها في جيبك، وخلطتها جيداً، ثم حاولت أن تخرج من الواحد إلى العاشر بالترتيب العددي بحيث تلقي كل درهم في جيبك بعد تناوله مرة أخرى، فإمكان أن نتناول الدرهم المكتوب عليه واحد في المحاولة الأولى هو واحد بالمائة، وإمكان أن نخرج الدراهم [١، ٢، ٣، ٤] بالترتيب هو واحد في عشرة آلاف... حتى إن الإمكان في أن تنجح في تناول الدراهم من [١ - ١٠] بالترتيب واحد في عشرة بلايين من المحاولات ".

إن الـــزعم بأن هذا الكون قد وجد صدفة هو إلى هذيان السكارى أقرب منه إلى منطق العقلاء !!

ب- بطلان القول بخالقية الطبيعة:

نتوجه إلى الذين ينسبون الخلق إلى الطبيعة بهذا السؤال: ماذا تريدون بهذه الكلمة على وجه التحديد؟

- إن قلتم إنها الكون نفسه بكل ما فيه، فإن مآل هذا الزعم إلى القول بأن الشـــيء يخلـــق نفسه، فالكون هو الذي خلق الكون ! والسماء هي التي خلقت السماء! والأرض هي التي خلقت الأرض! وفساد هذا الزعم معلوم عند العقلاء بالضـــرورة، وما الطبيعة على هذا النحو إلا وثن جديد قد جمع الأوثان السابقة التي عبدها الوثنيون الأوائل.

لقد عرف التاريخ من عبدوا أجزاء من الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم والأحجـــار والجن ونحوه، فانتهى هؤلاء إلى عبادة كل هذه الأوثان ما عبد منها وما لم يعبد تحت مسمى الطبيعة!

- وإن قلـــتم بأنها السنن والقوانين التي تحكم هذا الكون وتنظم أموره في كل جزئية قلنا: إن هذا القول يكشف عن الكيفية التي يعمل بها الكون ولكن لا يجيب عن السؤال المطروح: من خلق هذا الكون وأودع فيه ما أودع من السنن والقوانـــين؟ من ذا الذي أودع تلك المادة طبيعتها، وأكسبها خواصها، فإنها إن كانـــت لها من ذاتها، ومقتضى حقيقتها لم تقبل التغير والزوال لأن ما بالذات لا يتخلف ولا يزول وقد رأيناها تتخلف وتتبدل فلابد لها من واهب يهبها، وفاعل مخـــتار حكـــيم يدبرها ويضعها في محالها، وليس ذلك من المادة وحدها ولا من

خواصـــها، أو طبيعـــتها القائمة بها فإنها ليس لها من سعة العلم وكمال الحكمة وشمول المشيئة وعظيم القدرة ما ينتظم معه الكون على ما نشاهد من إحكام يبهر العقول دقته وجماله، ومن إبداع يأخذ بمجامع القلوب ما فيه من شدة الأسر وقوة الربط بين وحداته وكمال التناسب والتكافؤ بين أجزائه.

إنـــنا نقـــول لهؤلاء: لقد عرفتم سنة نزول المطر وتكون السحب ولكن لم تفســـروا لـــنا كـــيف صارت هذه السنة سنة ومن الذي جعلها كذلك؟! وإن ادعـــاءكم بعد كشفكم لبعض السنن أنكم قد كشفتم تفسير الكون ليس سوى خدعـــة كـــبرى لأنفســـكم، وما مثلكم إلا كمثل من جاء إلى حلقة من وسط السلسلة فوضعها في مكان الحلقة الأخيرة !

إن في القول بأن القوانين والتفاعلات الكيميائية هي التي جاءت بالإنسان مسخًا للإنسانية كلها ؛ ذلك أن التفاعل الكيميائي محدود الزمن والنتائج، فمعنى ذلـــك أن يصـــبح قيام الإنسان وقعوده وضحكه وبكاؤه ورضاه وغضبه أعمالاً ميكانيكـــية بحـــتة، تبدأ عند وجود التفاعل الكيميائي اللازم لوجودها وتنتهي بانـــتهائه ! ويقف الإنسان جنبًا إلى جنب مع بقية الآلات الميكانيكية التي تتحرك بالأزرار وتتوقف بالأزرار، بلا عقل ولا إرادة ولا اختيار ! بل ولا معنى إذن لأن يثاب الإنسان على خير أو يعاقب على شر لأن الأمر ليس إلا تفاعلات كيميائية أوجدت ما عمل من خير أو من شر !

لقـــد خلق الإنسان ذا علم وتدبير وإرادة وقدرة، فهل تملك هذه الطبيعة الجامدة العلم والتدبير والقدرة، حتى تكون هي التي منحت ذلك للإنسان؟! وما الفـــرق بـــين هذا القول وبين من يزعم أن اللات والعزى وهبل ومناة هي التي خلقت الإنسان، وزودته بكل ما تميز به عن غيره من المخلوقات ؟!

قـــال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً إِذْ قَالَ لأَبِـــيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾ [مريم: ٤١-٤٢].

وإذا كانـــت الطبيعة هي الخالقة فكيف سُخرت للإنسان، وأصبح سيدًا عليها يبني ويهدم ويتصرف بأجزائها كيف يشاء، وهي لا تقاوم سيطرة الإنسان ولا تتمرد عليه، ولا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا ؟!

قـــال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١- ١٩٢].

وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣].

وقـــال تعـــالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠].

ألا إن الطبيعة صماء لا تسمع، بكماء لا تنطق، عمياء لا تبصر، جاهلة لا تعلم، مسخرة لمن أودعها المادة، خاضعة لتصريفه وتقديره، سائرة على ما رسم لها من سنن لا تعدوها ونواميس لا تخرج عليها، فأنى يكون لها خلق وإبداع، أو إلـــيها تنظيم وتدبير، أو منها وحي وتشريع؟!. إنما ذلك إلى الله وحده تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيرًا !

إن هـــؤلاء الملاحـــدة قـــد كفروا بما استكن في الفطر، وتقرر في بداهة العقول، واستفاض في حقائق التاريخ الثابتة والتواتر المضطرد جيلاً بعد جيل، فلم

يـــبق عـــندهم ما نحاكمهم إليه أو نعول في حجاجهم عـــليه، فضلاً عن أنهم لا يملكون على بهتانهم هـــذا دليلاً ولا أثارة من دليل، فالأدلة على بطلان مزاعمهم عدد الرمل والحصى والنجوم، بل عدد ما خلق الله في السموات والأرض !!

- فإن حاكمتهم إلى الفطر التي جبلت على الإقرار بخالقها، بحيث لا تملك لذلك دفعًا، تبين لك ما هم فيه من كفر وعمى.

- وإن حاكمـــتهم إلى بداهة العقول التي تجزم بضرورة الخالق، لاستحالة وجود خلق بغير خالق، تبين لك ما هم فيه من جحود ومكابرة.

- وإن حاكمتهم إلى إجماع الأمم واتفاقها على معرفة الله والإقرار به، تبين لك ما هم فيه من شذوذ ومراغمة.

- وإن حاكمتهم إلى حقائق التاريخ التي تقطع ببعثة الرسل وتأييد الله لهم بالخوارق، تبين لك ما هم فيه من بهت وضلال، فأية شقاوة تعدل هذه الشقاوة؟! وأي خذلان يعدل هذا الخذلان ؟!

خلاصة الوحدة الثانية

- الوجـــود صـــفة لله جل وعلا بإجماع المسلمين وجميع العقلاء حتى المشركين. والوجود نوعان:

الأول: وجود ذاتي لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم.

والثاني: وجود حادث وهو ما كان حادثًا بعد عدم.

والأدلة على وجود الله بعدد مخلوقات الله.

- من دلائل ربوبية الله عز وجل:

١- دلالـــة الفطـــرة: وهي ذلك الشعور الذي يملأ على الإنسان أقطار نفسه، إقراراً بخالقه، وتألهًا له، والتجاءً إليه. وهذه الفطرة هي الميثاق الذي أخذه الله بربوبيته على بني آدم.

٢- دلالة الآيات الكونية:

أ - دليل الخلق. ب - دليل التسوية.

جـــ- دليل التقدير. د - دليل الهداية.

٣- دلالة الحس وهي من وجهين:

أولهما: ما نشهده ونسمعه من إجابة الداعين وغوث المكروبين.

ثانـــيهما: مـــا أيد الله به رسله من المعجزات التي تدل بنفسها على ثبوت الصـــانع، والـــتي إذا تقررت بها النبوة والرسالة فقد تقررت بها الربوبية كذلك،

وتعتـــبر النبوة أصلاً في وجوب قبول جميع ما دعا إليه النبي من حقائق الألوهية والربوبية وغيرها.

٤- دلالة إجماع الأمم.

٥- دلالة العقل: والتي تقوم على ثلاثة أسس:

فالأول: أن العدم لا يخلق شيئاً.

والثاني: أن الفعل مرآة لقدرة فاعله وبعض صفاته.

والثالث: أن فاقد الشيء لا يعطيه.

- زعـــم بعض الملاحدة أن الكون وجد صدفة وزعم بعضهم أن الطبيعة خلقته، وهي مزاعم أوهن وأهون من أن يلتفت إليها فضلاً عن أن يرد عليها.

الاختبار البعدي للوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيـــزي الدارس: ضع علامة (√) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- لا يصح وصف الله بالوجود لأن لكل موجود موجداً.

٢- يصح وصف الله بالوجود الذاتي ولا يصح وصفه بالوجود الحادث.

٣- يجـــوز القول بأن الله موجود باعتبار أن الوجود اسم من أسمائه، وليس صفة من صفاته.

٤- الوجود صفة لله تعالى بالإجماع.

٥- ظل إنكار الربوبية انحرافاً متأصلاً عبر التاريخ البشري.

٦- مـــن الدلائـــل الكونية على وجود الله: دلالة الفطرة، ودلالة الحس، ودلالة العقل.

٧- التسوية هي خلق كل شيء بتقدير وميزان وترتيب وحساب.

٨- دلالة الخلق على وجود الله تعالى أبـــين وأظهر من دلالة التسوية.

٩- التسـوية أخص من الخلق إذ أن دلالة الخلق ظاهرة في الكائنات كلها، أما التسوية فلا تظهر إلا في الكائنات الدقيقة.

١٠- التقدير ظاهـرة خاصـة بالكائنات الحية بحيث تتلاءم مع مكانها وزمانها والموجودات من حولها.

١١- آية التقدير تتجلى في كل الظواهر الكونية بحيث يتحقق التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه.

١٢- هدايـة الكائنات هي الإلهام الفطري الغريزي الذي تتوجه به المخلوقات إلى أداء دورها في الحياة.

١٣- الهداية خاصة بالمكلفين والكائنات التي تتحرك بالإرادة فحسب.

١٤- دلالة الحس تتضمن إجابة الله للدعوات، وتأيـيده رسله بالمعجزات.

١٥- المقصـود من دلالة الحس على وجوده تعالى هو ذلك الإحساس العميق بأن لهذا الكون ربًّا قديرًا يدبر أمره دقيقه وجليله.

١٦- دلالة الحس تتضمن الخلق والتسوية والتقدير والهداية.

١٧- يجيب الله عز وجل دعاء المؤمنين دون غيرهم من المشركين الذين لا يخلصون له الدين إلا في الشدائد.

١٨- دلالـــة الآيات الكونية على وجود الله لا تكفي وحدها، وإنما ينبغي مشاهدة معجزات الأنبياء.

١٩- دلالة الآيات الكونية المعتادة على ربوبية الله تعالى أبلغ من دلالة المعجزات.

٢٠- دلالة المعجزات تثبت صدق الرسل، كما تثبت الإقرار بربوبية الله تعالى.

٢١- بـــيّن النبي ﷺ جميع الدين، ثم بيّن العلماء الأدلة العقلية التي يستدل بها على هذا الدين.

٢٢- دلالة القرآن والسنة على المسائل الأصولية دلالة شرعية عقلية.

٢٣- لا يعـــتمد الشرع على تحسين العقل وتقبيحه في إثبات أصول الدين وعرض أدلتها.

٢٤- الأمثال المضروبة في القرآن هي أقيسة عقلية يخاطب بها المؤمن والكافر.

٢٥- اعتمد الشرع على البدهيات العقلية ليبني عليها منهجه في الاستدلال بالأقيسة العقلية التمثيلية.

٢٦- من الضرورات العقلية: أن الموجودات منها ما هو ذاتي الوجود، ومنها ما هو حادث الوجود.

٢٧- جاء الأنبياء بالآيات البينات والبراهين الواضحات التي تعلم دلالاتها بالعقل.

٢٨- من البدهيات العقلية: افتقار المعلول إلى العلة، والمسبَّب إلى السبب.

٢٩- القول بخالقية الطبيعة عبادة لجميع الأوثان التي عبدها البشر عبر القرون.

٣٠- ممـــا دفع الملحدين إلى ضلالهم عدم كفاية الآيات الكونية التي يستدلون بها على وجود الله.

ثانياً: أسئلة المقال:

س١: اذكر – بدون تفصيل – الدلائل المذكورة على ربوبية الله تعالى.

س٢: أكمل الحديث التالي مع بيان معناه:

"كل مولود يولد .....".

س٣: بماذا أجاب ابن عباس حين سئل "بم عرفت ربك"؟ وعلام تدل إجابته؟

س٤: جمـــع الله الأدلة التي تدل عليه من خلال آياته الكونية في آيتين، اذكرهما، مع ضرب مثال واحد لكل دليل منها .

س٥: الدلالـــة على ربوبية الله تعالى لا تقتصر على الأدلة المعنوية أو الفكرية، بل تتضمن أيضًا الأدلة الحسية المشهودة. وضح ذلك.

س٦: ما قيمة المعجزات المؤيدة للأنبياء في الدلالة على ربوبية الله تعالى.

س٧: هل تعتبر ادعاءات الملحدين خرقًا لإجماع الأمم قديمًا وحديثًا على ربوبية الله؟

س٨: اذكر الأسس التي تقوم عليها دلالة العقل، مع التدليل من القرآن على كل منها.

س٩: ما المزاعم التي زعمها الملحدون في خلق الكون وكيف ترد عليها باختصار.

النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

اكتب مقالاً تبين فيه الدلائل المختلفة على ربوبية الله تعالى ، مع مراعاة الربط بين ما تشاهده من خلال وسائل الاتصالات المختلفة حول الاكتشافات العلمية في المجالات المختلفة، وبين الدلائل على قدرة الله عز وجل.

الوحدة الثالثة
توحيد الربوبية

الوحدة الثالثة: توحيد الربوبية

أهمية دراسة الوحدة:

إثبات الربوبية لله - تعالى - تعني أنه رب كل شيء ومليكه، رب الأولين والآخرين، رب المشرقين ورب المغربين، رب السموات والأرض وما بينهما، رب العالمين، رب الآخرة والأولى، مالك الملك فلا شريك له في ملكه؛ يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويسعد من يشاء، ويشقي من يشاء، ويخفض من يشاء، ويرفع من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويصل من يشاء، ويقطع من يشاء، يبسط الرزق لمن يشاء، ويقدره على من يشاء، ﴿ **يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثا، ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً، إنه عليم قدير**﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

غير أن الإقرار بالربوبية لا يكفي وحده للبراءة من الشرك، **إذ قد يقع شرك في بعض الربوبية**، ويعد الإيمان بالربوبية هو الأساس القوي والطريق الصحيح الذي يوصل صاحبه ويحمله إلى توحيد الألوهية.

عزيزي الدارس: سوف تعلم بعد دراستك لهذه الوحدة حقيقة توحيد الربوبية وكيفية ابتناء توحيد الألوهية عليه، فابدأ الآن في الدراسة لهذه الوحدة.

❁ الأهداف التعليمية للوحدة الثالثة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- تـــتحدث بالتفصيل عن توحيد الربوبية، مع الاستشهاد بالآيات الدالة على ذلك.

٢- تحدد مدى كفاية الإقرار بالربوبية في البراءة من الشرك.

٣- تقف على حقيقة وقوع الشرك في الربوبية.

٤- تبين كيف يكون الإيمان بالربوبية هو المدخل إلى توحيد الألوهية.

٥- تكتب مقالة من خلال مطالعتك في كتب التوحيد والعقيدة حول موضوع توحيد الربوبية، ثم تناقشها مع أستاذك في الجامعة الأمريكية المفتوحة.

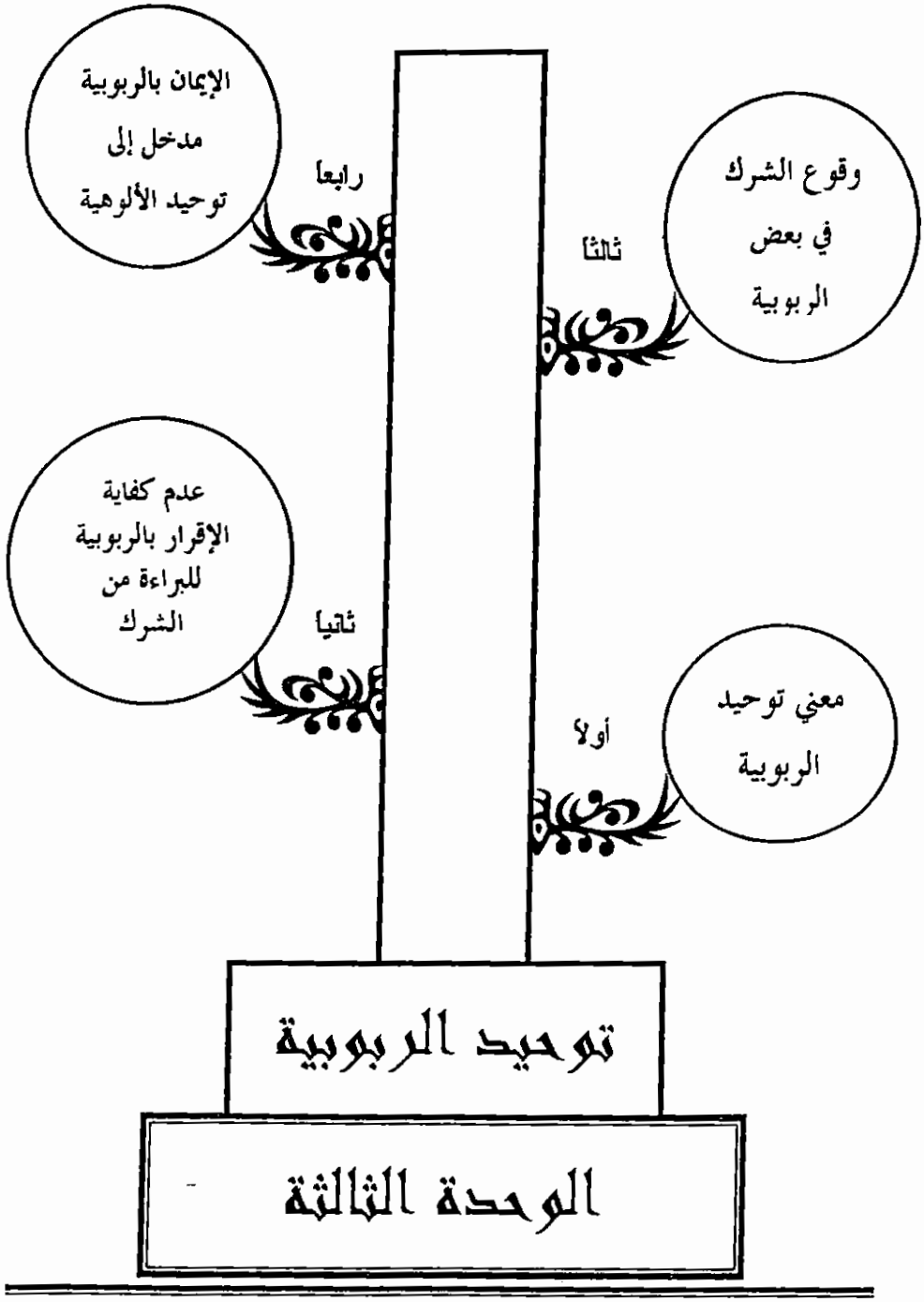
الوحدة الثالثة
توحيد الربوبية
أولاً
معني توحيد الربوبية
ثانياً
عدم كفاية الإقرار بالربوبية للبراءة من الشرك
ثالثاً
وقوع الشرك في بعض الربوبية
رابعاً
الإيمان بالربوبية مدخل إلى توحيد الألوهية

أولاً توحيد الربوبية

وهو توحيد الله بأفعاله، واعتقاد تفرده بالخلق والملك والرزق والتدبير، فهو وحـــده الذي يخلق الخلق ويدبر الأمر، وهو وحده الذي يرسل الرسل ويشرع الشرائع ليحق الحق بكلماته، ويقيم العدل بين عباده شرعاً وقدراً، إلى غير ذلك مما لا يحصيه العد ولا يحيط به القول.

قال – تعالى – مبينًا تفرده بالخلق: ﴿ **الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل** ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال – تعالى – مبينًا تفرده بالأمر: ﴿ **يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله** ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وجمـــــع بين الأمرين فقال – تعالى – : ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العـــالمين** ﴾ [الأعـراف: ٥٤] أي له الملـــك وله التصرف، لا راد لقضائه ولا معقب على حكمه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل.

وقال – تعالى – : ﴿ **قال ربُّنا الذي أعطى كـــل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ [طـه: ٥٠]، فهـــو الذي خلق الخلق وقدر القدر وجبل الخليقة على ما أراد، وهو الذي أعطى كل خلق ما يصلحه، وأعطى كل شيء ما ينبغي له، وهيأ كل شيء على ذلك.

ثانياً لا يكفي الإقرار بالربوبية للبراءة من الشرك

وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وإن كان لا يكفي وحده للبراءة من الشرك، فإنه لم يذهب إلى نقيضه بالكلية طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل - عليهم السلام - فيما حكى الله عنهم: ﴿ **قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض** ﴾ [إبراهيم:١٠]، وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقناً به في الباطن، كما قال له موسى - عليه السلام -: ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر** ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** ﴾ [النمل: ١٤].

ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: إن للعالم صانعين متماثلين في الصفات والأفعال:

- فالثنوية من المجوس، والمانوية القائلين بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما: متفقون على أن النور خير من الظلمة، وأنه الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة: هل هي قديمة أو محدثة ؟ فلم يثبتوا ربين متماثلين.

- والنصارى القائلون بالتثليث، لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد. وقولهم في التثليث متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه، ولهذا كانوا مضطربين في فهمه، وفي التعبير عنه، وفي الجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين.

- ومشركو العرب وغيرهم من الأمم كانوا يقرون على الجملة بالخلق والرزق والتدبير. قال - تعالى -: ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون** ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقال - تعالى -: ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون** ﴾ [يونس: ٣١].

ثالثاً وقوع الشرك في بعض الربوبية

وهذا الإقرار المجمل من المشركين بالربوبية لا يعني أنه لم يقع شرك في الربوبية قط، بل قد وقع الشرك في بعض الربوبية لدى بعض الناس، كاعتقاد بعض المشركين أن ثم خالقاً خلق بعض العالم كما سبقت الإشارة إلى الثنوية والمانوية وبعض الفلاسفة وغيرهم ممن يثبتون أموراً محدثة بغير إحداث الله لها، أو اعتقاد بعضهم في آلهتهم شيئاً من النفع والضر لم يخلقه الله، كما قال قوم هود لنبيهم: ﴿**إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء**﴾[هود: ٥٤]، أو كما خوف

هـــو فأنى تؤفكون ﴾ [فاطر: ٣]، فقد جعل من تفرد الله بالخلق والرزق دليلاً على تفرده بالألوهية واستحقاقه وحده للعبادة.

وتأمل قوله - تعالى - في سورة غافر: ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين. هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين**﴾ [غافر: ٦٤-٦٥].

وقوله - تعالى - في سورة النمل: ﴿ **أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون. أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون. أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلاً ما تذكرون. أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الريح بشرًا بين يدي رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون. أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ [النمل: ٦٠-٦٤].

فقـــد جعل من مظاهر تفرده بالربوبية في الخلق والرزق والتدبير دليلاً على تفرده بالألوهية واستحقاقه وحده للعبادة.

ولو تدبرت في جميع الآيات التي وردت في إقرار المشركين بالربوبية لوجدتها تجعل من هذا الإقرار مدخلاً للدعوة إلى توحيد الألوهية وبرهاناً عليه.

قال - تعالى -: ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قــل أفــلا تذكرون. قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم. سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقــال - تعــالى -: ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك الســمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمــر فســيقولون الله فقــل أفــلا تتقون ﴾ [يونس: ٣١]. فقد جعل من هذه الإقرارات مدخلاً لدعوتهم إلى نفي التشريك في باب الألوهية.

ولــو تدبرت أيضاً في جميع الآيات التي نعت على المشركين عبادة الأوثان لوجــدت احتجاجها عليهم بأن هذه الأوثان لا تملك شيئاً من مظاهر الربوبية، فهــي لا تخلق ولا ترزق ولا تضر ولا تنفع، ولا تملك تدبيراً ولا تأثيراً، فكيف يعبد من هذا حاله ؟!

قــال - تعالى -: ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون. أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون. إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخــرة قلوبهم منكرة وهــم مستكبرون ﴾ [النحل: ٢٠-٢٢]. وقــال - تعــالى -: ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً. إذ قال لأبيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ [مريم: ٤١-٤٢].

وقــال - تعــالى -: ﴿ أيشــركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون. ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴾ [الأعراف ١٩١- ١٩٢].

قوم إبراهيم – عليه السلام– نبيهم بشركائهم فناظرهم بقوله: ﴿ **وكيف أخاف مـا أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينّزل به عليكم سلطانًا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون** ﴾ [الأنعام: ٨١].

ولما كان هذا الشرك في الربوبية موجودًا في الناس بيّن القرآن بطلانه كما في قوله – تعالى –: ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض** ﴾ [المؤمنون: ٩١].

فـتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز الظاهر، فإن الإله الحق لابد أن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلـو كان معه – سبحانه – إله آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلـك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك، وتفرد بالملك والإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه، وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنـيا بعضهم عن بعض بممالكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه، فلابد من أحد ثلاثة أمور:

* إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

* وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

* وإمـا أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانـــتظام أمر العالم كله، وإحكام أمره، من أدل الأدلة على أن مدبره إله واحـــد، وملك واحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه [راجع شرح الطحاوية: ٣٩].

كما أن هذا لا يعني أنهم أتوا به على النحو الذي جاءت به الرسل، إذ لو كان كذلك لقادهم حتمًا إلى عبادة الله وحده، ولكنه إيمان منقوص ومدخول، لم يـــتواطأ فيه اطمئنان الجنان مع إقرار اللسان، و لم يأتلف فيه عمل القلب مع قول القلب، و لم يخل من شوائب من الشرك كما سبق.

رابعاً الإيمان بالربوبية هو المدخل إلى توحيد الألوهية

كمـــا لا يعني القول بأن توحيد الربوبية مما أقر به المشركون الأوائل أن نضرب الذكر عن دراسته صفحاً، أو أن تتجاوزه الدراسات الأكاديمية واللقاءات الدعوية، فإن جل ما ورد في القرآن الكريم متعلقاً بالتوحيد إنما كان في تقرير هذا التوحيد ليؤسس عليه الدعوة إلى عبادة الله وحده، فلن يثبت توحيد الألوهية إلا على قاعدة مكينة صلبة من توحيد الربوبية، فإن من يرسخ يقينه بتفرد الله بالخلق والملـــك والـــرزق والـــتدبير لابد أن يتوجه بدعائه وعبادته إليه وحده وإلا فهو التناقض أو الجنون!

وتأمل – عزيزي الدارس – قول الله – تعالى –: ﴿ **يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا**

وقـــال - تعـــالى -: ﴿ **إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذيـــن تعـــبدون مـــن دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون** ﴾ [العنكبوت: ١٧].

فقـــد جعل من عجز هذه الآلهة المزعومة عن الخلق والرزق والتدبير دليلاً على بطلان عبادتها من دون الله.

ومن هنا يجب أن تعنى الدراسات العلمية بإحياء فريضة النظر في ملكوت الســـموات والأرض، والتدبر في مظاهر ربوبية الله لهذا الكون، فإنها تحيي الإيمان وتجـــدد ربيعه في القلب، وتسوق صاحبها سوقاً إلى الإخبات لله - جل وعلا - وإفراده وحده بالعبادة.

خلاصة الوحدة الثالثة

- توحـــيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله واعتقاد تفرده بالخلق والملك والرزق والتدبير.

- ولا يكفـــي الإقرار بالربوبية للبراءة من الشرك، فقد كانت الأمم تقر بالربوبية وتكفر بالألوهية فلم يخرجها إقرارها عن الوصم بالشرك، وحتى ذلك الإقرار لم يـــأتوا بـــه عـــلى النحو الذي جاءت به الرسل وإلا لقادهم حتماً إلى عبادة الله وحـــده، ولكنه إيمان منقوص ومدخول لم يخل من شوائب الشرك، كاعتقادهم الخلق والنفع والضر في آلهتهم المزعومة من دون الله.

- الإيمان بالربوبية هو المدخل إلى توحيد الألوهية، فلن يثبت توحيد الألوهية إلا على قاعدة مكينة صلبة من توحيد الربوبية، فإن من يرسخ يقينه بتفرد الله بالخلق والملـــك والـــرزق والتدبير لابد أن يتوجه بدعائه وعبادته إليه وحده، وإلا فهو التناقض أو الجنون.

- إن جميع الآيات التي وردت في إقرار المشركين بالربوبية تجعل من هذا الإقرار مدخلاً للدعوة إلي توحيد الألوهية وبرهاناً عليه.

- وجمـــيع الآيات التي نعت علي المشركين عبادة الأوثان تحتج عليهم بأن هذه الأوثان لا تملك شيئاً من مظاهر الربوبية.

الاختبار البعدي للوحدة الثالثة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيـــزي الدارس: ضع علامة (√) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- توحيد الربوبية هو عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه.

٢- توحيد الربوبية أقر به عامة بني آدم على الجملة.

٣- توحيد الربوبية هو توحيد الإثبات وتوحيد الطلب والإرادة.

٤- يمكـــن أن يجتمع في قلب الموحد توحيد في باب الربوبية، وشرك فيه في ذات الوقت.

٥- خاضـــت الرسل معارك كبرى مع أقوامهم لتصحيح إيمانهم بالربوبية، وتقرير توحيد الألوهية.

٦- احتاج النبي - ﷺ- أن يخوض معركة كبرى مع المشركين لإثبات وجود الله - تعالى - وربوبيته.

٧- من صور الشرك التي وقعت في الربوبية اعتقاد أن للعالم صانعين متماثلين في الصفات والأفعال.

٨- المانوية يقولون إن العالم صدر عن صانعين متماثلين في الصفات والأفعال هما النور والظلمة.

٩- النصارى القائلون بالتثليث متفقون على أن صانع العالم واحد.

١٠- من صور الشرك في باب الربوبية اعتقاد بعض المشركين شيئاً من النفع والضر في آلهتهم المزعومة.

١١- عبد المشركون الأوثان لاعتقادهم أنها تملك الخلق والتدبير والنفع والضر.

١٢- مشركو العرب كانوا موحدين في باب الربوبية، مشركين في باب الألوهية.

١٣- مشركو العرب كانوا مقرين بالربوبية من وجه، ومشركين بها من وجه آخر، مما قادهم إلى الشرك في العبادة.

١٤- إبليس - لعنه الله- كان أكفر الخلق بإنكاره ربوبية الله - عز وجل - على خلقه.

١٥- قوم فرعون جحدوا بآيات الله الدالة على ربوبيته، رغم استيقانهم في الباطن بأنها الحق.

١٦- أرسل الله - تعالى - الرسل، وأنزل الكتب، لمواجهة شرك الربوبية، وإقرار توحيد الله في ذاته وصفاته.

١٧- وقوع الشرك في الربوبية لا يقتضي بالضرورة الشرك في الألوهية.

١٨- توحيد الله في ربوبيته على النحو الذي جاءت به الرسل يقود حتماً إلى عبادة الله وحده.

١٩- قد يقع الشرك في عبادة الله لأسباب أخرى غير الشرك في ربوبيته.

٢٠- لم يعن القرآن بإثبات توحيد الربوبية اعتباراً لما جبلت عليه الفطر من الإقرار به.

٢١- جعـــل الله مـــن تفرده بالخلق والرزق دليلاً على تفرده بالألوهية واستحقاقه وحده للعبادة.

٢٢- من مظاهر ربوبية الله - تعالى - على خلقه استجابته لدعواتهم، وهدايته لهم في ظلمات البر والبحر.

٢٣- اســـتخدم القـــرآن من إقرار المشركين بالألوهية مدخلاً لدعوتهم إلى توحيد الربوبية ودليلاً عليه.

٢٤- جميع الآيات التي نعت على المشركين عبادة الأوثان تحتج عليهم بأنها لا تملك شيئاً من مظاهر الربوبية.

٢٥- توحيد الربوبية هو فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

س١: اختر العبارة الصحيحة فيما يلي:

أ – ركـــزت الآيـــات التي تخاطب المشركين على إثبات وجود الله لأنهم كانوا ينكرونه ابتداء.

ب- ركـــزت الآيـــات على إثبات تفرد الله بالخلق والرزق والتدبير لأنهم كانوا ينسبون ذلك لغير الله.

ج – ركـــزت الآيات على تقرير الربوبية بجميع صفاتها لكي تقيم عليها توحيد الألوهية، إذ كانت الأولى موضع اتفاق والثانية محل النزاع.

د – ركزت الآيات التي تخاطب المشركين على تفاصيل الأحكام.

س٢: اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

أ - توحيد الربوبية: هو الاعتقاد في وجود الله.

ب- توحيد الربوبية: هو اعتقاد الخلق والملك والرزق والتدبير في حق الله - تعالى -، وإن شاركه فيها غيره.

ج - توحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله، واعتقاد تفرده بالخلق والملك والرزق والتدبير.

د - توحيد الربوبية: هو إفراد الرب - تعالى - بالعبادة، والبراءة من كل ما يعبد من دونه.

النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

من خلال تعاملك المباشر في ساحة الدعوة والتعليم عَدّد مظاهر الخلل في توحيد الربوبية لدي عامة المسلمين اليوم، مع بيان سبل العلاج والوقاية من هذه الآفات.

الوحدة الرابعة
توحيد الألوهية

الوحدة الرابعة: توحيد الألوهية

أهمية دراسة الوحدة:

توحيد الألوهية هو إفراد الله - عز وجل - بالعبادة، لأنه هو الخلاّق الرازّق الموصوف بكل كمال المنزه عن كل نقص، الغني عن جميع ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه خافية.

وما دامت تلك هي صفات الله التي لا يوصف بها غيره، ولا تجب إلا له - سبحانه وتعالى -، فلا يستحق العبادة إلا هو، وحيث كان متفرداً بالخلق والإنشاء والبدء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب إفراده بالعبادة دون سواه، كما بيّن القرآن الكريم ذلك بقوله - تعالى -: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ [البقرة:٢١]

عزيزي الدارس: موضوع توحيد الألوهية هو غاية دعوة الرسل وأساس الرسالات فابدأ من خلال دراسة هذه الوحدة بالتعرف عليه والتفقه فيه.

❁ الأهداف التعليمية للوحدة الرابعة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- تكتب عن معنى توحيد الألوهية، وتعريف العبادة.

٢- تشرح بعض المفاهيم المغلوطة في باب العبادة.

٣- تصنف أنواع العبودية، مع تفصيل كل نوع منها.

٤- تبين أهمية توحيد الألوهية ومنـــزلته من الدين.

٥- توضح ما هو الطريق إلى إثبات توحيد الألوهية.

٦- تقارن بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

الوحدة الرابعة

توحيد الألوهية

أولاً: توحيد الألوهية وتعريف العبادة.

ثانياً: من المفاهيم المغلوطة في باب العبادة.

ثالثاً: أنواع العبودية.

رابعاً: أهمية توحيد الألوهية ومنـــزلته من الدين.

خامساً: الطريق إلي إثبات توحيد الألوهية.

سادساً: أركان توحيد الألوهية.

أولاً توحيد الألوهية وتعريف العبادة

توحـــيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة قولاً وفعلاً وقصداً، والبراءة من كـــل معبود من دونه، فالإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة وحده دون سواه.

تعريف العبادة:

والعـــبادة هي التأله والتذلل لله وحده، والانقياد له - سبحانه - بفعل ما أمـــر به وترك ما نهى عنه، وقد عرفها العلماء بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

فيدخل فيها الرغبة والرهبة والحب والخوف والرجاء وغير ذلك من أعمال القلوب، كمـــا تدخل فيها الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك من أعمال الجـــوارح.

ويدخـــل فـــيها التحاكم إلى شريعة الله، وموالاة المؤمنين من عباد الله، والـــتوجه بالدعاء والاستغاثة إلى الله، وغير ذلك من مسائل أصول الدين، كما يدخـــل فيها الوفاء بالوعد وأداء الأمانة وصلة الرحم وصدق الحديث وغير ذلك من فروع العبادات والطاعة.

فكـــل أصـــول الدين وفروعه تندرج في معنى العبادة، وتوحيد الألوهية يقتضي - كما سبق - إفراد الله بكل هذه العبادات، والتوجه بها إليه وحده.

ثانياً من المفاهيم المغلوطة في باب العبادة

ونبادر هنا إلى التأكيد على أن اختزال مفهوم العبادة في باب الشعائر التعبدية فحسب من المفاهيم المغلوطة الشائعة بين الناس، ولعلها أثر من آثار العلمانية الغازية وما تروج له من الفصل بين الدين والحياة، والصواب - كما سبق - أن كل قول أو فعل يحبه الله ويرضاه فهو عبادة، وأن العاديات تتحول مع النية الصالحة إلى عبادات، ولهذا قال ﷺ : «**وإن في بضع[1] أحدكم صدقة**»، أي في إتيان الرجل أهله صدقة، وعندما سأل الصحابة رسول الله ﷺ : أيأتي أحدنا أهله فيكون له صدقة؟! فقال: «**أرأيتم إذا وضعها في الحرام أيكون عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال فإنها تكون له أجرًا**»[2]. وعلى سبيل المثال فإن كفالة أمور المسلمين والقيام بحاجاتهم العامة من الزراعات والصناعات ونحوه يعد من جملة فروض الكفايات، ويلتحق مع النية الصالحة بأبواب العبادات.

(١) البُضع - بضم الباء - الجماع.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢/٦٩٦ - ٦٩٧ ح ٥٣ عن أبي ذر - رضي الله عنه - في حديث طويل.

ثالثاً أنواع العبودية

العبودية أنواع:

ـ عبودية كونية عامة لجميع الخلق في كل زمان ومكان، وهذه ليست لأحد إلا لله وحده، وهي عبودية تسخير وتسيير، ويدخل في إطارها البر والفاجر والمسلم والكافر، لا يخرج عن سلطانها أحد، ومقتضاها تصرف الله في خلقه كيف يشاء، وانقيادهم له طوعًا وكرهًا، كما قال - تعالى -: ﴿ **وله أسلم من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا** ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقال - تعالى -: ﴿ **إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدهم عدا. وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** ﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥].

ـ وعبودية خاصة يصطفي الله لها من يشاء من عباده الصالحين، وهي عبودية تشريف وتكريم، كما قال - تعالى - في الملائكة: ﴿ **بل عباد مكرمون** ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقال في نبينا محمد ﷺ : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** ﴾ [الإسراء: ١]، وقال في عموم الصالحين من عباده: ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٣].

ـ وهناك نوع ثالث من العبودية وهي التي تكون بين مخلوق ومخلوق، وهي عبودية خاصة محدودة ومؤقتة، وهي قسمان:

* مشروعة، وهي التي تكون عن حرب إسلامية للكفار، خولها الله للغانمين ولمن اشترى منهم، وجعل لها حقوقًا كثيرة ليس هذا موضع بسطها.

* غير مشروعة، وهي تكون عن سرقة أحرار أو التسلط عليهم ظلمًا وعدوانًا، أو تكون بشراء من هؤلاء، لقول النبي ﷺ : « **يقول الله - تعالى -: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطي بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه حقه** »[1].

رابعاً أهمية توحيد الألوهية ومنزلته من الدين

هذا التوحيد هو أعظم أنواع التوحيد وأهمها على الإطلاق، بل هو الذي يتبادر إلي الذهن عند إطلاق كلمة توحيد، ومن أبين الدلائل علي أهميته ما يلي:

أنه دعوة الرسل أجمعين، وأول ما يخاطب به الناس من أمور الدين، وهو معقد النجاة في الدنيا والآخرة.

ـ أما أنه دعوة الرسل أجمعين، فلقوله - تعالى -: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع: باب أثم من باع حرا ٢/٧٧٦ ح ٢١١٤ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – .

[النحل: ٣٦]، وقال - تعالى -: ﴿ **واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله** ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وقوله: ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله ﷺ : « **الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم**[1] **شتى ودينهم واحد** »[2] . فالدين واحد وهو التوحيد، والشرائع متفاوتة، لقوله تعالى: ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا** ﴾ [المائدة:٤٨]، وقد انعقد على هذا المعنى إجماع المسلمين.

ـ وأما أنه أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين، فلأن سائر الأعمال لا تقبل ولا تصح إلا به، فكما لا تقبل صلاة بلا بوضوء، لا تقبل عبادة بلا توحيد.

* قال - تعالى -: ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون** ﴾ [النحل: ٩٧]، فاشترط الإيمان مع العمل الصالح للحياة الطيبة في الدنيا والمثوبة الحسنة في الآخرة.

* وقال - تعالى -: ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرًا** ﴾ [النساء: ١٢٤]، فاشترط الإيمان مع العمل الصالح لدخول الجنة.

---

(١) أولاد العلات: هم الإخوة لأب من أمهات شتى، أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء: باب واذكر في الكتاب مريم... ٣/١٢٧٠ ح ٣٢٥٩ ومسلم في كتاب الفضائل: باب فضائل عيسى عليه السلام ٤/١٨٣٧ ح ١٤٥ كلاهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

* وقـــال – تعالى –: ﴿ **فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لســـعيه وإنا له كاتبون** ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، فاشترط الإيمان مع العمل الصالح ليشكر له سعيه، ويثاب عليه في الآخرة.

* وقال – تعالى –: ﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. بـــل الله فاعبد وكـــن من الشاكريـــن** ﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٦] وقال – تعالى –عن أنبيائه: ﴿ **ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾ [الأنعام:٨٨]، ولهذا قال ﷺ لمعاذ عندما بعثه إلى اليمن: « **يا معاذ، إنك تأتي قومًا من أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله – عز وجل –، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوقَّ كرائم أموالهم** »[1].

ـــ وأمـــا أنه معقد النجاة في الدنيا، فلأنه بالإقرار بالتوحيد والرسالة يثبت عقـــد الإســـلام وتعصم الدماء والأموال إلا بحقه. قال ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الـــناس حـــتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله** »[2].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة: باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٥٢٩/٢ ح ١٣٨٩ ومسلم في كتاب الإيمان: باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ٥١/١ ح ٣١ كلاهما عن ابن عباس – رضي الله عنه –

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله... ٥٢/١ ح ٣٣ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – .

فكل من أقر بالتوحيد والرسالة إقرارًا التزاميًّا، قاصدًا به الإجابة إلى الإيمان، فقد ثبت له عقد الإسلام، ووجب له بمقتضاه عصمة دمه وماله إلا بحق الإسلام ؛ من ردة بعد إسلام، أو زنًا بعد إحصان، أو قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ونحوه.

ـ وأما أنه معقد النجاة في الآخرة، فلقوله - ﷺ - وقد سئل: ما الموجبتان ؟ فقال: « **من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار** »[1] وقوله ﷺ: « **من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة** »[2] ، وقوله ﷺ : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة** » ، وفي رواية «**فيحجب عن الجنة** »[3]، ولقوله ﷺ لمعاذ: « **يا معاذ، تدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟** » قال: قلت: الله ورسوله أعلم قال: « **فإن حق الله على العباد، أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله - عز وجل - ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا** » قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس ؟ قال: « **لا تبشرهم فيتكلوا** »[4] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة... ٩٤/١ ح ١٥١ عن جابر - رضي الله عنه - .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ٥٥/١ ح٤٣ عن عثمان - رضي الله عنه -.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ٥٥/١ - ٥٦ ح ٤٤ - ٤٥ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ٤٩/١ ح ٤٩ عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - .

- أنه شعار الإسلام الذي يميزه عما سواه من الديانات سواء الوثنية منها أو الكتابية المحرفة، حتى أصبح إعلان التوحيد شعيرة يومية يكررها المسلم يوميًا تسع مرات في تشهده وخمس مرات في إقامته، ويستقبل بها المولود لحظة نزوله إلى الدنيا بما شرع من الأذان في أذنه اليمنى، ويودع بها المحتضر لحظة خروجه من الدنيا بما شرع من تلقين المحتضر.

- إن القرآن الكريم كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائه، ذلك أن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الأخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

خامساً الطريق إلى إثبات توحيد الألوهية

إن الطريق الفطري إلى إثبات توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية، فقد جبلت القلوب على التعلق بمصدر خلقها ومنشأ نفعها وضرها، ثم تنتقل بعد ذلك إلي الوسائل التي تقربها إليه وترضيه عنها، فتوحيد الربوبية هو المدخل

إلى توحيد الألوهية، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في مبحث توحيد الربوبية فلا نعيده منعاً للإطالة.

ولكن الذي نؤكد عليه في هذا المقام هو ضرورة الاهتمام بالدراسات والأبحاث التي تجدد الإيمان بالربوبية وتعمق في النفس الإيمان بتفرد الله وحده بالخلق والملك والرزق والتدبير، وتملأ القلوب يقيناً بأنه لا يسوق الخير إلا الله ولا يصرف السوء إلا الله، وأن ما بنا من نعمة فمن الله، فإن هذا هو الطريق إلى تجريد التوحيد في باب الألوهية وإزالة ما علق به من الغبش والمفاهيم المغلوطة بفعل فرق الضلالة وأهل الأهواء، وقد سبقت الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد احتج على المشركين بتوحيد الربوبية لإثبات توحيد الألوهية ودعوتهم إليه، وأرشد رسوله ﷺ إلى هذه الطريقة وأمره أن يدعو بها قومه، وحسبنا أن نتأمل موضعين في كتاب الله - عز وجل - للدلالة على هذه الحقيقة، الأول في سورة البقرة والثاني في سورة المؤمنون:

قال - تعالى -: ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢]، فتأمل كيف جعل من مظاهر تفرده بالربوبية في خلق الحاضرين والغابرين وتمهيد الأرض ورفع السماء وإنزال الماء منها وإخراج الرزق من الثمرات باباً إلى توحيد الألوهية وآية بينة على استحقاقه وحده للعبادة.

وقال - تعالى -: ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قـــل أفـــلا تذكرون. قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم. سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنى تسحرون** ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

فتأمل كيف استدل بتفرده بالربوبية وكمال التصرف وحمايته لمن يستجير به على استحقاقه وحده للعبادة ووجوب إفراده بالألوهية.

سادساً أركان توحيد الألوهية

لتوحيد الألوهية ركنان عظيمان:

ـــ إفراد الله بالمحبة والتعظيم والتأله.

ـــ إفراد الله بالطاعة والانقياد والتسليم.

وحول تفصيل القول في هذين الركنين وما شابههما لدى كثير من الناس من الخلل في واقعنا المعاصر سيكون حديثنا في الوحدتين التاليتين.

خلاصة الوحدة الرابعة

توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة قولاً وفعلاً وقصداً، والبراءة من كل معبود من دونه .

- **والعبادة** هي التأله والتذلل لله وحده، والانقياد له - سبحانه - بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه ، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، فكل أصول الدين وفروعه تندرج في معنى العبادة .

- اختزال مفهوم العبادة في باب الشعائر التعبدية فحسب من المفاهيم المغلوطة الشائعة بين الناس.

- أنواع العبودية:

١- عبودية كونية عامة لجميع الخلق في كل زمان ومكان وهي عبودية تسخير وتسيير .

٢- وعبودية خاصة يصطفي الله لها من يشاء من عباده الصالحين وهي عبودية تشريف وتكريم .

٣- وعبودية خاصة محدودة ومؤقتة ، وهي التي تكون بين مخلوق ومخلوق (الرق) وقد تكون مشروعة أو غير مشروعة تبعاً لسبب الرق من أسر للكفار أو سرقة للأحرار - على الترتيب.

- توحيد الألوهية هو أعظم أنواع التوحيد وأهمها على الإطلاق وذلك لما يلي:

١- أنـــه دعوة الرسل أجمعين ، وأول ما يخاطب به الناس من أمور الدين، وهو معقد النجاة في الدنيا والآخرة .

٢- أنه شعار الإسلام الذي يميزه عما سواه من الديانات.

٣- أن القرآن الكريم كله في التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفي شأن الشرك وأهله وجزائه .

- الطريق الفطري لإثبات توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية .

- لتوحيد الألوهية ركنان عظيمان:

١- إفراد الله بالمحبة والتعظيم والتأله .

٢- إفراد الله بالطاعة والانقياد والتسليم .

الاختبار البعدي للوحدة الرابعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيـــزي الدارس: ضع علامة (√) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (×) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- توحيد الألوهية هو الإيمان بوجوده - تعالى - وتفرده بالخلق والملك والرزق والتدبـــير.

٢- الطريق إلى إثبات توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية.

٣- توحـــيد الألوهـــية متضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

٤- توحيد الربوبية هو الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق كلمة التوحيد.

٥- جبلـــت القلـــوب على التعلق بمصدر نفعها وضرها، ثم تنتقل بعد ذلك إلى التماس الوسائل التي تقربها إليه.

٦- توحـــيد الألوهية هو الركن الأول والأكبر في الإسلام قبل الصلاة والصيام والزكاة والحج.

٧- توحيد الألوهية هو توحيد العبادة، وهو التوحيد الطلبي الإرادي.

٨- كـــل مـــا هو من أركان الدين وفرائض الإسلام هو من لوازم ومقتضيات توحيد الألوهية.

٩- العبادة هي: أركان الإسلام الخمسة من إقرار بالشهادتين، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج.

١٠- أصل العبادة: الحب والتذلل والخضوع لله وحده.

١١- سميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لكونها الصورة الوحيدة لتحقيق مفهوم العبادة.

١٢- العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من أفعال المكلفين.

١٣- ترتكز تعريفات السلف للعبادة على معناها الأعم وهو طاعة الله - تعالى - بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

١٤- التحاكم إلى شريعة الله من مسائل أصول الدين التي لا تندرج في معنى العبادة.

١٥- يطلق لفظ العبادة على الأعمال الصالحة في الظاهر، بينما يطلق لفظ الإخلاص على الأعمال القلبية في الباطن.

١٦- أصول الدين وفروعه داخلة في معنى العبادة.

١٧- اختزال مفهوم العبادة في باب الشعائر التعبدية فقط مفهوم خاطئ نشأ منذ بدء دعوة النبي ﷺ إلى الإسلام.

١٨- خلق الله - تعالى - الجن والإنس لعبادته، ثم قد يعبدوه أو لا يعبدوه.

١٩- الحكمة في خلق الجن والإنس حكمة كونية قدرية لا يسع أحد من المكلفين مخالفتها.

٢٠- المشركون في عبادة الله خالفوا إرادته الدينية الشرعية وإرادته الكونية القدرية.

٢١- المشركون في عبادة الله خالفوا إرادته الشرعية الدينية فحسب.

٢٢- الشرط الوحيد لقبول العبادة عند الله تحقق شرط الإخلاص في القيام بها.

٢٣- اجتناب الشرك ليس شرطاً في صحة العبادة، إنما هو شرط كمال لها.

٢٤- لا يتقبل الله الأعمال الصالحة ابتداءً إلا إذا توفر في فاعلها شرط التوحيد.

٢٥- الأمـــور الدنـــيوية، والعادات الضرورية للإنسان لا يجوز أن تلتحق بأبواب العبادات.

٢٦- إطلاق لفظ العبادة على معاشرة الرجل أهله، أو مداعبته أبناءه من الاستهزاء بدين الله.

٢٧- تتحول العاديات مع النية الصالحة واتباع الشرع إلى عبادات.

٢٨- يقـــبل الله - تعـــالى - بعدله المطلق- الأعمال الصالحة من المشركين إذا ما أدوها بتجرد لله وحده.

٢٩- العبودية بين المخلوق والمخلوق باطلة من جميع الوجوه.

٣٠- العبودية الكونية العامة هي مناط النجاة في الآخرة.

٣١- العـــبودية الكونية العامة هي عبودية تشريف وتكريم، لكون الله يصطفي لها الصالحين من عباده.

٣٢- العبودية الخاصة يصطفي الله لها الصالحين من عباده فحسب دون غيرهم.

٣٣- كل من في السموات والأرض مسلمون لله طوعاً وكرهاً من باب عبوديتهم الكونية العامة له - سبحانه وتعالى -.

٣٤- تعبير " الديانات السماوية " من العبارات المغلوطة الشائعة في واقعنا المعاصر.

٣٥- الرسالات السابقة دعت كلها إلى الإسلام لله رب العالمين.

٣٦- أساس الدين في شريعة كل رسول: توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان به وبرسله.

٣٧- دعت الرسل أقوامهم إلى توحيد الله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فقط.

٣٨- التوحيد الذي هو أصل دين الإسلام هو عبادة الله وحده بمقتضى ما شرع على لسان نبيه ﷺ.

٣٩- كان الناس أمة واحدة على التوحيد والإيمان، ثم اختلفوا بعد ذلك بينهم بسبب دعوة الشيطان إلى عبادة غير الله.

٤٠- يثبت عقد الإسلام بالإقرار بالتوحيد سواءً أكان إقراراً خبرياً أم التزامياً.

٤١- الإقرار بتوحيد الألوهية يتحقق بالعلم بمعناه، والتصديق القلبي به فحسب، والتعبير عن ذلك بالنطق بالشهادتين.

٤٢- العلم بمعنى توحيد الألوهية شرط في نفع صاحبه في الآخرة ودخوله الجنة.

٤٣- أثبتت النصوص أن التلفظ بالشهادتين كاف لدخول المرء الجنة والنجاة من النار.

٤٤- كل من اعتقد دين الإسلام اعتقاداً جازماً ونطق بالشهادتين، فقد نجا من دخول النار ابتداءً.

٤٥- كلما ازداد الإنسان علماً بشيء من الدين، وعمل بمقتضاه، ازداد تحقيقاً لمعنى توحيد الألوهية.

٤٦- عـــم الجهل بالتوحيد في الأمة الإسلامية اليوم، مما أدى إلى وقوع الكثيرين- دون أن يشعروا- في الشرك المنافي له.

٤٧- مشـــركو العرب كانوا لا يعلمون معنى توحيد الألوهية ومقتضياته، لذا وقع منهم الشرك فيه.

٤٨- الشـــرك هو أعظم الذنوب على الإطلاق لأنه سبب لحبوط العمل، ولا يُغفَر لمن لم يتب منه.

٤٩- العبودية بين المخلوق والمخلوق ممنوعة مطلقاً.

٥٠- يقوم توحيد الألوهية على ركنين وهما: إفراد الله بالمحبة والتعظيم، وإفراد الله بالقصد والتأله.

ثانياً: أسئلة المقال:

س١: عرف العبادة، مع بيان ما حدث في مفهومها من الغلط.

س٢: اذكر أنواع العبودية مع الاستدلال لكل منها من الكتاب أو السنة.

س٣: اذكر أوجه أهمية توحيد الألوهية، مع ذكر الأدلة من الكتاب أو السنة.

س٤: ما الطريق إلى إثبات توحيد الألوهية؟ مع التمثيل من القرآن.

س٥: ما أركان توحيد الألوهية التي لا يتم إلا باستيفائها جميعًا؟

س٦: اختر الإجابة الصحيحة:

أ – توحيد الألوهية: هو اعتقاد وجود الإله واتصافه بالخلق والرزق والتدبير.

ب- توحيد الألوهية: هو التوجه بالعبادة لله شكرًا له على نعمه.

ج – توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة قولاً وفعلاً وقصدًا، والبراءة من كل معبود من دونه.

د – توحيد الألوهية: هو مناط دخول الجنة في الآخرة، أما في الدنيا فيستوي الحكم بينه وبين توحيد الربوبية في التفريق بين الإيمان والكفر.

النشاط التعليمي للوحدة الرابعة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

من خلال دراستك لهذه الوحدة، واستعانتك ببعض المصادر الأخرى، اكتب بحثاً عن أهمية توحيد الألوهية، والطريق إلى إثباته.

الوحدة الخامسة
توحيد القصد
والتأله

الوحدة الخامسة: توحيد القصد والتأله

أهمية دراسة الوحدة:

أشار القرآن الكريم إلى إفراد الله تعالى بالعبادة والخضوع بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقديمًا اتخذ أهل كل دار من الكفار في دارهم صنماً يعبدونه من دون الرحمن، فإذا أراد رجل منهم سفراً تمسح به فيكون آخر عهده وأول عهده، فلما بعث الله النبي محمداً ﷺ بالتوحيد قال المشركون من قريش: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥].

و تلاعبُ الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام قديمًا له أسباب عديدة، فقد تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم: فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام علي صورهم كما كان قوم نوح – عليه السلام –: ﴿ وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ [نوح:٢٣]، كما أن طائفة أخرى قد اتخذت الشمس إلهاً، وطائفة قد عبدت القمر، والكوكب، وكل ذلك من تلاعب الشيطان بعقول أولئك الضالين المشركين.

وقد أمر الله عباده أن يتوجهوا إليه بالدعاء والمسألة والاستغاثة، بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، كما أن الله هو المعيذ لخلقه من كل سوء، من استعاذ به ولجأ إلى حماه عصمه وأعاذه من كل سوء.

فكن حريصًا – عزيزي الدارس – على التعلم والاستفادة وإدراك الأحكام التي سوف تشتمل عليها هذه الوحدة.

❁ الأهداف التعليمية للوحدة الخامسة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- تبين معنى توحيد القصد والتأله، مبينًا ضرورة البعد عن الغلو في الدين.

٢- تقارن بين كل من الدعاء والاستغاثة والاستعاذة، مع التفصيل للجوانب المرتبطة بكل منها.

٣- تكتب حول موضوع الخوف والمحبة مبيناً تعريف الخوف وأقسامه، وكذلك المحبة ونوعيها.

٤- تبين بطلان النذر لغير الله تعالى.

٥- تصنف صور الذبح في الإسلام، مع ذكر مثال لما تقول.

٦- تشرح بالتفصيل الموضوعات التالية: السحر – التنجيم – الرقى – التمائم؛ مع تصنيف الأحكام المرتبطة بكل منها.

٧- تقف على القول الصحيح في حكم الحلف بغير الله، مبيناً أنواع الحلف بغير الله تعالى ، وحكم كل نوع منها.

الوحدة الخامسة

توحيد القصد والتأله

أولاً: معنى توحيد القصد والتأله

- تعريفه.
- أصل الأصنام والسبب في عبادتها.
- نهـــي النبي ﷺ عن الغلو في الدين، ونفي علم الغيب عن نفسه.
- الخرافيون وغلاة القبوريين.

ثانياً: الدعاء والاستغاثة والاستعاذة

- الدعاء (دعاء المسألة – دعاء العبادة).
- الاســـتغاثة (مراتب الأدعية البدعية – التوســـل المشـــروع – الخلط بين التوسل والاستغاثة تلبيس ومكابرة).
- الاستعاذة.

ثالثاً: الخوف والمحبة

أولاً: الخوف: أقسام الخوف:

- خوف السر أو الخشية بالغيب.
- ترك بعض الواجبات خوفاً من الناس.
- الخوف الطبيعي.

ثانياً: المحبة: (المحبة لله – المحبة مع الله).

رابعاً: النذر والذبح

أولاً: النذر:

- النذر لغير الله باطل من وجوه كثيرة.

ثانياً: الذبح:

- صـــور الذبح: له صور عديدة منها: أن يذبح لغير الله تقرباً إليه، وتعظيماً له، و...

خامساً: السحر والتنجيم والرقى والتمائم

أولاً: السحر: لغة واصطلاحاً.

- مـــن الســـحر ما هو حقيقة وليس تخيلاً.
- حكم السحر، والساحر.
- من أنواع السحر:النشرة.

ثانياً: التنجيم: جائز – ومحرم.

ثالثاً: الرقي والتمائم وحكمهما.

سادساً: الحلف بغير الله

- حكم الحلف بغير الله.
- هل يجوز الحلف بالنبي ﷺ؟
- هل يجوز الحلف بالمصحف؟

أولاً معنى توحيد القصد والتأله

هـــو إفراد الله بالتأله والتنسك، والتوجه إليه وحده بسائر أنواع العبادات القولية والعملية؛ كالحب والتعظيم، والرغبة والرهبة، والإنابة والرجاء والتوكل، والدعاء والاستغاثة، والذبح والنذر، والركوع والسجود، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ لاَ شَـــرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]. فأمر الله تعـــالى نبـــيه ﷺ أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم، وأنه متوجه بكل أعماله إلى الله وحده لا شريك له.

وقد كان الغلو في الصالحين أساس الشرك في بني آدم، فقد صارت الأصنام الـــتي كانت في قوم نوح في العرب، وكانت في الأصل صور رجال صالحين فلم يزل الشيطان بأوليائه حتى زين لهم عبادتها من دون الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ [نوح: ٢٣]، وقـــد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: صارت الأوثان التي كانت في قـــوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانـــت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعـــوق فكانت لهمذان، وأما نسر فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صـــالحين مـــن قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى

مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت.

ولهذا نهى النبي ﷺ عن الغلو فقال ﷺ : « **لا تطروني**[1] **كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله** »[2].

وقال ﷺ : « **إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[3].

وعندما سمع النبي ﷺ جارية تنسب إليه علم الغيب نهاها عن ذلك لما يتضمنه من الغلو، فقد روى البخاري في صحيحه عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: جاء النبي ﷺ يدخل حين بُني عليّ فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد! فقال: «**دعي هذه، وقولي بالذي كنت تقولين**»[4].

وقد ضل الخرافيون وغلاة القبوريين في واقعنا المعاصر في هذا الباب، فاتخذوا من الأولياء والصالحين أندادًا يحبونهم كحب الله، وتوجهوا إليهم بكثير

---

(١) الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء: باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ٣ ١٢٧١ ح ٣٢٣١ عن عمر ﷺ.

(٣) أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج: باب التقاط الحصى ٢٦٨/٥ ح ٣٠٥٧ وابن ماجه في كتاب مناسك الحج: باب قدر حصى الرمي ١٠٠٨/٢ ح ٣٠٢٩، وأحمد في المسند: ٢١٥/١، ٣٤٧ كلهم عن ابن عباس ﷺ. وإسناد النسائي صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي: باب شهود الملائكة بدرًا ١٤٦٩/٤ – ١٤٧٠ ح ٣٧٧٩.

من ألوان العبادات كالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحوه، وسرى هذا الباطل في الأمة مسرى النار في الهشيم، ولكن الله عز وجل قد قيض لهذا الدين من ينفي عنه تحريف الغالين وتأويل المبطلين وانتحال الجاهلين، فانبعث المجددون من دعاة التوحيد الخالص يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله، ويوطئون للحق مهادًا في أرض الله، ويقومون بحجة الله على عباد الله.

ولم تكـــن معركة التوحيد يومئذ قاصرة على مواجهة ضلال القبوريين في باب النسك، بل تعدت ذلك إلى مواجهة شرك العلمانيين في العدول عن شريعة الله.

وسوف نتناول في هذه الوحدة بعض صور العبادة التي ضل فيها كثير من القبوريين ومن دار في فلكهم فتوجهوا بها لغير الله، ثم نتناول بقية الجوانب تباعًا في الوحدات التالية بإذن الله.

ثانياً الدعاء والاستغاثة والاستعاذة

أ- الدعاء:

الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. ويراد به فـــي القرآن هذا تارة وهذا تارة، وقد يراد به مجموعهما.

- **فدعاء المسألة:** هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر. ولهذا أنكر القرآن على من يدعو أحدًا من دون الله ممن لا يملـــك ذلك، قـــال تعـــالى: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً

مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وهذا الدعاء متضمن لدعاء العبادة، لأن السائل أخلص سؤاله لله، ورغب إليه بخضوع وتذلل، وذلك من أفضل العبادات، ولهذا فقد سمته نصوص الكتاب والسنة عبادة، فمن جحد ذلك فقد صادم النصوص واللغة واستعمال الأمة.

ومن الأدلة على أن هذا الدعاء من العبادة ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

- قوله ﷺ : « **إن الدعاء هو العبادة** »[1].

- **ودعاء العبادة**: هو سائر القربات من ذكر وتلاوة وصلاة ونسك، وسميت هذه الأشياء دعاء إما لأنها بمنزلته في استيجاب ثواب الله وجزائه؛ لأن من شغلته عبادة ربه عن دعائه فإن الله عز وجل يعطيه أفضل ما يعطي السائلين، أو باعتبار كون الذاكر والتالي والمصلي والمتقرب بالنسك طالبًا في المعنى، وقد

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة: باب الدعاء ٢/٧٧ ح ١٤٧٩، والترمذي في كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة البقرة ٤/٤٥٢ ح ٢٩٨٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه في كتاب الدعاء: باب فضل الدعاء ٢/١٢٥٨ ح ٣٨٢٨، وأحمد في المسند: ٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦ كلهم عن النعمان بن بشير ﷺ.

شـــرع الله في الصلاة من دعاء المسألة ما لا تصح الصلاة إلا به، كما في الفاتحة وبين السجدتين والتشهد، وذلك عبادة كالركوع والسجود.

وهكذا فإن دعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة، ودعاء المسألة يتضمن دعاء العـــبادة، ولـــيس اســـتعمال لفظ الدعاء في الدلالة على هذين المعنيين من قبيل استخدام اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هو استعمال في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعًا.

ب- الاستغاثة:

أمـــا الاستغاثة: فهي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة. والفرق بينها وبين الدعـــاء أنها لا تكون إلا من المكروب بخلاف الدعاء فإنه أعم من ذلك، فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص، فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة.

وقـــد أمرنا الله عز وجل بدعائه وحده، وحذرنا من أن ندعو معه أو من دونه آلهة أخرى، وقد استفاض هذا المعنى في القرآن الكريم والسنة المطهرة. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ [الجن: ١٨].

وقـــال تعـــالى: ﴿ وَقَـــالَ رَبُّكُـــمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى مشيرًا إلى عبثية دعاء غير الله، وأن الأنداد لا يملكون لأنفسهم - فضلا عمن يلوذ بهم - شيئًا: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

وقال تعالى ناعيًا على المشركين عبادة غير الله، ومبينًا عجز هذه الآلهة: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩١- ١٩٥]. وفي هذه الآيات إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأوثان وهي مخلوقة لله عز وجل، لا تملك شيئًا من الأمر: فلا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا تبصر، ولا تنتصر لعابديها، بل إن عابديها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم، فكيف ساغ لهم عبادتها من دون الله ؟!

وقـــال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَراً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً ﴾ [الفرقان: ٣] فإذا كانت هذه الأنداد لا تملك لنفسها شيئًا فكيف تملكه لعابديها ؟! وإذا كانت عاجزة لا تقدر على شيء فكيف يسوغ أن تعبد ؟!

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَـنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَـرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧]، فهـذه الآلهة التي يزعمونها من دون الله لا تملك كشف الضر عن عابديها فكـيف تسـتحق أن تعبد من دون الله ؟! وإن تعجب فعجب أن بعض هؤلاء الأنداد قد أسلموا لله وأنابوا إليه، ولا يزال المشركون يتعبدون لهم من دون الله، ففـي الصحيحين في معنى هذه الآية عن عبد الله بن مسعود قال: كان نفرٌ من الجن أسلموا، وكانوا يعبدون، فبقي الذين كانوا يعبدون على عبادتهم، وقد أسلم الـنفر من الجن[1] !! وفي رواية عند مسلم كان نفر من الإنس يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم النفر من الجن واستمسك الإنس بعبادتهم فنـزلت: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُـونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ ﴾. وقال ﷺ : **"إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعـن بالله"**[2] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير: باب ومن سورة بني إسرائيل ١٧٤٨/٤ ح ٤٤٣٨. ومسلم في كتاب التفسير: باب في قوله تعالى: أولئك الذين يدعون... ٢٣٢١/٤ ح ٢٨ - ٢٩.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة: باب رقم (٥٩) ح ٢٥٢٤ وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد في المسند: ٢٩٣/١، ٣٠٣، ٣٠٧ كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما .

أما الاستغاثة فلا تطلب من المخلوق إلا فيما يقدر عليه، كقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص: ١٥].

أما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يطلب إلا من الله، فإن استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق، أو كاستغاثة السجين بالسجين، فمن توجه إلى غير الله بدعاء أو استغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك بالله العظيم؛ لأنه صرف حق الربوبية عمن يستحقه وتوجه به لمن لا يستحقه، وضابط ذلك أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة، وصرفه لغير الله إشراك بالله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والدعاء من جملة العبادات، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم مع أن هذا أمر لم يأمر به الله ولا رسوله أمر إيجاب ولا استحباب كان مبتدعًا في الدين، مشركًا برب العالمين، متبعًا غير سبيل المؤمنين»[1].

مراتب الأدعية البدعية:

ومما يجدر التنبيه عليه أن الأدعية البدعية على ثلاث مراتب:

الأولى: دعاء غير الله من الموتى أو الغائبين، سواء أكانوا من الأنبياء والصالحين أو غيرهم، والتوجه إليهم في قضاء الحوائج أو كشف الكروب، فهذا هو الشرك بالله، فطلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم هو أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلاً

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢١٣/١.

عمن استغاث به، كذلك الغائب فإنه ليس له من الأمر من شيء، وإنما الأمر كله لله، فاستغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق أو كاستغاثة السجين بالسجين!

ومن أمثلة ذلك قول بعض الضلال والجهال: يا سيدي فلان أغثني أو انصرني على عدوي، وأقبح منه من يناديه فيقول: اغفر لي وتب عليّ ! ولقد سمعنا عن بعض البلاد أنه إذا هطل المطر بشدة هتف القبوريون: « يا سيدي عبد القادر، الطف بعبادك ! »، فكل هذا شرك وضلال يستتاب منه صاحبه، فإن تاب وإلا قتل.

الثانية: طلب الدعاء من الميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين، كأن يقول: ادع الله لي، أو: اسأل الله لنا، كما تقول النصارى لمريم وغيرها، وهذا من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الأمة، ولا يستريب عالم في حرمة ذلك وعدم جوازه، ذلك أنه إذا كان لا يشرع للمسلم أن يقصد الصلاة إلى القبور، ولا أن يقصد القبور عند الدعاء لله تعالى، فلأن يسأل الميت نفسه أولى بعدم الجواز.

فعلم أنه لا يجوز أن يسأل الميت شيئًا، لا أن يطلب منه أن يدعو الله له ولا غير ذلك، ولا يجوز أن يشكوَ إليه شيئًا من مصائب الدنيا والدين، ولو جاز أن يشكوَ إليه ذلك في حياته، فإن ذلك في حياته لا يفضي إلى الشرك وهذا يفضي إلى الشرك، ولا يلزم من جواز الشيء في حياته جوازه بعد موته، فهذا بيت

رسـول الله ﷺ تحـرم الصلاة فيه أو اتخاذه مسجدًا بعد أن دفن فيه - بأبي هو وأمي ﷺ أما قبل ذلك فهذا كله جائز ومشروع.

وقـد كان أصحابه ﷺ يبتلون بأنواع من البلاء بعد موته؛ فتارة بالجدب، وتـارة بنقص الرزق، وتارة بالخوف وقوة العدو، وتارة بالذنوب والمعاصي، ولم يكـن أحد منهم يأتي إلى قبره ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء فيشتكي إليه ذلك، أو يسأله الدعاء برفع هذا البلاء، بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثة، فهو مما علم بالاضـطرار من دين الإسلام، وبالنقل المتواتر، وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرعه لأمته.

الثالثة: التوسل إلى الله بذات أحد من الصالحين أو بجاهه، وهو من البدع المحدثـة، لأن جاه أولياء الله وإن كان عظيمًا عند الله وخاصة سيد الأولياء محمد ﷺ إلا أنـه ليس سببًا شرعيًا ولا عاديًا لاستجابة الدعاء، ومن ثم لم يعرف عن صـحابة رسول الله ﷺ أنهم توسلوا به ﷺ بعد وفاته وهم خير القرون وأعرف الناس بحقه ﷺ وأحبهم له.

أمـا قول عمر بن الخطاب: " اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا "؛ فهو توسل بدعائه وشفاعته، وليس توسلاً بذاتـه أو بجاهـه ؛ إذ لـو كان التوسل بالذات أو الجاه مشروعًا لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول ﷺ إلى السؤال بالعباس، فلفظ التوسل في عرف الصحابة ولغتهم هو التوسل والتوجه بدعائه وشفاعته.

ومما هو جدير بالذكر أن خلافاً قد وقع في هذا التوسل، فأجازه أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين والعز بن عبد السلام والشوكاني، ولكن جمهور أهل العلم على رده.

التوسل المشروع:

وإذا كان التوسل بالجاه أو الذات ليس بمشروع كما سبق، فإن من التوسل ما هو مشروع بلا نزاع، وهو ما يلي:

ـ **الأول**: التوسل إلى الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهو مشروع بالإجماع.

ـ قال تعالى: ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه** ﴾[الأعراف: ١٨٠]، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين** ﴾ [النمل: ٢٠].

وقد كان من أدعيته ﷺ قوله: «**ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث** »[(١)]، وقوله: « **أعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك** »[(٢)].

ـ **الثاني**: التوسل إلى الله جل وعلا بدعاء الأحياء الصالحين من عباده، قال تعالى مخبرًا عن أبناء يعقوب: ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا**

(١) أورده الهندي في كنز العمال ٦٥٩/٢ ح ٥٠٠٢ وعزاه لابن النجار.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٢/١ ح ٢٢٢ عن عائشة – رضي الله عنها –.

خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٧ - ٩٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ [النساء: ٦٤]. وقد طلب بعض الصحابة من النبي ﷺ حينما تأخر عنهم المطر أن يستسقي لهم فسأل ﷺ ربه فاستجاب له.

ـ **الثالث**: التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، وهو مشروع بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، ومنه ما كان في قصة أصحاب الغار الذين توسلوا إلى الله جل وعلا بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم، ومنه كذلك التوسل إلى الله جل وعلا بحب النبي ﷺ واتباعه لأنه من جنس التوسل بالعمل الصالح، بل إن محبة الله ورسوله أصل دين الإسلام، والأساس الذي تبنى عليه سائر الأعمال الصالحات.

وقد خلط بعض الناس بين التوسل والاستغاثة، فزعموا أن الاستغاثة بمعنى التوسل، وأن قول القائل في دعائه: أستغيث برسولك عندك، كقوله: أتوسل إليك برسولك، وأن هذا كله يعد استغاثة بالرسول ﷺ في لغة العرب وجميع الأمم ! وإذا كانت الاستغاثة كالتوسل فالأمر فيها قريب، وفي المنع منها خلاف!

وهذا تلبيس واضح، فلم يقل أحد: إن التوسل بالنبي أو بالصالح هو استغاثة به فالمستغيث بالنبي أو بالولي طالب منه وسائل له، أما المتوسل بهما فإنه لا يدعوهما ولا يطلب منهما وإنما يطلب بهما، وفرق بين المدعو والمدعو به. وعلى هذا فقول القائل: إن من توسل إلى الله بنبي فقد استغاث بذلك النبي

حقيقة في لغة العرب وجميع الأمم كذب وبهتان، فما يعرف هذا في لغة أحد من بني آدم إلا على سبيل التجوز، ولكن الجميع يعلمون أن المستغاث مسئول مدعو، ويفرقون بين المسئول والمسئول به.

فإذا ثبت عن معين أنه قصد باستغاثته بالنبي ﷺ أو الولي مجرد التوسل بهما إلى الله عز وجل، كما قد يقع ذلك أحيانًا من العامة، فلابد أن يبين له الفرق بينهما ولا يصار إلى تكفيره بمجرد ذلك لتخلف قصده إلى الشرك، وغاية القول فيه وفي أضرابه أنه من جهال أهل البدع وعوامهم، وأنه يجب أن تقام عليه الحجة الرسالية التي ترفع الجهالة وتزيل الالتباس.

جـ - الاستعاذة :

الاستعاذة: هي الالتجاء والاعتصام، فالعائذ بالله قد التجأ إلى الله والتصق بجنابه، واعتصم به من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير، والاستعاذة بالله من العبادات التي أمر الله بها عباده.

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق: ١-٢]. وعلى هذا فمن استعاذ بغير الله فقد أشرك في عبادة ربه ونازعه في ألوهيته؛ لأن كل ما كان عبادة لله كان صرفه لغير الله شركًا في العبادة.

وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، وكان هذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴾ [الجن: ٦].

فالاستعاذة بالله من العبادات التي أمر الله بها في كثير من الآيات، فمن صرف شيئًا منها لغير الله فقد جعله شريكًا لله في عبادته، وقد كان الرجل من العرب إذا نزل واديًا مقفرًا للمبيت فيه، وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه - يريد كبير الجن-، فتعاظم الجن في أنفسهم لما رأوا من استعاذة الإنس بهم وزادوهم رهقًا - أي: خوفًا وإرهابًا وذعرًا - حتى تشتد مخافتهم منهم ويكثر تعوذهم بهم.

ثانياً الخوف والمحبة

أولاً: الخوف:

الخوف من الله من أفضل مقامات الدين وأجلها، وهومن أجمع أنواع العبادة التي أمر الله جل وعلا بإخلاصها له.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١]. وقد أثنى الله جل وعلا على الملائكة فقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠].

ووعد - سبحانه - من حقق مقام الخوف منه بجنتين، فقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وبيّن أن من خافه في الدنيا أمنه في الآخرة ووقاه عذابها، فقال تعالى حاكيًا عن عباده الصالحين: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴾ [الإنسان: ١٠- ١١]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾[الطور: ٢٦- ٢٧]. وأخرج البخاري في صحيحه عن حذيفة عن النبي -ﷺ- قال: « **كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله، فقال لأهله: إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف، ففعلوا به فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت ؟! قال ما حملني عليه إلا مخافتك، فغفر له** »[1] فهذا الرجل حمله خوفه من الله وجهله بعموم قدرة الله على أن أوصى أولاده بما ذكر فرحمه الله وغفر له!

أقسام الخوف :

وينقسم الخوف إلى ثلاثة أقسام:

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل: ٣/١٢٧٢ - ١٢٧٣ ح ٣٢٦٦.

(١) **خـــوف السر أو الخشية بالغيب**، وهذا عبودية القلب، بل هو أجمع أنـــواع العبادة، فيجب إخلاصه لله تعالى، فإذا صرف لغير الله تعالى فذلك هـــو الشـــرك، كمن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، كما قـــال تعالى عن قوم هود - عليه السلام - أنهم قالوا له: ﴿ **إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْـــضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ** ﴾ [هـــود: ٥٤ - ٥٥]، وكما خوّف المشركون نبيـــنا - ﷺ - بطواغيتهم فقـــال تعالى: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ** ﴾ [الزمر: ٣٦].

وكما يقع من القبوريين حيث يخشون أولياءهم كخشية الله أو أشد خشية ويخوفون بهم أهل التوحيد إن هم أنكروا عليهم ما هم فيه من شرك وضلال.

(٢) **تـــرك بعـــض الواجبات خوفًا من الناس**، وهذا محرم، وهو نوع من الشـــرك بالله المنافي لكمال التوحيد؛ قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فهو يخوف المؤمنين بجنده لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف ولا ينهوهم عـــن مـــنكر، وقد نهى الله عن هذا الخوف، فكلما قوي إيمان العبد زال خوف أولياء الشيطان من قلبه، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم، فدلت الآية على أن إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان.

(٣) **الخوف الطبيعي**، وهو الخوف من سبع أو عدو أو غير ذلك، وهذا لا يـــذم قـــال تعالى: ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ** ﴾ [القصص: ٢١]. وقـــال تعالى: ﴿ **قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى** ﴾ [طه: ٤٥]. وهذا

أمـــر جـــبِلّي يتفاوت الناس فيه، ولكنه ليس من باب الشرك في شيء، وقد سئل النبي ﷺ: أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: « **نعم** »[1].

ثانيًا: المحبة:

العـــبادة: هي كمال المحبة وكمال الخضوع، فمحبته عز وجل بتأله وذلة هـــي أصـــل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه، وهذه تستلزم الخوف والتعظيم والإجلال، وهي على هذا النحو لا تصلح إلا لله تعالى، فمن أحب من دونه شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دونه أندادًا، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ الـــنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحدًا من أهل الأرض لم يثبت هـــذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم، والمقصود أن محبتهم لأندادهم من جنس محبة المؤمنين لربهم، فهي محبة ممتزجة بالذل والتعظيم والتقديس، فتحملهم على عبادتهم بالدعاء وغيره من أنواع العبادة، **وهذه المحبة الشركية وهي المحبة مع الله تختلف عن المحبة في الله.**

- **فالمحـــبة في الله** لـــيس فيها شيء من شوائب الشرك، كالاعتماد عليه ورجائـــه في حصول مرغوب أو دفع مرهوب، وهي واجبة تابعة لمحبة الله ولازمة لها، وهي تزداد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها، فكل من كان محبًا لله فإنمـــا يحب في الله ولأجله عباده الصالحين وعلى رأسهم سيد المرسلين، كما

(١) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الكلام: باب ما جاء في الصدق والكذب ٢/٩٩٠ ح ١٩ وهو حديث حسن مرسل.

يحـــب الإيمان والأعمال الصالحات ويكره الفواحش والمنكرات، وهذه المحبة من كمال التوحيد.

- **أمـــا المحبة مع الله** فهي المحبة الشركية لما فيها من التأله لغير الله، والتعلق به، والرغبة إليه من دون الله، وهي التي عناها الله عز وجل بقوله: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وإنما كانت شـــركًا لما يتعلق في قلوب أصحابها من التأله الذي لا يكون إلا لله، فهي تتضمن تســـوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿ **تاللهِ إنْ كنا لفي ضلال مبين، إذ نسويكم برب العالمين** ﴾ [الشـــعراء: ٩٧ - ٩٨] مع إقرارهم بأن آلهـــتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة.

وهذا هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله، بل إن أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحدٌ ربَّ العالمين، وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث الحَرِب، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئًا رضوا عنه و لم تتنكر له قلوبهم، بل ترى أحدهم يتخذ من ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه دينًا له إن قام وإن قعد وإن عثر وإن مرض وإن استوحش، فذكر إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده، ووسيلته إليه، وهكذا

كان عباد الأصنام سواء بسواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون من بعدهم بحسب اختلاف أهوائهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

– **أمـــا ما كان من جنس المحبة الطبيعية**، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة المال والولد ونحوه، فهي ليست من هذه الأبواب، وإنما تدخل في نطاق المباحات، ما لم تستلزم ترك واجب أو جرأة على معصية.

رابعاً النذر والذبح

أولاً: النذر:

الوفاء بالنذر عبادة من العبادات، ولهذا جاء الأمر به في مثـــل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٩]، وقد مدح الله من فعل ذلك طاعة له وقياماً بما تقرب إليه فقال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ [الإنسان: ٧].

وقد أمر رسول الله ﷺ بالوفاء بالنذر إذا كان نذر طاعة، وعلى ذلك أجمع العلماء، إلا ما حكي عن أبي حنيفة أنه لا يلزم الوفاء إلا بما كان جنسه واجبًا بأصل الشرع كالصوم، وأما ما ليس كذلك كالاعتكاف فلا يجب عليه الوفاء به.

وقال ﷺ : " **«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»**"[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور: باب النذر في الطاعة ٦/ ٢٤٦٣ ح ٦٣١٨ عن عائشة – رضي الله عنها –.

ولما كان النذر عبادة لأنه يجب الوفاء به إذا نذره لله، فإن النذر لغير الله كهذه النذور الواقعة من القبوريين تقربًا بها للأولياء لقضاء حوائجهم والشفاعة لهم - شرك في العبادة بلا ريب، لما يتضمنه من تعظيم المنذور له والتقرب إليه بذلك، ولأن الوفاء به له عبادة، والعبادة يجب أن تكون لله وحده، وهو نذر معصية باتفاق المسلمين ولا يجب الوفاء به لأنه بمنـــزلة الحلف بالمخلوقات، والحلف بالمخلوقات والنذر لها كلاهما شرك، والشرك ليس له حرمة فلا يجب الوفاء بشيء من ذلك.

أما الناذر لله فقد علق رغبته به وحده، لعلمه بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله، بخلاف الذي نذر لغيره تعالى فقد علق رغبته بغيره عز وجل، ووزع قصده بين الله وبين شركائه الذين زعمهم، ومن هنا كان الشرك لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب، فالعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركًا بالله.

والنذر لغير الله باطل من وجوه كثيرة منها:

- أنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق.

- ومنها أن المنذور له ميت، والميت لا يملك شيئًا.

- ومـــنها أنـــه ظن أن الميت يتصرف في الأمور، وأن له تأثيرًا حقيقيًا في قضاء حاجته وإلا لما نذر له، واعتقاد ذلك كفر.

- ومـــنها أنـــه يخاف بطش الميت ونقمته إذا لم يوف بنذره، فهو إذن قد اعتقد قدرته على النفع في البداية، وقدرته على الإضرار - عند عدم الوفاء - في النهاية، والشرك في ذلك ظاهر.

يقول ابن قدامة: "لا يصح نذر الشمع والزيت وأشباهه للأماكن التي فيها قبور، فقد لعن النبي ﷺ المتخذين عليها المساجد والسرج"(١).

وجاء في الدر المختار: " واعلم أن النذر الذي يقع للأموات من أكثر العوام وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها إلى ضرائح الأولياء الكرام تقربًا إليهم فهو بالإجماع باطل وحرام ما لم يقصدوا صرفها لفقراء الأنام، وقد ابتلي الناس بذلك ولاسيما في هذه الأعصار، وقد بسطه العلامة قاسم في شرح درر البحار، ولقد قال الإمام محمد: لو كانت العوام عبيدي لأعتقتهم وأسقطت ولائي وذلك لأنهم لا يهتدون، فالكل بهم يتعيرون "(٢) .

وعلق ابن عابدين على ذلك في الحاشية فقال: " ولا يخفى على ذوي الأفهام أن مراد الإمام بهذا الكلام إنما هو ذم العوام، والتباعد عن نسبتهم إليه بأي وجه يرام، ولو بإسقاط الولاء الثابت الانبرام، وذلك بسبب جهلهم العام، وتغييرهم لكثير من الأحكام، وتقربهم بما هو باطل وحرام، فهم كالأنعام يتعير

(١) يراجع: المغني لابن قدامة: ٢ /٣٨٣. والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز: باب في زيارة النساء للقبور ٣/٢١٦ ح ٣٢٣٦ ونصه كالآتي: عن ابن عباس، قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج، والترمذي في كتاب الصلاة: باب ما جاء في كراهية أن يتَّخذ على القبر مسجدًا ١/٣٤٣ ح ٣٢٠ وقال: حديث حسن. والنسائي في كتاب الجنائز: باب التغليظ في اتخاذ السرج عـــلى القبور ٤/٩٤ ح ٢٠٤٣، وأحمد في المسند: ١/٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧.

(٢) ينظر: حاشية ابن عابدين: ٢/٤٣٩ - ٤٤٠.

بهم الأعلام، ويتبرءون من شنائعهم العظام، كما هو أدب الأنبياء الكرام، حيث يتبرءون من الأباعد والأرحام؛ بمخالفتهم الملك العلام، فافهم ما ذكرناه والسلام"[1]. وعقد ابن عابدين في حاشيته مطلبًا في بيان بطلان النذر الذي يقع للأموات من أكثر العوام من ذهب أو فضة أو طعام أو شمع ونحوه، وبيّن انعقاد الإجماع على حرمته وأنه لا ينعقد ولا تشتغل الذمة به وأنه حرام وسحت.

ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام ما شاع على ألسنة العوام في باب النذر للأولياء من قولهم: النذر لله والثواب للشيخ، يتعللون بذلك في دفع وصمة الشرك عن هذه النذور.

والذي لا شك فيه أن الشريعة قد أجازت أن يتصدق الرجل عن غيره، ففي دعاء الأحياء وصدقتهم منفعة للأموات، ولكن واقع هؤلاء يبطل هذا التعلق، فهي ليست صدقة بريئة مجردة عن الدوافع البدعية التي تقدح في توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة، فالقوم يقدمون هذه الصدقة بين يدي أمر أَلَمَّ بهم يريدون وساطة الولي في دفعه، وهم يخشون إن نكثوا في نذرهم أن تحل عليهم نقمة هذا الولي وسخطه، وهذا هو نفس المعنى الذي وجد في النذور الشركية الأولى التي كانت للأصنام في أيام الجاهلية.

نعـــم، لابد أن يؤخذ هذا التأول في الاعتبار عند إجراء الحكم على معين منهم، فتزال شبهه أولاً وتقام عليه الحجة الرسالية التي يكفر معاندها، شريطة أن يقوم بذلك من تقوم بمثله الحجة، وينقطع ببلاغه العذر.

---

(١) المصدر السابق: ٢/٤٤٠.

ثانيًا: الذبح:

الذبح شعيرة من الشعائر وعبادة من العبادات. قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢].

فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك، فإنهما أجل ما يتقرب به إليه عز وجل، فالصلاة أجل العبادات البدنية، والنحر أجل العبادات المالية، ولهذا كان ﷺ كثير الصلاة كثير النحر، وقد كان المشركون يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره تعالى بمخالفتهم والتوجه بعبادته إلى الله وحده.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢]. فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له، بأنه أخلص لله صلاته ونسكه ومحياه ومماته، والنسك: الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه، فقد كان المشركون يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والتوجه إلى الله بأعماله كلها.

وقد عقد مسلم في صحيحه بابًا لتحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، وروى فيه حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «**لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض**»[1].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي: باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ٣/١٥٦٧ ح ٤٤.

والذبح لغير الله هو الذبح لمن مات من الأنبياء والأولياء رجاء بركتهم، والذبح للجن إرضاء لهم ورجاء قضائهم للحاجات أو دفعًا لشرهم، وكل ذلك شرك أكبر يستحق فاعله لعنة الله وغضبه.

وعلى هذا فمن ذبح لغير الله فقد جعل لله شريكًا في العبادة، بخلاف من ذبح لله عز وجل تصدقًا عن ميت، فلا خلاف على جواز ذلك إذا لم يقترن به اعتقاد فاسد.

صور الذبح:

وفي الذبح صور عديدة نوجزها فيما يلي:

- أن يذبح لغير الله تقربًا إليه وتعظيمًا له، وهذا باب من أبواب الردة يخرج به صاحبه عن الإسلام.

- أن يُهِلَّ على ذبيحته بغير اسم الله، أي أن يذكر عليها اسمًا غير اسمه تعالى من غير أن يقصد بها التقرب لأحد؛ كأن يذبحها مثلاً للحم، فلا شك في حرمة هذه الصورة، بل وقد تلتحق بالصورة الأولى باعتبارها استغاثة بغير الله.

١- أن يذبح تقربًا إلى الله عز وجل، ذاكرًا اسمه عليها، على أن يكون صدقة عن ميت من الأموات برًّا به ووفاءً له وترحمًا عليه، فإن هذه الصورة إذا لم يشبها اعتقاد فاسد في هذا الميت فلا شك في حلها، بل والتحاقها بأبواب القربات.

- أن يذبح لمحض التقرب إلى الله عز وجل، كالأضحية والهدي وغيره، فذلك لا شك في مشروعيته واعتباره من أجل العبادات.

١- أن يذبح من أجل اللحم بعد ذكر اسم الله تعالى، فذلك يلتحق بالمباحات، فإذا ترك التسمية عمدًا أو سهوًا فالأمر محل خلاف فقهي يرجع فيه إلى كتب الفروع.

قال النووي: "وأما الذبح لغير الله، فالمراد به أن يذبح لغير اسم الله ؛ كمن يذبح للصنم أو للصليب أو لعيسى أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان هذا الذابح مسلمًا أو نصرانيًّا أو يهوديًّا، نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًّا".

خامساً السحر والتنجيم والرقى والتمائم

أولاً: السحر:

تعريف السحر: السحر في اللغة: عبارة عما لطف وخفي سببه؛ ولذلك قيل للرئة: السحر لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن.

وفي الاصطلاح: عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والأبدان، فتمرض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه.

من السحر ما هو حقيقة وليس مجرد تخييل: وقد أنكر المعتزلة وجود السحر، وربما كَفَّروا من اعتقد وجوده، فلم يثبتوا له حقيقة بل قالوا: إنه تمويه وتخييل، وأما عند أهل السنة فالسحر حق وله حقيقة، يخلق الله عنده ما يشاء،

فلا يرجع تأثيره إلى الفلكَ أو النجوم، وإنما يخلق الله الأشياء عندما يقول الساحر ما لديه من رقى وتعازيم، ومما استدل به أهل السنة على وقوع السحر وأنه بخلق الله عز وجل:

- قوله تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

- وقولـــه تعالى: ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾ [الفلق: ٤] يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه.

- ومـــا رواه البخاري عن عائشة أن رسول الله ﷺ سُحر، حتى أنه ليخيل إلـــيه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لها ذات يوم: « **أتاني ملكان فجلس أحدهمـــا عـــند رأســـي والآخـــر عند رجلي فقال: ما وجع الرجل ؟ قال: مطـــبوب**[١]. **قال: ومَن طَبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة**[٢]، **وفي جف طلعة ذكر في بئر ذي أروان**[٣]..»[٤] .

حكم السحر: والسحر محرم بالإجماع ليس في شريعة الإسلام فحسب بل في شرائع الرسل جميعًا.

---

(١) المطبوب: المسحور.

(٢) المشاطة: هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه.

(٣) بئر ذي أروان: هي بئر بالمدينة تقع في بستان بني رزيق.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق: باب صفة إبليس وجنوده ٣/١١٩٢ ح ٣٠٩٥، ومسلم في كتاب السلام: باب السحر ٣/١٧١٩ – ١٧٢٠ ح ٤٣.

- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ [البقرة:١٠٢]. أي ولقد علم اليهود الذين استعاضوا عن متابعة الرسول بالسحر لمن فعل فعلهم ذلك أنه ما له في الآخرة من نصيب.

- وقال تعالى: ﴿ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: ٦٩] .

- وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه قال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**[1] »[2] وعد منها الشرك بالله والسحر.

حكم الساحر: لا خلاف بين أهل العلم على أن الساحر إذا أتى في سحره بمكفر قتل لردته حدًّا، ولا خلاف أيضا في أنه لو قَتَلَ بسحره نفسًا معصومة قُتِلَ قصاصًا، وإنما وقع الخلاف فيما إذا لم يأت في سحره بمكفر و لم يقتل نفسًا:

- فذهب طائفة من السلف إلى القول بأنه كافر، وأنه يقتل حدًّا لردته، وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة.

- وقال الشافعي - رحمه الله -: "إذا تعلم السحر قلنا له: صِفْ لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة أو أنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر".

---

(١) الموبقات: المهلكات.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب: باب الشرك والسحر من الموبقات ٥/٢١٧٥ ح ٥٤٣١، ومسلم في كتاب الإيمان: باب بيان الكبائر وأكبرها ١/٩٢ ح ١٤٥.

- وفصّل بعض أصحاب أبي حنيفة بين من يتعلم السحر ليتقيه أو ليتجنبه فهذا لا يكفر، وبين من يتعلمه معتقدًا جوازه أو أنه ينفعه، أو أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

من أنواع السحر:

السحر أنواع عديدة:

ـــ فمنه ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم بما يسخط الله عـــز وجل، وذلك ككتابة كلام الله بالنجاسة من دم وغيره، أو يقلبون حروف كلامه عز وجل، أو غير ذلك مما هو من جنس الكفر أو الشرك، هذا فضلاً عن تعظـــيمهم والاســـتغاثة بهـــم والتذلل لهم، فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتـــب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك، صار ذلك كالرشوة لهم فيقضون بعض أغراضه، كمن يعطي غيره مالاً ليقتل له مـــن يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة ! فربما غوَّروا له ماء من المـــياه، أو حملـــوه في الهواء إلى بعض الأمكنة، أو جاءوه بمال من أموال بعض الناس، كما تسرقه الشياطين من أموال بعض الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به، أو غير ذلك.

ـــ ومنه ما هو من جنس عبادة الفلك والنجوم والكواكب، وذلك كسحر مـــن كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة وهي السيارة، وكانوا يعتقدون أنها مدبـــرة للعالم وأنها تأتي بالخير والشر فيخاطبونها ويستنزلون روحانياتها بزعمهم،

وقد يجمع بعضهم بين الأمرين: الاستعانة بالشياطين ومخاطبة الكواكب، فيكون ذلك أقوى بزعمهم.

فحقيقة السحر: تعلق بغير الله استعانة ولياذًا وتضرعًا وتقربًا وقصدًا، فهو إما من جنس عبادة الشياطين أو من جنس عبادة الكواكب، وكلاهما إشراك بالله وكفر به ولا أظن خلافًا وقع في هذا القدر.

أما إذا أطلق السحر: على نحو التميمة أو الشعوذة وخفة اليد، أو الاستعانة بخواص الأدوية في الأطعمة والدهانات أو الحيل ونحوه، فلا يدخل شيء من هذا في باب الكفر والشرك، وإنما يلتحق بالفجور والمعاصي لما يتضمنه من زور وكذب وخداع.

ـ وقد يطلق على الفصاحة وقوة البيان، فإن من البيان لسحرًا، فإن استعمل في إظهار الحق وإبطال الباطل فهو مشروع محمود، وإن استعمل في التمويه على الناس وقلب الحقائق فهو ممنوع ومذموم، وقد يبلغ درجة الكفر إذا تضمن ما يقتضي ذلك من قول أو عمل.

النُّشْرة:

النشرة: ضرب من العلاج والرقية، يعالج به من يظن أن به مسًّا من الجن، فهو حل السحر عن المسحور.

وسميت نشرة لأنه ينشر عنه بها ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال. وهي نوعان:

الأول: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، وهذه جائزة باتفاق.

الثاني: النشرة بالسحر، وفيها وقع الخلاف.

فذهبت طائفة إلى جوازها، منهم سعيد بن المسيب، والشعبي وغيرهم.

فقد روى البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طِبٌّ أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه[1]. وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة، وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال: لا بأس به، وإن كان قوله هذا يمكن أن يحمل على النشرة بالأدعية والأدوية المباحة.

ومنعها آخرون كابن مسعود وجابر وأحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

فعن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة ؟ فقال: «**هي من عمل الشيطان**»[2]. وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ : « **ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له** »[3]، وقد سئل عنها أحمد بن حنبل فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وقال ابن القيم: النشرة "حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن: فيتقرب الناشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

---

(١) رواه البخاري معلقًا في كتاب الطب: باب هل يستخرج السحر ٥/٢١٧٥.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطب: باب في النشرة ٤/٦٠٥ ح ٣٨٦٨ بإسناد حسن، وأحمد في المسند: ٣/٢٩٤.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٨/١٦٢ ح ٣٥٥. قال الهيثمي في المجمع: ٥/١٠٣ – ١٠٤ فيه إسحاق بن الربيع العطار وثقه أبو حاتم وضعفه عمرو بن علي وبقية رجاله ثقات.

والـــذي أراه أن هذه النشرة هي من جنس السحر، فالقول فيها هو القول في السحر، وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله.

ذلك أن عامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك، ولو لم يكن فيه من ذلك إلا دعاء الجن وتعظيمهم والاستعانة بهم والتقرب إليهم لكفى.

والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير، فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي به بحال؛ لأن ذلك محرم في كل حال ولا وجه للاعتذار بالإكراه والضرورة في مثل هذه الحالة، وذلك لأن في الحق ما يغني عن الباطل، وفيما شرعه الله ورسوله من الأدعية الشرعية والأدوية الطبيعية كفاية، فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله، وقد أمر رسول الله ﷺ بالتداوي، ونهي عن التداوي بالمحرم، فقال ﷺ «**تداووا ولا تتداووا بحرام**» [1]، وروي عنه ﷺ قوله: «**إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام**» [2].

ومـــن ناحـــية أخرى فإن التكلم بهذه العزائم الشركية يختلف عن التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه، فالإكراه يصلح عذرًا إذا كان القلب مطمئنًا بالإيمان، ولكن التكلم بهذه العزائم لا يؤثر إلا إذا كان عن يقين واطمئنان، ولا أثر لها إذا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطب: باب في الأدوية المكروهة ٤/٧ ح ٣٨٧٤ عن أبي الدرداء ﷺ بإسناد حسن.

(٢) أخرجه أبو يعلى في المسند: ١٢/٤٠٢ ح ٦٩٦٦ بإسناد جيد والبيهقي في كتاب الضحايا: باب النهي عن التداوي بالمسكر ١٠/٥ كلاهما عن أم سلمة – رضي الله عنهما – .

كان القلب مطمئنًّا بالإيمان، والشيطان إذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده و لم يستجب له.

والحاصـــل أن ما كان من النشرة بسحر فهو حرام، وأما ما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة فهو مشروع بلا خلاف. والله أعلم.

ثانيًا: التنجيم:

التنجـــيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهو قسمان: جائز ومحرم:

- **فأمـــا الجائز** فهو ما كان من جنس الحساب، ويدرك بطريق المشاهدة والخـــبر، كمعرفة حركات النجوم والكواكب وتنقلاتها ومنازلها، وذلك للتعرف على نحو الكسوف والخسوف والزوال وجهة القبلة وما شابه ذلك، فهذا ونحوه ليس من باب علم الغيب في شيء، وإنما هو من جنس علم الحساب الذي علمه الله عباده.

وقد اخترع أهل هذه الصناعة لمعرفة ذلك منظارات مقربة وآلات حاسبة، ومراصد كاملة الأسباب والآلات، وتعرفوا من خلال ذلك على كثير من العوالم العلوية حتى أصبحت كأنها على الأرض.

ولا شك أن ما كان من هذا القبيل فلا يصح أن يختلف فيه مطلقًا؛ لأنه مما يعرف بالحساب كما سبق، وهو مما أجرى الله به العادة فلا يحرم أبدًا، فكان الإخبار عنه بمنـــزلة الإخبار بأن الهلال يطلع إما ليلة الثلاثين أو الليلة التي بعدها،

أو أن الشمس تغـــرب آخـــر النهار وأمثال ذلك، قـــال تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ [يونس: ٥].

قـــال الخطـــابي: "أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر، الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فهو غير داخل فيما نهى الله عنه".

وقال ابن رجب: "والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فإنه باطل محـــرم قليله وكثيره، وأما علم التسيير فتعلم ما يحتاج منه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور، وما زاد عليه لا حاجة إليه لشغله عما هو أهم منه".

وقـــال ابـــن تيمـــية: "لا ريب أن النجوم نوعان: حساب وأحكام، فأما الحساب فهو معرفة أقدار الأفلاك والكواكب وصفاتها ومقادير حركاتها وما يتبع ذلـــك، فهذا في الأصل علم صحيح لا ريب فيه كمعرفة الأرض وصفتها ونحو ذلك، ولكن جمهور التدقيق منه كثير التعب قليل الفائدة"[1].

وقال أيضًا وهو بصدد حديثه عن الكسوف والخسوف: "وما أخبر به النبي ﷺ لا ينافي لكون الكسوف له وقت محدد يكون فيه، حيث لا يكون كسوف الشمس إلا في آخر الشهر ليلة السرار، ولا يكون خسوف القمر إلا في وسط الشهر وليالي الإدبار، ومن ادعى خلاف ذلك من المتفقهة أو العامة فلعدم علمه بالحساب، ولهذا يمكن المعرفة بما مضى من الكسوف وما يستقبل، كما يمكن

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٥/١٨١، ١٧٥.

المعرفة بما مضى من الأهلة وما يستقبل إذ كل ذلك بحساب، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾"[1] [الرحمن: ٥].

وأما المحرم فهو قسمان:

الأول: الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث المستقبلة، وهو ما يدعيه أهل التنجيم من الاستدلال على الحوادث بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها، وهذا من جنس الاستقسام بالأزلام، فهو تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به، ولا شك في فساد هذه الصناعة وحرمتها.

وقد علم الخاصة والعامة بالتجربة والتواتر أن الأحكام التي يحكم بها المنجمون يكون الكذب فيها أضعاف الصدق، فصدقهم كصدق الكهان، يصدقون في كلمة ويكذبون في مائة، وذلك أن مبنى علمهم أن الحركات العلوية هي السبب في الحوادث، والعلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب، وهذا إنما يكون إذا علم السبب التام الذي لا يتخلف عنه حكمه، وهؤلاء - إن علموا - لا يعلمون إلا جزءًا يسيرًا من جملة الأسباب الكثيرة، ولا يعلمون بقية الأسباب ولا الشروط ولا الموانع، وذلك مثل من يعلم أن الشمس في الصيف تعلو الرأس حتى يشتد الحر، فيريد أن يعلم من هذا مثلاً أن العنب الذي بأرض كذا يصير زبيبًا، وهذا وإن كان يقع أحيانًا ولكن أخذه من مجرد حرارة الشمس جهل عظيم، إذ قد يكون هناك عنب وقد لا يكون، وقد يثمر شجره أو لا يثمر، وقد يؤكل عنها وقد يعصر وقد يسرق، وكل ذلك وارد !

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٨١/٣٥، ١٧٥.

وقد أراد المنجمون أن يمنعوا عليًّا ﷺ من السفر لقتال الخوارج قائلين له: إنـــك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك ! فقال علي: بل أسافر ثقة بالله وتوكلاً على الله، فبورك له في سفره هذا، وكتب له فيه النصر والغلبة.

قال الخطابي: "علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان، كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وتغير الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، يدعون أن لها تأثيرًا في السفليات وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به، ولا يعلم الغيب سواه".

وقال ابن تيمية: "والسحر محرم بالكتاب والسنة والإجماع، وذلك أن النجوم التي من السحر نوعان: أحدهما علمي، وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث من جنس الاستقسام بالأزلام... إلى أن قال: والدلالة الدالة على فساد هذه الصناعة وتحريمها كثيرة وليس هذا موضعها، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: « **من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا** »[1]. والعراف قد قيل: إنه اسم عام للكاهن والمنجم والرمّال ونحوهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق. ولو قيل: إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع فسائرها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي، كما قيل في اسم الخمر والميسر ونحوهما"[2].

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام: باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ٤/١٧٥ ح ١٢٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٥/ ١٧١ – ١٧٣.

الـثاني: القـول بتأثير الكواكب في الأمور، وأن الحوادث مركبة على تأثيرهـا، ولا شـك أن هذا كفر بإجماع المسلمين، فإذا انضم إلى ذلك دعاؤها والاستعانة بها فقد بلغ الكفر غايته ومنتهاه.

قال قتادة: "إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإن ناسًا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا ويولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والدميم، وما عِلْم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب ؟! ولو أن أحدًا أُعلم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه بيده، وأسجد لـه ملائكته، وعلمه أسمـاء كل شيء"[1].

وقـال ابـن تيمية: "واعتقاد المعتقد أن نجمًا من النجوم السبعة هو المتولي لسـعده ونحسه اعتقاد فاسد وإن اعتقد أنه هو المدبر له فهو كافر، وكذلك إذا انضم إلى ذلك دعاؤه والاستعانة به كان كفرًا وشركًا محضًا"[2].

ثالثًا: الرقى والتمائم:

الرقى: جمع رقية وهي التي تسمي العزائم. وتنقسم قسمين:

(١) أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والخطيب في كتاب النجوم وهذا لفظه.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/١٧٧.

- **رقية مشروعة:** وهي ما كانت بالقرآن أو بأسماء الله وصفاته.

- **رقية ممنوعة:** وهي ما استعين فيها بغير الله، أو كانت بغير اللسان العربي.

- ففي صحيح مسلم عن عوف بن مالك: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا يا رسول الله: كيف ترى في ذلك ؟ فقال: « **أعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا** »[1].

- وفي الصحيحين حديث رقيا سيد الحي بالفاتحة وإقرار النبي ﷺ لذلك[2].

- وقد سئل النبي ﷺ عن الرقى فقال: « **من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»[3] .

قال الخطابي: "وكان - عليه السلام- قد رَقى ورُقي، وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله فهي مباحة أو مأمور بها، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان فيها بغير لسان العرب فإنه ربما كان كفرًا أو قولاً يدخله شرك".

وقال ابن تيمية: "كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقي به فضلاً عن أن يدعو به ولو عرف معناه؛ لأنه يكره الدعاء بغير العربية، وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارًا فليس من دين الإسلام".

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام: باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ٤/١٧٢٧ ح ٦٤.

(٢) هو حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أخرجه البخاري في كتاب الإجارة: باب ما يعطى في الرقية ٢/ ٧٩٥ ح ٢١٥٦ ومسلم في كتاب السلام: باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ٤/ ١٧٢٧ – ١٧٢٨ ح ٦٥، ٦٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب السلام: باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة ٤:١٧٢٦ ح ٦١، ٦٦ عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه –.

وقـــال في موضـــع آخر وهو يتحدث عن رقية المصروع: "وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع، لا سيما إن كان فيه شرك فإن ذلك محرم"[1].

وقـــال الســـيوطي: "قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شـــروط: أن تكـــون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي وما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى".

وعلى هذا فتحمل الرقى في قوله ﷺ: « **إن الرقى والتمائم والتِّوَلـــة شرك** »[2] على الرقى الشركية التي يستعان فيها بغير الله.

ولا بأس أن يكتب شيء من القرآن أو الذكر في إناء أو لوح بالمداد المباح ثم يمحى بالماء أو غيره، ويسقى للمصاب وغيره من المرضى؛ نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقله عن أحمد وابن عباس وغيرهم من العلماء[3].

أمـــا التمائم: فهي جمع تميمة، وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظـــام ونحـــوه لدفع العين، وقد ورد النهي عنها وتسميتها شركًا لأنه لا يدفع الســـوء إلا الله، فهي لا ترد من أمر الله شيئًا، وعجيب أمر قوم يتلمسون الوقاية ودفع الأذى في حجارة أو عظام، وفي حدوة حمار أو حصان !

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٩/ ١٦.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطب: باب في تعليق التمائم ٩/٤ ح ٣٨٨٣ وابن ماجه في كتاب الطب: باب تعليق التمائم ١١٦٦/٢ – ١١٦٧ ح ٣٥٣٠، وأحمد في المسند: ٣٨١/١ في حديث طويل، وإسناد أبي داود حسن.

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٥٩٩/١٢، ١٩/ ٦٤ – ٦٥.

- عن ابن مسعود - رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن الرقى والتمائم والتولة شرك** »[1]. رواه أحمد وأبو داود. والتولة: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها.

- وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري ﷺ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً: « أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت »[2]، وقد كانوا يقلدون الإبل بالأوتار لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها إعلامًا لهم أن الأوتار لا ترد شيئًا.

- وروى أحمد عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: « **إن عليه تميمة** » فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: « **من تعلق تميمة فقد أشرك** »[3] ورواه الحاكم بنحوه ورواته ثقات.

وإنما كانت هذه الأشياء من الشرك لما فيها من التفات القلب عن الله عز وجل، وتعلقه بغيره، ولما تتضمنه من طلب دفع المضار وجلب المنافع من غيره عز وجل، ولا شك أن من تعلق بشيء وكل إليه، ومن اعتصم بمخلوق من دونه

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد: باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل ٣/١٠٩٤ ح ٢٨٤٣.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٤/١٥٤، ١٥٦، والحاكم في المستدرك: كتاب الطب: باب من تعلق شيئًا وكل إليه ٤/٢١٦ بلفظ مختلف. وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

تعالى تقطعت به الأسباب، وتشردت خطاه في الأرض، ولا يبالي ربه بأي أوديتها هلك!!

- قال الإمام أحمد: حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، حدثنا من سمع عطاء الخرساني قال: لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت، فقلت: حدثني حديثًا أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال: نعم، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: "**يا داود، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي، أعرف ذلك من نيته، فتكيده السموات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلا جعلت له من بينهن مخرجًا ! أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني، أعرف ذلك من نيته، إلا قطعت أسباب السماء من يده، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالي بأي أوديتها هلك**" !.

هل يجوز تعليق التمائم إذا كانت من القرآن أو أسماء الله وصفاته؟

اختلف العلماء في ذلك:

- **فقالت طائفة بجوازه**، وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وظاهر ما روي عن عائشة، وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية، وقد روي أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب بعض الأدعية في ألواح ويعلقها في عنق صغاره، بينما كان يحفظها لأولاده الكبار.

- **ومنع منه آخرون**، كابن مسعود وابن عباس، وهو قول حذيفة وعقبة ابن عامر، وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بالحديث السابق وما في معناه.

والذي يقتضيه النظر هو المنع من ذلك سدًّا للذرائع لكونه قد يفضي إلى تعليق التمائم الشركية، بالإضافة إلى كون المعلّق عرضة للامتهان، إذ قد يحمل في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك، فضلاً عن كون الرواية الواردة في ذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص ضعيفة.

سادساً الحلف بغير الله

ومن الشرك أيضًا الحلف بغير الله، وهو من الشرك الأصغر، وقد يكون من الشرك الأكبر بحسب حال قائله ومقصده، فإن كان يحب المحلوف به كما يحب الله، أو يعظمه كما يعظم الله، أو يخشاه بالغيب كما يخشى الله، فإنه بهذا يكون قد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وكونه من الشرك الأصغر لا يبرر التساهل في شأنه، فإن الشرك الأصغر أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: "لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا"، فاليمين الغموس من الكبائر ومع ذلك فقد جعل ابن مسعود ﷺ الشرك الأصغر أكبر منها.

وقد رأينا كثيرًا من الناس من يحلفون بالله كذبًا غير مبالين، فإذا استُحْلفوا بمـــن يعظمونه من الموتى والأولياء تراجعوا وصدقوا خوفًا من عقاب ذلك الولي وانتقامه منهم كأن هذا الولي أعز وأقدر وأغير من الله ! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

- عـــن عمـــر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: « **من حلف بغير الله فقـــد كفـــر أو أشرك**»[1].

- عـــن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: « **إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كـــان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت** »[2].

- وعـــن بـــريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **من حلف بالأمانة فليس منا**»[3].

- وعـــن ابـــن عمر أنه سمع رجلاً يقول: لا والكعبة. فقال ابن عمر: لا تحلـــف بغير الله ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** »[4].

هل يجوز الحلف بالنبي - ﷺ -؟

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤٧/١ بلفظ متقارب.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات: باب كيف يستحلف ٩٥١/٢ ح ٢٥٣٣، بلفظ متقارب، ومـــلم في كتاب الأيمان: باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى ١٢٦٧/٣ ح ٣ بهذا اللفظ.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأيمان: باب في كراهيته الحلف بالأمانة ٢٢٠/٣ ح ٣٢٥٣، بإسناد صحيح، وأحمد في المسند: ٣٥٢/٥ بلفظ مختلف.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب النذور والأيمان: باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ١٨٥/٣ ح ١٥٤٠ وقال: هذا حديث حسن، وأبو داود في كتاب الأيمان والنذور: باب في كراهية الحلف بغير الله ٢٢٠/٣ ح ٣٢٥١، وأحمد في المسند: ٣٤/٢، ٦٩، وقال السيوطي: حديث حسن.

وقد تنازع الناس في جواز الحلف بالنبي ﷺ مع اتفاقهم بأنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة والملائكة.

- فذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة، وأحمد في أحد قوليه، إلى أنه لا يحلف بالنبي ﷺ كما لا يحلف بشيء من المخلوقات، ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث.

- وذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه أنه يحلف بالنبي ﷺ خاصة لأنه يجب الإيمان به خصوصًا، ويجب ذكره في الشهادتين والأذان، فللإيمان به اختصاص لا يشركه فيه غيره.

والصواب هو ما عليه عامة المسلمين سلفهم وخلفهم، أنه لا يحلف بمخلوق لا نبي ولا غير نبي، ولا ملك من الملائكة، ولا ملك من الملوك، ولا شيخ من الشيوخ؛ وذلك لعموم الأدلة التي تنهى عن الحلف بغير الله.

هل يجوز الحلف بالمصحف؟

يجوز الحلف بالله أو بصفة من صفاته، والقرآن كلام الله، وكلام الله صفة من صفاته، فيجوز الحلف به، وعلى هذا فإذا كان قصد الرجل المذكور الحلف بكلام الله فهذا جائز، وإذا كان قصده الحلف بورق المصحف والمداد الذي كتب به فهذا لا يجوز لأن الورق والمداد من المخلوقات، ولا يجوز الحلف بالمخلوق لقوله ﷺ: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»[1].

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

خلاصة الوحدة الخامسة

توحيد القصد والتأله:

هــو إفــراد العــبادة لله بالتأله والتنسك والتوجه إليه وحده بسائر أنواع العــبادات القولية والعملية، كالحب والتعظيم، والرغبة والرهبة، والإنابة والرجاء والتوكل والدعاء، والاستغاثة، والذبح والنذر، والركوع والسجود، وغيرها.

– **الدعاء نوعان:** دعاء مسألة ودعاء عبادة.

فدعــاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، وهو متضمن لدعاء العبادة.

دعاء العــبادة: هو سائر القربات من ذكر وتلاوة وصلاة ونسك، وهو يستلزم دعاء المسألة.

– **أما الاستغاثة:** فهي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، ولا تكون إلا من المكروب، بخلاف الدعاء فإنه أعم من ذلك، فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء اســتغاثة، والاستغاثة لا تطلب من المخلوق إلا فيما يقدر عليه، أما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يطلب إلا من الله.

– مراتب الأدعية البدعية ثلاث:

الأولى: دعاء غير الله من الموتى أو الغائبين فهذا هو الشرك بالله.

والثانية: طلب الدعاء من الميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين وهذا من البدع، وبعض العلماء ألحقه بالشرك.

الثالثة: دعاء الله تعالى متوسلاً بذات أحد من الصالحين أو بجاهه، وهو من البدع المحدثة عند الجمهور.

- التوسل المشروع أقسام:

الأول: التوسل إلى الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

الثاني: التوسل إلى الله جل وعلا بالأعمال الصالحات.

الثالث: التوسل إلى الله جل وعلا بطلب الدعاء من الأحياء الصالحين.

- وقد خلط بعض الناس بين التوسل والاستغاثة وهذا تلبيس واضح.

- **الاستعاذة:** هي الالتجاء والاعتصام، وهي من العبادات التي أمر الله بها عباده وعلى هذا فمن استعاذ بغير الله فقد أشرك؛ لأن كل ما كان عبادة لله كان صرفه لغير الله شركًا في العبادة.

- الخوف من الله من أفضل مقامات الدين وأجلها، وهو من أجمع أنواع العبادة التي أمر الله جل وعلا بإخلاصها له.

الخوف ثلاثة أقسام:

١- خوف السر أو الخشية بالغيب، ويجب إخلاصه لله تعالى، فإذا صرف لغيره فذلك هو الشرك.

٢- ترك بعض الواجبات خوفًا من الناس وهذا مجمع على حرمته.

٣- الخوف الطبيعي وهو كالخوف من سبع أو عدو وهذا لا يذم.

- محـــبة الله عـــزَ وجل بتأله وذلة هو أصل دين الإسلام؛ لأن العبادة هي كمال المحبة وكمال الخضوع، فمن أحب من دونه شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا.

- المحـــبة في الله ليس فيها شيء من شوائب الشرك بل هي واجبة، إذ أنها تابعة لمحبة الله ولازمة لها.

- أما المحبة مع الله فهي المحبة الشركية لما فيها من التأله لغير الله.

- أما ما كان من جنس المحبة الطبيعية فهي ليست من هذه الأبواب.

- الوفاء بالنذر عبادة من العبادات؛ لذا فإن النذر لغير الله شرك في العبادة، لما يتضمنه من تعظيم المنذور له والتقرب إليه بذلك.

- الذبـــح شـــعيرة من الشعائر وعبادة من العبادات ولهذا كان ﷺ كثير الصلاة كثير النحر، والذبح لغير الله شرك أكبر يستحق فاعله لعنة الله وغضبه.

- **السحر في اللغة:** عبارة عما لطف وخفي سببه.

- **وفي الاصطلاح:** عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والأبدان.

- **وهو عند أهل السنة:** حق وله حقيقة، يخلق الله عنده ما يشاء.

والســـحر محـــرم بالإجماع ليس في شريعة الإسلام فحسب بل في شرائع الرسل جميعًا.

- **حكـــم الساحر:** إذا أتى في سحره بمكفر قتل لردته، ولو قتل بسحره نفسًا معصومة قتل قصاصًا.

وإذا لم يأت في سحره بمكفر و لم يقتل نفسًا: فذهب طائفة من السلف إلى القول بأنه كافر، وأنه يقتل حدًا لردته. وذهب بعضهم إلى أنه يصف سحره فإن كـــان كفرًا قتل، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر، ومن يتعلم السحر ليتقيه أو ليتجنبه فهذا لا يكفر.

- أنواع السحر:

- منه ما يحصل بمعاونة الشياطين بالتقرب إليهم بما يسخط الله عز وجل.

- ومنه ما هو من جنس عبادة الفلك والنجوم والكواكب.

- أمـــا إذا أطلق السحر على التميمة أو الشعوذة وخفة اليد فلا يدخل في باب الكفر والشرك وإنما يلتحق بالفجور والمعاصي.

- **النشرة:** هي حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

الأول: النشـــرة بالرقـــية والـــتعوذات والأدوية والدعوات المباحة وهذه مشروعة باتفاق.

والثاني: النشرة بالسحر، وفيها وقع الخلاف، فذهبت طائفة إلي جوازها ومنعها آخرون، والقول بالمنع هو الصواب.

- **التنجيم:** هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهو قسمان: جائز ومحرم.

- فأما الجائز فهو ما كان من جنس الحساب ويدرك بطريق المشاهدة والخبر وليس من علم الغيب في شيء.

- وأما المحرم فهو قسمان:

الأول: الاستدلال بحركات النجوم والكواكب على الحوادث المستقبلة.

والثاني: القول بتأثير الكواكب في الأمور.

- **الرقى:** جمع رقية، وهي التي تسمى العزائم، وتنقسم إلى قسمين:

رقية مشروعة: وهي ما كان بالقرآن أو بأسماء الله وصفاته.

ورقية ممنوعة: وهي ما استعين فيها بغير الله، أو كانت بغير اللسان العربي.

- **التمائم:** جمع تميمة، وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام ونحوه لدفع العين، وهي من أبواب الشرك.

- الحلف بغير الله من الشرك الأصغر، وقد يكون من الشرك الأكبر بحسب حال قائله ومقصده، وقد تنازع الناس في جواز الحلف بالنبي ﷺ والصواب منعه.

- ويجـوز الحلف بالمصحف إذا كان قصد الحالف أن يحلف بكلام الله، ولكـن إذا كـان قصده الحلف بورق المصحف والمداد الذي كتب به فهذا لا يجوز.

الاختبار البعدي للوحدة الخامسة

أولاً: أسئلة الصواب و الخطأ:

عزيـــزي الدارس: ضع علامة (√) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- إفراد الله بالتأله والتنسك ركن من أركان توحيد الربوبية.

٢- توحيد القصد والتأله هو إفراد الله تعالى بأنواع العبادات القولية والفعلية.

٣- الأوثان التي كانت تعبد عند العرب كانت للكهان من كل قبيلة من قبائلهم.

٤- من آثار الغلو في الصالحين عبادتهم والتوجه إليهم من دون الله.

٥- من صور الغلو المذموم إنشاد القصائد في مدح النبي ﷺ.

٦- لا يعلم الرسل شيئاً من الغيب بالكلية.

٧- من صور الغلو المذموم نسبة علم الغيب إلى النبي ﷺ.

٨- من صور الغلو المذموم ما يرفع من الشكايات إلى النبي ﷺ بعد مماته.

٩- نهى النبي ﷺ عن إطرائه حماية لجناب التوحيد عما يخالطه من الشرك وأسبابه.

١٠- من الانتصار للسنة محاكمتها إلى المعقول ورد ما يخالفه منها.

١١- من سلم من ضلالات القبوريين فقد سلم له توحيد الألوهية.

١٢- دعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة.

١٣- دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة لأن السائل أخلص فيه الدعاء لله، ورغب إليه بخضوع وتذلل.

١٤- الدعـــاء من العبادات القولية التي يجوز صرفها لغير الله بشرط عدم الخضوع والتذلل للمدعو.

١٥- الاستعاذة بالجن من دون الله شرك أكبر.

١٦- الاستغاثة بغير الله شرك أكبر مطلقاً.

١٧- الخوف من غير الله شرك أكبر مطلقاً.

١٨- التوسل بالأنبياء من جنس الاستغاثة بهم وكلاهما من الشرك الأكبر.

١٩- قـــول عمـــر بن الخطاب ﷺ : "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، واليوم نتوسل إليك بعم نبينا" دليل على جواز التوسل بجاه الصالحين.

٢٠- الفـــرق بين دعاء الصالحين من دون الله والتوسل بهم إلى الله هو الفرق بين الشرك والبدعة.

٢١- التوسل إلى الله بالصالحين من القضايا الخلافية ولا مساس لها بأصل الاعتقاد.

٢٢- المتوسل يطلب بالمتوسَّل به، والمستغيث يطلب من المستغاث به.

٢٣- التوســـل إلى الله بجـــاه الصـــالحين أعظم شركاً من دعاء غير الله من الموتى والغائبـــين.

٢٤- التوسل إلى الله جل وعلا بدعاء الصالحين الأحياء من الصور غير المشروعة في التوسل.

٢٥- التوسل إلى الله جل وعلا بدعاء الصالحين الأحياء يقاس حكمه على التوسل بالأموات، لأنهما مشتركان في علة دعاء غير الله.

٢٦- التوسل إلى الله تعالى بحب النبي ﷺ واتباعه من جنس التوسل المشروع بالعمل الصالح.

٢٧- الاستعاذة بكلمات الله، والاستعاذة بالجن كلها صور من الشرك التي نهى الله تعالى عنها لما فيها من تعلق القلب بغير الله.

٢٨- ترك بعض الواجبات خوفاً من الناس من جنس الشرك الأكبر.

٢٩- حلق اللحية خوفاً من الناس شرك أكبر.

٣٠- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافة الناس يقدح في كمال التوحيد ولا يقدح في أصله.

٣١- ينقسم الخوف إلى ثلاثة أقسام: خوف الناس، وخوف السر، وخوف الطبع.

٣٢- الخوف الفطري الطبيعي خوف سببي لا يجتمع مع الحب، بل غالباً ما يجتمع مع البغض.

٣٣- الخوف التعبدي هو خشية الله بالغيب التي تجتمع مع حب الله في قلب العبد في آن واحد.

٣٤- الخوف من الله تعالى له أصل إذا صرف لغير الله كان شركاً أكبر، وله قدر واجب، وله كمال مستحب.

٣٥- خوف يعقوب عليه السلام على ولده، وخوف موسى على نفسه من الذنوب التي تابوا منها إلى الله.

٣٦- المحبة في الله كالمحبة مع الله كلاهما غير مشروع وهما من ذرائع الشرك.

٣٧- محبة الحسين ﷺ من ذرائع الشرك.

٣٨- محبة الزوجة والولد من ذرائع الشرك.

٣٩- محبة الله تعالى بتأله وذلة وخضوع هي أصل دين الإسلام، وهي تستلزم الخوف والتعظيم والإجلال.

٤٠- اتخاذ المشركين أنداداً من دون الله يكون في المحبة والتعظيم مثلما يكون في الخلق والربوبية.

٤١- المحبة مع الله من أوثق عرى الإيمان، وهي تابعة لمحبة الله ولازمة لها.

٤٢- المحبة في الله من جنس المحبة الطبيعية التي يميل بها الإنسان لما يلائم طبعه.

٤٣- قد يجتمع في قلب العبد شرك في باب المحبة، مع الإقرار بعجز الأنداد عن الخلق والرزق والإحياء والإماتة.

٤٤- الطواف بالقبور بدعة فإذا أضيف إليه تعظيم المقبور كتعظيم الله كان شركاً أكبر.

٤٥- الطواف بغير الكعبة شرك أكبر.

٤٦- نذر الشموع للمساجد لإسراجها غير مشروع لما يتضمنه من التعلق بغير الله.

٤٧- نذر الشموع للمشاهد لإسراجها مشروع لما يتضمنه من توقير الصالحين من عباد الله.

٤٨- النذور الواقعة من القبوريين للأولياء لا تجوز إلا إذا قصد بها الله تعالى، والثواب للشيخ.

٤٩- لا يجوز قياس النذور الواقعة من القبـــوريين لأوليائهم لقضـــاء حوائجهـــم على النذور الشركية الأولى التي كانت للأصنام عند العرب.

٥٠- شد الرحال إلى قبور الصالحين ودعاء الله عندها من جنس الشرك الأكبر.

٥١- وجود القبر النبوي الشريف داخل المسجد الشريف دليل على جواز بناء قبور الصالحين في المساجد وكل ما يخالف ذلك فهو مؤول أو منسوخ.

٥٢- لا يدخل في باب الذبح لغير الله ما كان إكراماً لوافد أو صدقة عن ميت.

٥٣- الذبح للجن دفعاً لشرهم يستثنى من الصورة الشركية لأنها ضرورة.

٥٤- الذبح لغير الله تعالى من أبواب الشرك الأصغر.

٥٥- السحر بجميع أنواعه مذموم وهو من جنس الردة عن الإسلام بالإجماع.

٥٦- السحر ثابت عند أهل السنة على سبيل المجاز لا الحقيقة، لذا وجب الاستعاذة بالله منه.

٥٧- السحر لا يحصل إلا بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم بما يسخط الله عز وجل.

٥٨- اختلف الأئمة في حرمة السحر، فمنهم من أجاز تعلمه لاجتنابه، ومنهم من منع تعلمه مطلقاً.

٥٩- السحر إذا أطلق على الفصاحة وقوة البيان فهو مشروع محمود.

٦٠- النشرة مذمومة من جميع الوجوه لما تتضمنه من الالتجاء لغير الله.

٦١- النشرة هي عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والأبدان.

٦٢- التكـــلم بالعزائم الشركية بقصد حل السحر عن المسحور يقاس في حكمه على التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه.

٦٣- عـــلم الـــتأثير لـــيس من باب علم الغيب في شيء، إنما هو من جنس علم الحساب الذي علمه الله عباده.

٦٤- الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث المستقبلة من علم التسيـــير المحرم لأنه تحكم على الغيب.

٦٥- اعـــتقاد المرء أن نجماً من النجوم هو المتولي لسعده ونحسه وهو المدبر لأمره كفر أكبر.

٦٦- تصديق الكهنة والعرافين كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

٦٧- لا بأس بتعليق التمائم إذا كانت بأدعية مشروعة في أصح قولي العلماء.

٦٨- كتابة شيء من القرآن بالمداد ثم محوه بالماء وشربه بدعة محرمة.

٦٩- الرقى والتمائم مترادفان بمعنى واحد.

٧٠- عـــلاج المصـــروع بـــتلاوة القرآن استمرار لمسلسل الخرافة وهو من ذرائع الشرك.

٧١- شرط مشروعية الرقية هو التكلم بها باللغة العربية.

٧٢- الـــرقى والتمائم والتولة والعزائم كلها من صور الشرك التي أجمع الأئمة على حرمتها من كل وجه.

٧٣- الحلف بغير الله شرك أكبر في جميع الأحوال.

٧٤- لا يجوز الحلف بالمصحف لأنه من جنس الحلف بغير الله .

٧٥- يجوز الحلف عند الجمهور بالنبي ﷺ دون غيره من الخلق.

ثانياً :أسئلة المقال:

س١: وضح كيف كان الغلو في الصالحين أساس الشرك في بني آدم؟
وكيف وقى رسول الله ﷺ أمته من الوقوع في ذلك بعده؟

س٢: اذكر نوعي الدعاء، ووضح العلاقة بينهما.

س٣: بين الأوجه التي بسببها نعى الله على المشركين التوجه لغيره بالدعاء، مع ذكر الآيات.

س٤: اذكر مراتب الأدعية البدعية، وحكم كل منها.

س٥: اذكر أقسام التوسل المشروع، وأدلة كل قسم من الكتاب أو السنة.

س٦: ما الفرق بين التوسل والاستغاثة؟ وما حكم من خلط بينهما؟

س٧: اذكر معنى الاستعاذة، وهل تجوز الاستعاذة بغير الله؟

س٨: اذكر أقسام الخوف، وبين حكم كل منها، مع ذكر الآيات.

س٩: اذكر منزلة المحبة من الدين، مع بيان الفرق بين المحبة في الله والمحبة مع الله.

س١٠: تحت أي قسم من أقسام المحبة يدخل حب الأهل والمال والولد؟

س١١: بين الأوجه التي تجعل النذر لغير الله شركًا.

س١٢: اذكر صور الذبح مع بيان حكم كل منها.

س١٣: اذكر معنى السحر وأنواعه مع بيان كل نوع.

س١٤: بين حكم الساحر، مع بيان حكم من تعلم السحر ليتقيه.

س١٥: وضح معنى النشرة وحكمها.

س١٦: من التنجيم ما هو جائز وما هو محرم، وضح ذلك.

س١٧: ما معنى الرقى وما أنواعها، وما حكم كل نوع؟ مع ذكر الأدلة على ما تقول.

س١٨: عرف التمائم، مع بيان حكمها والأدلة على ذلك.

س١٩: هل يجوز تعليق التمائم إذا كانت من القرآن أو أسماء الله وصفاته؟

س٢٠: " **مـــن حلف بغير الله فقد أشرك**" بين معنى الحديث، وهل ينطبق على كل أنواع الحلف بغير الله أم لا؟

النشاط التعليمي للوحدة الخامسة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

من خلال بحثك في كتب العقيدة، و مواقع الفتاوى على شبكة الإنترنت، دوِّن أهم الأحكام العقدية المرتبطة بالموضوعات التالية، ثم ناقشها مع أستاذ مادة أصول الإيمان (١) في الجامعة الأمريكية المفتوحة، وهذه الموضوعات هي:

- النذر والذبح.
- السحر والتنجيم والرقى والتمائم.
- الحلف بغير الله تعالى.

الوحدة السادسة
توحيد الطاعة
والانقياد

الوحدة السادسة
توحيد الطاعة والانقياد

أهمية دراسة الوحدة:

توحيد الطاعة والانقياد هو وجوب الطاعة لله وحده والتسليم التام لأمره وحكمه، واتباع كل ما جاء به نبيه ﷺ ، وعدم إشراك أحد معه في العبادة، فالمسلمون في ظل الطاعة والانقياد يخضعون لأحكام الشرع ويرضخون لتكليفاته، فالجميع أمام أحكام وعدالة الإسلام سواء.

وقد ظهر عدد من المفاهيم الجديدة علي الساحة الإسلامية، من بين هذه المفاهيم، مفهوم العلمانية، الذي يعد من الأسلحة التي تفت في عضد الإسلام، وتهدف إلي نقض أسسه الراسخة وقواعده الراسية المتينة، وأخذ المسلمين بعيداً عن شريعة الإسلام وأحكامها،حيث يغرقون في ملذات الدنيا والهوى، ولا يحكمون في ذلك إلا المصالح الشخصية، وحتى يمكن ترتيب الأوراق داخل الصف الإسلامي ينبغي إظهار الحقيقة الزائفة، والدعاوى الكاذبة للعلمانية والعلمانيين.

عزيزي الدارس: سوف تطالع من خلال دراستك لهذه الوحدة العديد من الأدلة التي تدل على أن العلمانية ناقضة لأصل الدين، وأيضاً بعض الشبهات حول العلمانية وجوابها، فابدأ الآن في دراستها.

الأهداف التعليمية للوحدة السادسة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- تكتب بالتفصيل عن معنى توحيد الطاعة والانقياد، ومحل النزاع في ذلك.

٢- تفرق بين الانحراف العارض عن الحكم بما أنزل الله وبين العلمانية.

٣- تفصل معنى مفهوم العلمانية والتلبيس الواقع في هذا المصطلح.

٤- تشرح الدلائل المبينة أن العلمانية ناقضة لأصل الإيمان.

٥- تذكر خلاصة القول في شبهة التسوية بين العلمانية وبين انحرافات التطبيق الجزئية.

٦- تذكر حكم من رد بعض ما أنزل الله وآمن ببعضه، بعد إعلانه الإسلام.

٧- تصنف بعض فتاوى أئمة المسلمين في علمانية التشريع.

٨- تحدد شبهات العلمانية المعاصرة، وتقوم بالرد عليها.

الوحدة السادسة
توحيد الطاعة والانقياد
أولاً: معنى توحيد الطاعة والانقياد.
- محل النزاع فيمن حكم بغير ما أنزل الله.
ثانياً: الفرق بين الانحراف العارض عن الحكم بما أنزل الله وبين العلمانية.
ثالثاً: مفهوم العلمانية والتلبيس الواقع في هذا المصطلح.
رابعاً: العلمانية ناقضة لأصل الإيمان.
- العلمانية شرك في الربوبية، والألوهية.
- العلمانية ثورة على النبوة، و.....
خامساً: خلاصة القول في شبهة التسوية بين العلمانية وبين انحرافات التطبيق الجزئية.
سادساً: شبهة وجوابها: هل مجرد التحاكم إلى الشرائع الوضعية والتزامها يعد خلعاً للربقة وتحللاً من الالتزام بشرائع الله؟
سابعاً: من فتاوى أئمة المسلمين فى علمانية التشريع:- الإمام أبو بكر الجصاص،.....

أولاً معنى توحيد الطاعة والانقياد

هو إفراد الله تعالى بالطاعة والانقياد، وذلك بتحكيم شرعه، والقبول التام لكل ما جاء به نبيه ﷺ ، والكفر بما يتنافى مع ذلك من الأهواء البشرية والمذاهب الوضعية، فإن من تفرد بخلق هذا الإنسان تفرد بحق هدايته وتوجيه الخطاب الملزم إليه، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا واجب إلا ما أوجبه، ولا دين إلا ما شرعه.

قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]. فدعا إلى إفراد الله بالحكم، وبيّن أن ذلك من إفراده تعالى بالعبادة، وأن هذا هو الدين القيم الذي لا يعلمه كثير من الناس. فليس لأحد كائنًا من كان أن يعقب على حكمه، ولا أن يشرك به في طاعته.

وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٢١] فنعى تعالى على الذين لا يتبعون ما شرع الله لنبيه ﷺ من الدين القيم، بل يتبعون ما شرع شياطينهم وطواغيتهم من تحريم الحلال وتحليل الحرام وغيره مما كانوا قد اخترعوه في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة، وبيّن أنه لولا ما تقدم من الإنظار إلى المعاد لعوجلوا بالعقوبة، وفي الآية إشارة ظاهرة إلى أن التحليل والتحريم بغير سلطان من الله إشراك بالله.

ولقـــد ظل هذا المعنى بدهيًا في حس الأجيال السابقة، فلم يحفظ التاريخ خلافًا يذكر حول تفرد الله جل وعلا بالحكم وانعدام المشروعية عن كل قول أو فعـــل ترده النصوص الشرعية، وأن من ترك الشرع المحكم المنَزّل على محمد ﷺ، وتحاكم إلى غيره ولو إلى شريعة منسوخة فإنه يكون قد حادَّ الله ورسوله وخلع بذلـــك ربقـــة الإســـلام من عنقه لأنه يكون بذلك قد جعل لله ندًا في الطاعة والاتباع.

ولكن غاشية الفتن المعاصرة كادت أن تطمس جلاء هذه الحقيقة الناصعة فارتاب فيها المرتابون، وأصبح الناس فيها فريقين يختصمون، ومن هنا كان لزامًا عليـــنا أن نتـــناول هـــذه القضية بشيء من التفصيل، آملين في عودة الأمور إلى نصابها، مبتدئين في ذلك بتحرير محل النـــزاع.

محل النـــزاع:

لا خـــلاف يذكـــر على أن من التزم الحكم بشرائع الإسلام في الجملة، فكانـــت هـــي مرجعه الدائم الذي يرجع إليه في كل أمر، ويحتكم إليه في كل قضـــية، ثم زلت به القدم في موقف عارض، فحكم فيه بغير ما أنزل الله ميلاً مع الهوى لشهوة أو لقرابة أو غير ذلك فإنه لا يخرج بذلك من الملة إلا بالاستحلال أو الجحـــود، وأن فعله هذا يلتحق بسائر الكبائر وإن كان من أعتاها وأغلظها، وإلى هـــذه الصـــورة وأشباهها ترجع عبارات السلف: كفر دون كفر - ليس بالكفر الذي تذهبون إليه - كفر لا ينقل من الملة... إلخ هذه العبارات التي أثرت عـــن كثير منهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة: ٤٤].

وإنما وقع الالتباس مؤخرًا في ظاهرة الامتناع عن التزام الحكم بشرائع الإسلام والتحاكم ابتداء في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله، ورد مرجعية الشريعة في علاقة الدين بالدولة، وهي الصورة التي وفدت إلى بلاد الإسلام في ركاب المستعمر، وينظر لها باسم العلمانية والفصل بين الدين والدولة، وحولها فقط سيكون حديثنا بإذن الله، وسوف نبدأ بتجلية الفرق بين الصورتين إحكامًا للأمر، وزيادة في البيان والإيضاح.

ثانياً: الفرق بين الانحراف العارض عن الحكم بما أنزل الله وبين العلمانية

إن الحجة القاطعة والحَكَم الأعلى في الصورة الأولى هو الله عز وجل، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، ولا سيادة إلا لكتابه وسنة نبيه ﷺ، فإذا ما أشكل على الولاة أمر رجعوا إلى المأثور من أقوال الصحابة والتابعين، أو إلى الراجح من فقه أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من الفقهاء؛ ليتعرفوا على حكم الله فيما عرض لهم، وأما ما يحدث من خلل فهو انحراف عارض في أمور جزئية، لا تبدل فيه الشرائع، ولا تغير فيه القواعد الكلية، فالأصل في هذه الصورة أن الولاة خاضعون لحكم الله عز وجل فهو دينهم الذي به يدينون، وقانونهم الذي به يقضون وإليه يحتكمون.

أمـــا الحَكَـــم الأعلى في الصورة الثانية فهو المصالح البشرية البحتة التي لا تتقـــيد بديـــن، ولا ترجع إلى هدى ولا كتاب منير، بل محض الهوى وما يوحي الشيطان إلى أوليائه من ضلالات وأباطيل يسمونها نظمًا وتشريعات وقوانين! فإذا ما أشكل على الولاة أمر رجعوا فيه إلى المذكرات التفسيرية لهذه الشرائع الوافدة، أو إلى الـــراجح في الفقـــه الفرنسي أو الألماني أو الإيطالي ليستلهموا من خلاله الحكـــم في محل النـــزاع ! فالولاة في ظل هذه الصورة قد ردوا مرجعية الشريعة في علاقة الدين بالدولة، وخلعوا ربقة الأحكام الشرعية في كل ما يتصل بشئون الحياة العامة.

إن تحري مقصود الشارع هو معيار العدل والإصابة في الصورة الأولى، أما معـــيار العـــدل والإصابة في الصورة الثانية فإنه يتمثل في مدى تحقيقه للمصالح البشـــرية البحتة، ومدى موافقته للقوانين الوضعية الوافدة نصًّا وروحًا بحيث يعد الحكـــم بما أنزل الله في ظل هذه الصورة نقضًا للعهد، وهتكًا للمواثيق وخروجًا عـــلى الأعراف القضائية السائدة، بل جريمة جنائية تستوجب تقديم صاحبها إلى محكمة الجنايات ! فلو أن قاضيًا في ظل العلمانية حكم بقطع يد سارق أو برجم زانٍ فإنـــه يكـــون قـــد حكم بما يخالف الصواب، وخرج على مقتضى القانون الواجـــب الاتـــباع، فينقض حكمه، وينظر في أمره ليجري عليه ما يستحقه من جزاءات وعقوبات، أما الذين يسعون في تنفيذ مثل هذا الحكم فإنهم يقدمون هم ومن أعانهم على ذلك إلى محاكمة جنائية بتهمة إحداث عاهة مستديمة ! أو بتهمة القـــتل العمد مع سبق الإصرار والترصد ! وما ذلك إلا لأن القانون لا يقر هذه

العقوبـــات، ولا يعترف بهذه التشريعات، فهذا فارق جوهري لابد أن ينتبه إليه، فحكم الله في الصورة الأولى هو الحق والصواب، أما في الصورة الثانية فهو منكر أو جريمة تستوجب العقاب !

وســـوف نبين فيما يلي مدى تعارض العلمانية مع قواعد الاعتقاد الكلية، وكيف أنها تلتحق بالشرك الأكبر المخرج من الملة وذلك في النقاط الآتية:

ثانياً مفهوم العلمانية والتلبيس الواقع في هذا المصطلح

مفهوم العلمانية:

تعبير العلمانية تعبير محدث لم يرد له ذكر في المعاجم العربية القديمة، وقد ورد هـــذا التعبير لأول مرة في قاموس ثنائي اللغة [فرنسي - عربي] ألفه أحد تـــراجمة الحملـــة الفرنسية واسمه لويس بقطر المصري، وقد طبع جزؤه الأول في مارس ١٨٢٨م، ثم دخلت الكلمة بعد ذلك إلى اللغة العربية، وأول معجم في اللغة العربية ورد فيه هذا التعبير هو المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

فقد جاء في طبعته الأولى الصادرة سنة ١٩٦٠م: [العلماني]: نسبة إلى العَلْم، بمعنى العالم، وهو خلاف الديني، أو [الكهنوتي]، وبقي الأمر كذلك في الطـــبعة الثانـــية الصادرة سنة ١٩٧٩م، أما في الطبعة الثالثة، التي صدرت سنة ١٩٨٥م، فقـــد وردت الكـــلمة فيه مكسورة العين، بعد أن ظلت مفتوحة في الطبعتين الماضيتين.

والعَلْماني (مفتوحة العين) نسبة إلى العَلْم (بفتح العين وسكون اللام) بمعنى العالم، أي: الخلق كله.

والعـــلماني (بكسر العين) نسبة إلى العلم التجريـــبي، الذي انتصر على الكنيســـة بعد صراع مرير، سالت فيه دماء، وأزهقت فيه أرواح، لأن الكنيسة كانت بالمرصاد لكل رأي علمي يعارض التفسير الديني للكتاب المقدس.

جناية المصطلحات:

بيد أن استعمال هذا المصطلح بالكسر استعمال ينطوي على قدر كبير من الخطأ والتلبيس.

- أما انطواؤه على الخطأ فلأن الكلمة في جذورها الأوروبية لا علاقة لها بالعلم فهي في اللغة الإنجليزية (Secularism)، وهذا التعبير لا صلة له بالعلم، فالعلم في كل من الإنجلـــيزية والفرنسيـــة (Science)، والمـــذهب العـــلمي يطـــــلق علـــيـــه (Scientism) أما هذه الكلمة (Secularism) فهي اللادينية أو الدنيوية، فنسبتها إلى العلم نسبة خاطئة لانبتات الصلة بين العلم وبين هذا التعبير في جذوره الأوروبية.

- وأما انطواؤه على التلبيس والإيهام فلأن في نسبة هذا التعبير إلى العلم ما يحجـــب حقـــيقة المعنى الذي يتضمنه هذا التعبير، ويدخله في دائرة القبول العام خاصة أن مجرد الانحياز إلى العلم لا يعني نبذ الإيمان أو استبعاد الدين بالضرورة، بـــل لابـــد لإبـــراز هـــذا المعنى من التحليل والتوضيح الأمر الذي تأباه طبيعة المصطلحات.

وعلى هذا فإن المعنى الصحيح لهذا التعبير هو الفصل بين الدين والدولة، بل بتعبير أدق الفصل بين الدين والحياة، وعدم المبالاة بالدين أو الاعتبارات الدينية، ونزع القداسة عن المقررات الدينية والتعامل معها كمواريث بشرية بحتة، وقصر الدين على جانب الشعائر التعبدية الفردية البحتة باعتباره علاقة خاصة بين الإنسان وخالقه.

رابعاً العلمانية ناقضة لأصل الدين

لقد تمهد في قواطع الإسلام ومحكماته أن الحجة القاطعة والحكم الأعلى هو الشرع لا غير، فلا حلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله، وأن من أحل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه، أو امتنع عن التزام الحكم به والتحاكم إليه كان مارقًا من الإسلام باتفاق المسلمين.

ومما يدل على أن العلمانية ناقضة لأصل الدين ما يلي:

١- العلمانية شرك في الربوبية:

لقد سبق أن الخلق والأمر من أخص خصائص الربوبية وأجمع صفاتها، كما قال تعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ولهذا أجاب بهما موسى عليه السلام في مقام المحاجة مع فرعون عندما ابتدره سائلاً: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٤٩] فكان جواب الكليم عليه السلام : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: ٥٠]،

ومن قبل ذلك قال الخليل إبراهيم عليه السلام في وصفه لربه: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨]، ومن بعد ذلك أُمر محمد ﷺ أن يسبح باسم ربه الأعلى الذي تفرد بهذين الوصفين، فقال تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى: ١- ٣].

والأمر في لغة الشارع يأتي بمعنيين:

الأول: الأمر الكوني: وهو الذي به يدبر شئون المخلوقات، وبه يقول للشيء: كن فيكون، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠].

الثاني: الأمر الشرعي: وهو الذي به يفصّل الحلال والحرام والأمر والنهي وسائر الشرائع، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

وإذا كانت البشرية لم تعرف في تاريخها من نازع الله في عموم الخلق أو الأمر بمفهومه الكوني، فقد حفل تاريخها بمن نازع الله في جانب الأمر الشرعي وادعى مشاركته فيه، فقد حكى لنا القرآن الكريم عمن قال: ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ومن قال: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩]، ورأينا في واقعنا المعاصر من ينتصرون للعلمانية، ويدينون بالفصل بين الدين والدولة! بل من اجترأ على ربه وقال: إن القوانين

الوضـــعية خير من الشريعة الإسلامية، لأن الأولى تمثل الحضارة والمدنية، والثانية تمثل البداوة والرجعية !

ولا يتحقق توحيد الربوبية إلا بإفراد الله جل وعلا بالخلق والأمر بقسميه: الكوني والشرعي، وإفراده بالأمر الشرعي يقتضي الإقرار له وحده بالسيادة العليا والتشريع المطلق، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، ومن سوغ للناس اتباع شريعة غير شريعته فهو كافر مشرك.

وقد اتفق الأصوليون أجمعون على أن الحاكم لجميع أفعال المكلفين إنما هو الله عـــز وجـــل، فهو وحده مصدر جميع الأحكام الشرعية، ولذلك اشتهر من أصولهم: (لا حكم إلا لله).

حـــتى هؤلاء الذين قالوا باستقلال العقل بمعرفة بعض الأحكام الشرعية لم ينازعوا في هذا الأصل السابق، وإنما كان نزاعهم حول كيفية التعرف على حكم الله عز وجل، فدور العقل عندهم هو دور التعرف على حكم الله الكاشف عنه أحـــيانًا مع اتفاق الجميع على أن الحاكم الذي يصدر الأحكام ابتداءً إنما هو الله عز وجل، ومن هنا كان اتفاقهم على تعريف **الحكم الشرعي** بأنه: "خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين طلبًا أو تخييرًا أو وضعًا " وقسموه قسمين:

– **الحكم التكليفي**: وهو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين طلبًا أو تخييرًا، وأقسامه خمسة: الإيجاب والتحريم والكراهة والندب والإباحة.

– **الحكـــم الوضـــعي**: وهو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على جهة الوضع، وهو ما اقتضى وضع شيء سببًا لشيء أو شرطًا له أو مانعًا منه.

وعـــلى هذا فالعلمانية وما تعنيه من رد مرجعية الشريعة، وادعاء الحق في إصدار أحكام عامة ملزمة على سبيل الإيجاب أو التخيير أو الوضع على خلاف أمـــر الله ورسوله، يعد منازعة لله في ربوبيته وألوهيته، وعملاً من أعمال الشرك الأكـــبر بـــلا نزاع؛ إذ لا فرق بين من ينازع الله في صفة الخلق، ومن ينازعه في صـــفة الأمـــر، فكلاهما طاغوت مشرك متمرد على مقام العبودية، منتهك لحرم الربوبية والألوهية.

وقـــد كانت ربوبية الأحبار والرهبان في بني إسرائيل من هذا القبيل، فقد أحلـــوا ما حرم الله وحرموا حلاله، فتابعهم الناس على ذلك، فلم تكن الربوبية فـــيهم في جانـــب الخلـــق أو الأمر الكوني، بل كانت في جانب الهداية والأمر الشرعي.

عـــن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فقال: إنا لسنا نعبدهم. قال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟**» فقال: بلى. قال: « **فتلك عبادتهم** »[1] .

فحقـــيقة الإقرار بالربوبية لا تتمثل في إفراد الله جل وعلا بالخلق والتدبير الكوني فحسب، بل تمتد لتشمل إفراده تعالى بالأمر والقضاء الشرعي، وقبول ما

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير: باب ومن سورة التوبة ٥/٦٥ ح ٣١٠٦ بلفظ مختلف وقال: هذا حديث غريب.

جـاء بـه رسوله ﷺ من الهدي والشرائع، وذلك لأن المنازعة في الأمر الشرعي كالمـنازعة في الأمر الكوني ولا فرق، فإن الذي أوجب الرضا بقدره هو الذي أوجب التحاكم إلى شرعه، وهو القائل: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّـاهُ ﴾ [يوسف: ٤٠]، والقائل: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

٢- العلمانية شرك في الألوهية:

أما كون العلمانية شركاً في التوحيد في جانب الألوهية فلما تمهد من أن الإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة بكمال المحبة وكمال الطاعة، وأن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ففي الحديث المتفق على صحته قوله ﷺ: « **يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد ؟** » قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا** »[1].

وقد تمهد فيما سبق أن توحيد العبادة ينتظم جانبين رئيسين: توحيد الإرادة والقصد، وتوحيد الطاعة والاتباع.

- أما توحيد الإرادة والقصد فيراد به إفراد الله بالشعائر التعبدية كالصلاة والحج والدعاء والنذر والذبح ونحوه.

- وأما توحيد الطاعة والاتباع فيراد به إفراد الله بكمال الخضوع والطاعة، وإخـراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبدًا لمولاه، وذلك بتحكيم شرعه

(١) سبق تخريجه في ص: ١٠٧.

وحده، والقبول التام لكل ما جاء به نبيه ﷺ، والبراءة من كل ما يتنافى مع ذلك من الأهواء البشرية.

وإلى هذيـــن الجانبين يشير قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَـــلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦١- ١٦٣].

فالآية الأولى تشير إلى توحيد الطاعة والاتباع، فلا يُتلقى الهدى إلا من الله، والآيتان اللتان بعدها تشيران إلى توحيد الإرادة والقصد، فلا يُتوجه بالأعمال إلا إلى الله.

فالانقياد لله عز وجل والتزام طاعته هو أحد ركني العبادة، فمن زعم حب الله عـــز وجل وتصديقه ولكنه رفض الطاعة له أو الانقياد لأمره، واختار لنفسه طـــريقًا آخر مضادًا للصراط المستقيم الذي شرعه الله وأمر باتباعه، واتخذ ذلك مـــنهجًا ثابـــتًا وديدنًا مضطردًا يوالي عليه ويعادي عليه، فقد ضاد الله في أمره وجعل نفسه ندًا للذي خلقه.

قـــال تعالى: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

- وقـــد ذكر الحافظ ابن كثير عن سعيد بن جبير قال: خاصمت اليهود النبي ﷺ فقالوا: نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله ؟! فأنزل الله هذه الآية[1].

- وروي أيضًـــا عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَـــرِ اسْـــمُ اللَّهِ ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمدًا وقولوا له: فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله عز وجل بشمشير من ذهب - يعـــني الميـــتة - فهو حرام ؟! فنـــزلت هذه الآية: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[2] [الأنعام: ١٢١].

- قال ابن كثير: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم غيره عليه فهذا هو الشرك كقوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

والمقصـــود في هذا المقام أن الله عز وجل قد جعل عدولهم إلى غير شريعة الله يعد إشراكًا بالله.

أوجه أخرى لنقض العلمانية لأصل الدين:

٣- العلمانية ثورة على النبوة:

لا يخفى أن الإيمان بنبوة محمد ﷺ هو المدخل إلى الإسلام، فإن الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة هما أول واجب على المكلف، وأول ما يخاطب

(١) هذا الإسناد مرسل. إلا أن أبا داود أخرجه في كتاب الضحايا: باب في ذبائح أهل الكتاب ٣/١٠١ ح ٢٨١٩ متصلاً عن ابن عباس - رضي الله عنه -، بإسناد حسن.

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره: ٢/٢٠٧ وعزاه للطبراني.

بـــه الـسناس عند الدعوة إلى الإسلام، كما قال ﷺ لمعاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن: « **إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله....** »[1] الحديث.

وحقـــيقة الإيمان بنبوته تتمثل في تصديق خبره جملة وعلى الغيب، والتزام هديه جملة وعلى الغيب، فما آمن بمحمد ﷺ وما ارتضى نبوته من كذب بخبره أو رد علـــيه شرعه؛ لأن حقيقة الإيمان هي التصديق والانقياد ومن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر بالله العظيم.

يقول ابن القيم رحمه الله: "وأما الرضى بنبيه رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدي إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، لا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه "[2].

قال تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [النساء:٦٥]. قال ابن كثير رحمه الله: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا

(١) تقدم تخريجه في ص: ١٠٤.

(٢) [مدارج السالكين ١٧٢/٢].

وظاهـــرًا ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كمـــا ورد فـــي الحديث: « **والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به** » [1]،[2].

ويقول الجصاص رحمه الله: "وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئًا من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام، سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم، وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم، لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي ﷺ قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان " [3] [4].

فـــأين هـــذا مـــن تـــرك الـــتحاكم إلى شريعته ابتداء، واتهامها بالبداوة والرجعيـــة؟ أو الجمود وعدم الصلاحية للتطبيق ؟

---

(١) أورده الهندي في كنـــز العمال: ٢١٧/١ ح ١٠٨٤ وعزاه للحكيم وأبي نصر السجزي في الإبانة وقال: حسن غريب والخطيب عن ابن عمرو.

(٢) [تفسير ابن كثير ٥٢٠/١].

(٣) من منع الزكاة ردًا لها فهو كافر بإجماع المسلمين، ومن منعها بخلاً بها واتباعًا للهوى فهو باغ من البغاة وتكفيره موضع اجتهاد.

(٤) [أحكام القرآن للجصاص ١٨١/٣].

لقد نُهي الصحابة في القرآن عن أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ ، وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وجعل من هذا الفعل – الذي قد يبدو يسيرًا – سببًا لحبوط الأعمال، وسبيلاً قاصدًا إلى الردة عن الإسلام، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

يقول ابن القيم رحمه الله: " فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببًا لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه ؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطًا لأعمالهم؟ "[1] .

قلت: فكيف إذا كان الأمر إهدارًا لشريعته، واجتراء على هديه، وردًا لسنته، ونبذًا لما جاء به من شرائع الإسلام بالكلية ؟!!

٤- العلمانية نقض لعقد الإيمان المجمل:

فقد تمهد في أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وأن أصله تصديق الخبر والانقياد للأمر، وأن من لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر بالله العظيم.

فلا يثبت عقد الإيمان بمجرد التصديق الخبري، بل لابد من التكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد، ولهذا لما جاء نفر من اليهود إلى النبي ﷺ وقالوا: " نشهد إنك لرسول " لم يكونوا مسلمين بذلك لأنهم قالوا ذلك

(١)[إعلام الموقعين لابن القيم ١/٥١].

عـــلى سبيل الإخبار عما في أنفسهم فحسب، أي نعلم ونجزم أنك رسول الله، قال: « **فلم لا تتبعوني؟**»، قالوا: نخاف يهودًا[1] !

يقول ابن القيم رحمه الله: " ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصـــديق مجـــرد اعـــتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد التصـــديق إيمانًا لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمـــدًا رســـول الله كمـــا يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين، فالتصديق إنما يتم بأمرين: أحدهما: اعتقاد الصدق، والثاني: محبة القلب وانقياده "[2].

ويقـــول القسطلاني في تعريف الإيمان: " وهو - لغة -: التصديق، وهو كما قال التفتازاني: إذعان لحكم المخبر وقبوله، فليس حقيقة التصديق أن يقع في القلـــب نســـبة التصديق إلى الخبر أو المخبر من غير إذعان وقبول، بل هو إذعان وقبول لذلك بحيث يقع عليه اسم التسليم "[3] .

ولا يخفـــى أن العلمانية بردها لشريعة الله، وامتناعها عن قبول ما أنزل الله قد أسقطت ركن الانقياد من حقيقة الإيمان، فتكون نقضًا للإيمان المجمل الذي لا تثبـــت صـــفة الإسلام إلا باستيفائه، ولا يبقى معها من الإيمان - إن بقيت على

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير: باب ومن سورة بني إسرائيل ٩٧/٥ ح ٣١٥٥ في قصة طويلة عن صفوان بن عسال المرادي ﷺ ، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في كتاب تحريم الدم: باب السحر: ١١١/٧ ح ٤٠٧٨ وأحمد في المسند: ٢٣٩/٤.

(٢) [الصلاة لابن القيم ١٩ - ٢٠].

(٣) [إرشاد الساري ٨٢/١].

ادعائه – إلا التصديق الخبري المحض كالذي كان من أحبار اليهود الذين شهدوا لرسول الله ﷺ بالرسالة لما أجابهم عن أسئلتهم بما يعلمون من كتبهم فقال لهم ﷺ: « **فما يمنعكم من اتباعي ؟** » قالوا: نخاف قومنا يهودًا !

أو الذي كان من هرقل الذي أعلن تعظيمه للنبي ﷺ ولكن امتنع عن اتباعه خشية على ملكه.

أو الذي كان من أبي طالب الذي أعلن بأن دين محمد من خير أديان البرية، والذي ظل عمره كله يحوط رسول الله ﷺ ويمنعه، ولكن امتنع عن اتباعه خشية الملامة ومسبة العرب له بأن استه تعلو رأسه !!

وإننا لو أثبتنا إيمانًا أو صححنا توحيدًا لمن كان حظه من الشرائع السماوية مجرد اعتقاد صدقها وأنها منزّلة من عند الله لحكمنا بإيمان أغلب من في الأرض !! ذلك أن آيات الله مبصرة فلا يملك القلب البشري تجاهها إلا الإذعان والتسليم لا سيما إذا ما عرضت خالية من التشويه والتحريف، ولكن يختلف الناس بعد ذلك في الموقف العملي: أهو الإخبات والطاعة ؟ أم الإباء والاستكبار ؟!

فالإيمان – كما سبق – ليس مجرد التصديق، ولكنه الإقرار والطمأنينة وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب جماعه الخضوع والانقياد للأمر وإن لم يفعل المأمور به، فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد

حصـــل أصـــل الإيمان في القلب وهو الطمأنينة والإقرار، فإن اشتقاقه من الأمن الـــذي هـــو القـــرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد.

٥- العلمانية استحلال للحكم بغير ما أنزل الله:

إن العلمانـــية بما تقوم عليه من تبني الكفر بمرجعية الشريعة في علاقة الدين بالحـــياة، وامتـــناعها عن الالتزام بشرائع الإسلام، واتهامها لمن ينازعها في ذلك بالرجعية والتطرف والإرهاب... الخ، تعد استحلالاً للتحاكم في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله، وتسويغًا للخروج على شريعة الإسلام في كل ما يـــتعلق بشـــئون الحياة، وكل ذلك من الكفر الصراح الذي لا يجتمع مع أصل الإســـلام بحـــال، فقـــد اتفقت الأمة على أن استحلال المحرمات القطعية كفر بالإجماع، لم ينازع في ذلك أحد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

" والإنســـان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرًا ومرتدًا باتفاق الفقهاء، وفي مثل هذا نزل قول الله تعـــالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ** ﴾ أي هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله "[1].

وإن في الامتناع عن الالتزام بشرائع الإسلام أو بالحكم بما استباحة لما حرم الله ورسوله ﷺ ، وذلك أن الاستحلال ليس مجرد عدم الاعتقاد بأن الله قد حرم هذا الشيء، بل يكون أيضًا مع اعتقاد حرمته وعدم التزام هذا التحريم.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ٢٦٧.

فللاستحلال صورتان:

– **الأولى:** عـــدم اعتقاد الحرمة، ومرده حينئذ إلى خلل في الإيمان بالربوبية والرسالة، ويؤدي إلى كفر التكذيب.

– **الثانية:** اعتقاد الحرمة والامتناع عن التزام هذا التحريم معاندة للمحرم، ومـــرده في هـــذه الحالة إما إلى خلل في التصديق بصفة من صفات الشارع جل وعلا كالحكمة والقدرة، وإما لمجرد التمرد واتباع هوى النفس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلاً لها فهو كافر بالاتفاق، فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، وكذلك لو استحلها مـــن غير فعل، والاستحلال: اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية، ولخلل في الإيمان بالرسالة، ويكون جحدًا محضًا غير مبني على مقدمة.

وتارة يعلم أن الله حرمها، ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله، ثم يمتنع عن التزام التحريم ويعاند المحرم فهذا أشد كفرًا ممن قبله، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذبه، ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعـــتقاد حكمة الآمر وقدرته فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، وقـــد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمردًا أو اتباعًا لغرض النفس، وحقيقته كفـــر هذا لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به، ويصدق بكل ما يصدق به المؤمـــنون، لكـــنه يكره ذلك و يبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه،

ويقـــول: أنا لا أقر بذلك ولا ألتزمه وأبغض هذا الحق وأنفر عنه فهذا نوع غير النوع الأول، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام "[1].

فـــلا يشترط إذن في الاستحلال أن يكون دينيًا، أي يعتقد حل المحرمات ديـــنًا، بل يكفي أن يأبى هذا التحريم كما أبى إبليس أن يسجد لآدم لكي يكون مستحلاً كافرًا بإجماع الأمة.

فمـــن امتنع عن التزام الحكم بشرائع الإسلام، وتحاكم في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله، وشرع للناس من الأحكام ما لم يأذن به الله فإنه يكـــون مســـتجيزًا مخالفة حكم الله، مستحلاً للحكم بغير ما أنزل الله، وتكفيره معلوم بالاضطرار من دين الإسلام.

فالإســـلام كمـــا قـــال شيخ الإسلام ابن تيمية: " يتضمن الاستسلام لله وحـــده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرًا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت "[2].

ولا شك أن العلمانية بما تتضمنه من رفض الاستسلام لله وحده، وإعلان الكفـــر بمرجعية وحيه في علاقة الدين بالدولة، ورفض الدخول ابتداء تحت دائرة

(١) [الصارم المسلول لابن تيمية: ٥٢١ - ٥٢٢]

(٢) [مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٩١].

التكلـــيف فإنها بهذا تكون منازعة لدين الإسلام في أصله، ومناقضة له في أساسه ولبه.

ولكـــي تـــزداد هذه الحقيقة جلاء لابد أن نتعرف على حقيقة الدين وما يندرج تحته من شرائع وتكليفات، ذلك أن كثيرًا من الناس في هذا العصر يخطئ في فهـــم حقيقة الدين الذي أنزله الله على محمد ﷺ ويظنه لا يتجاوز ما يقام فينا مـــن شـــعائر العـــبادات، وما يهتف به الوعاظ والخطباء من الدعوة إلى مكارم الأخلاق، أما ما وراء ذلك من شئون الحياة فلا علاقة للدين به طبقًا لمقولة: دع مـــا لقيصر لقيصر وما لله لله ! أو لمقولة لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، ولا يخفى أن من كانوا كذلك إنما يتصورون دينًا آخر ويسمونه الإسلام.

فـــالدين هـــو جملة ما جاء به محمد ﷺ من عند الله من عقائد وعبادات وشرائع. كل ذلك داخل في مسمى الدين، مقصود بقـــوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩] وقوله: ﴿ **اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً** ﴾ [المائدة: ٣].

ولا يخفـــى أن في القـــرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة أحكامًا كثيرة ليســـت مـــن التوحـــيد ولا من العبادات، كأحكام البيع والربا والرهن والدين والإشهاد وأحكام الزواج والطلاق واللعان والظهار والحجر على الأيتام والوصايا والمواريـــث وأحكـــام القصـــاص والدية وقطع يد السارق وجلد الزاني وقذف المحصـــنات وجـــزاء الســـاعي في الأرض فســـادًا... بل في القرآن آيات حربية

و....الخ. وهـــذا يدلـــنا على أن من يدعو إلى العلمانية أو إلى فصل الدين عن السياسة إنما تصور دينًا آخر وسماه الإسلام.

هذا ولا يخلو حال الداعين إلى هذه النحلة من أحد أمرين:

- إمـــا أن ينكروا كل هذا الحشد الهائل من الأحكام، ويكذبوا بما جاء فيها من الآيات والأحاديث، وكفر هؤلاء معلوم بالضرورة من الدين.

- وإمـــا أن يقـــروا بوجـــود هذه الأحكام في الكتاب والسنة، وينكروا صلاحيتها للتطبيق وكفالتها بالمصالح في هذا العصر، وفي هذا المسلك من الزندقة والكفـــر مـــا فيه؛ فإن عيب هذه التشريعات عيب للمشرع جل في علاه ، وقد استحق إبليس لعنة الخلد ونار الأبد لأنه رد على الله حكمًا واحدًا من أحكامه، فكيف بمن يرد على الله أحكامه كافة متهمًا لها بعدم الصلاحية، ويعد الدعوة إلى تطبيقها لونًا من ألوان الردة الحضارية ؟!!

لقـــد عرفت الأمة من قبل - ولا تزال - خلافات فقهية كثيرة تمحورت إلى أربعة مذاهب رئيسة عدا ما اندثر من المذاهب الأخرى، كما عرفت خلافات عقائديـــة كثيرة تمحورت إلى قرابة ثلاث وسبعين فرقة وقفت على رأسها الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وبقي من عداهم من أهل الوعيد..

إلا إن هـــذه المذاهب وتلك الفرق قد التقت في الجملة على أصل الإيمان بـــالله ورســـوله، واتفقت على الإقرار المجمل بالتوحيد والرسالة، فاعتقدوا جميعًا بـــتفرد الله وحده بالخلق والأمر، ودانوا جميعًا بأن الحجة القاطعة والحكم الأعلى هـــو الوحـــي المعصوم، وكل ما نشأ بينهم بعد ذلك من الاختلافات فقد كان

داخـــل هذا الإطار، فالطاعة للتكليف واتباع النبي - ﷺ - لم تكن موضع ممارة من أحد منهم، ولهذا صح وصف هذه الفرق بأنها فرق إسلامية.

أمـــا مـــنازعة العلمانيين اليوم فهي منازعة في أصل الدين، ومشاقة بينة لله ولرسوله وللمؤمنين، إنهم يجادلون في حجية الوحي الأعلى المعصوم، وينازعون في مـــبدأ الدخول في دائرة التكليف، ويكفرون بصلاحية الشريعة -كل الشريعة- للتطبـــيق.. إنهـــا ثورة على الإسلام.. وانقلاب ضـــد النبوة.. إنها حريق حول الكعبة !!

لقـــد جعل الله الكفر بالطاغوت قسيم الإيمان بالله، وتعبد أولياءه بالكفر بالطاغوت واجتنابه في مواضع شتى من القرآن الكريم.

فقـــال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وبيّن أن ادعاء الإيمان لا يصح مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [النساء: ٦٠].

ومدح الذين اجتنبوا الطاغوت، وجعل لهم البشرى في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر: ١٧].

والطاغوت هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، يقول العلامة ابن القيم – رحمه الله –: " الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله "[1].

والعلمانية بما تعنيه من رفض الدخول في إطار التكليف، وخلع ربقة العبودية فيما يتعلق بأمور الدولة وسائر أمور الحياة العامة، وتعبيد أتباعها للأهواء المجردة، وعقد الولاء والبراء على ذلك – لاشك أنها من أظهر أنواع الطواغيت التي أمرنا بالكفر بها واجتنابها.

خامساً خلاصة القول في شبهة التسوية بين العلمانية وبين انحرافات التطبيق الجزئية

لقد تمهد – كما سبق – في محكمات الأدلة أن توحيد الألوهية يقتضي إفراد الله بالطاعة والانقياد، وأن الإيمان المجمل هو التصديق والانقياد، وأن

(١) إعلام الموقعين: ١/٢٥.

الكفر هو عدم الإيمان، سواء أكان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض، وأن من لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر.

وعلى هذا يمكن تفصيل القول في قضية الحكم بغير ما أنزل الله، ذلك أن تعبير الحكم بغير ما أنزل الله، قد يقصد به عمل القضاة والمنفذين، وقد يقصد به عمل الأصوليين المشرعين، وعلى حسب الدقة في تحديد المناط تكون الدقة في سلامة الحكم وموافقته لمراد الشارع:

فإن قصد به عمل القضاة والمنفذين نظر: فإن كان مرده إلى تكذيب الحكم الشـــرعي أو رده فهو كفر أكبر يخرج من الملة، وإن كان مرده إلى عارض من هـــوى أو رشوة أو نحوه مع بقاء التحاكم ابتداء إلى الكتاب والسنة أو ما حمل عليهما بطريق الاجتهاد فهو من جنس الذنوب والمعاصي، وأصحابه في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

وهـــذه هي صورة الحكم بغير ما أنزل الله التي عرفت في تاريخ الإسلام، والتي قال فيها علماء الإسلام ما قالوا وفصلوا فيها من الأحكام ما فصلوا، إذ لم تعـــرف الدولة في تاريخها الطويل نبذًا كاملاً لأحكام الله واطراحًا مجملاً لشريعة الله، وتحاكمًا من حيث المبدأ إلى كتاب غير القرآن وإلى دين غير الإسلام؛ اللهم إلا مـــرة واحـــدة في أيـــام التتار ولقد جزم أهل العلم يومها بأن هذه الصورة المســـتحدثة لا تكيـــيف لها إلا الكفر، وأن أصحابها كفار بلا خلاف وأنه يجب قتالهم حتى يرجعوا إلى حكم الله ورسوله.

قال ابن كثير رحمه الله عما كان يحكم به التتار من السياسات الملكية: " فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير "[1].

ويقول في البداية والنهاية: " فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه، من فعل فقد كفر بإجماع المسلمين "[2].

أما إن قصد به المعنى الأصولي التشريعي الذي هو خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء أو التخيير أو الوضع، وأريد به إصدار قواعد تشريعية عامة تبدل بها شرائع الاسلام وتكون لها السيادة في الأمة بدلاً من سيادة الكتاب والسنة وتصبح هي المرجع في الحكم عند التنازع، ويقدم العمل بها على العمل بأحكام الشريعة المطهرة، فلا جدال في أن لهذه الصورة مناطًا واحدًا وتكييفًا واحدًا وهو الكفر الأكبر المخرج من الملة الذي لا تبقى معه من الإيمان حبة خردل، كما قال تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [الشورى: ٢١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرًا مرتدًا باتفاق الفقهاء "[3].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٧٦.

(٢) البداية والنهاية: ١٣/١١٩.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/٢٦٧.

وقد سبق قول ابن كثير: " فمن ترك الشرع المحكم المنـــزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء ﷺ وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين".

ولقـــد أدى اللبس في هذه القضية وعدم تحديد مناطات الحكم في صوره المختلفة إلى اضطراب كثير من أهل العلم من منتسبي الحركة الإسلامية وغيرهم في تقريـــرها، مما أتاح للمبطلين أن يجدوا من بين فرجات اختلافهم مدخلاً لهم يلبسون به على العامة، ويسبغون به الشرعية على هذه العلمانية الغازية التي تقوم عـــلى رد شـــرائع الإســـلام، واستباحة الحكم بغير ما أنزل الله، وإهدار سيادة الشـــريعة الإســـلامية، وحمـــل الأمة كلها على تحكيم القوانين الوضعية، وذلك بإشـــاعة القول بأن الكفر الوارد في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ** ﴾ هو الكفر الأصغر الذي لا ينقل عن الملة، ويسوقون في ذلـــك بعـــض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في بيان أنه كفر دون كفر، ولـــيس كمـــن كفر بالله وملائكته، فنصبح بذلك أمام خلل جزئي أو انحراف فروعي لا يبرر انعدام الشرعية ولا سقوط واجب الطاعة.

ولقد نبه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري إلى هذا الخلل، وفصّل القول في مثل هذه الآثار عند تعليقه على ما أورده الطبري في تفسير قوله تعـــالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ** ﴾ من قول أبي مجلـــز – وهو تابعي ثقة – لمن سأله من الإباضية عن معنى هذه الآية، وأرادوا أن

يلـــزموه الحجة في تكفير الأمراء لأنهم في معسكر السلطان، ولأنهم ربما ارتكبوا بعض ما نهاهم الله عن ارتكابه فأجابهم أبو مجلز بقوله: " إنهم يعملون بما يعملون - يعـــني الأمـــراء - ويعلمون أنه ذنب ! قال: بينما أنزلت هذه الآية في اليهود والنصارى، قالوا: أما والله إنك لتعلم مثل ما نعلم، ولكنك تخشاهم ! قال: أنتم أحـــق بذلك منا، أما نحن فلا نعرف ما تعرفون ! قالوا: ولكنكم تعرفونه ولكن يمنعكم أن تمضوا أمركم من خشيتهم ! "[1].

يقـــول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعليقا على ذلك: " فلم يكن سؤالهم عمـــا احتج به مبتدعة زماننا، من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام، ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام، بالاحتكام إلى حكـــم غير حكم الله في كتابه وعلي لسان نبيه ﷺ فهذا الفعل إعراض عن حكـــم الله، ورغـــبة عن دينه وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعـــالى ، وهذا كفر لا يشك أحد مـــن أهـــل القبلة - على اختلافهم - في تكفير القائل به والداعي إليه.

والـــذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء، وإيثار حكم غير حكمه في كتابه وسنة نبيه، وتعطيل لكل ما في شريعة الله، بل بلغ الأمر مبلغ الاحـــتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنَزّلة، وادعاء المحـــتجين بذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير زماننا، ولعلل وأسباب انقضت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها، فأين هذا مما بيناه من حـــديث أبي

(١) [تفسير الطبري ٦/٢٥٢- ٢٥٣] .

مجلز، والنفر من الإباضية من بني عمرو بن سدوس "[1].

ويقـــول في موضع آخر: " ولو كان الأمر على ما ظنوا في خبر أبي مجلز، أنهم أرادوا مخالفة السلطان في حكم من أحكام الشريعة، فإنه لم يحدث في تاريخ الإســـلام أن ســـن حاكم حكمًا وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها، هذه واحدة، وأخـــرى أن الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله فيها، فإنه إما أن يكـــون حكـــم بها وهو جاهل، فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة، وإما أن يكون حكـــم بما هوى ومعصية فهذا ذنب تناله التوبة وتلحقه المغفرة، وإما أن يكون حكـــم بـــه متأولاً حكمًا يخالفه به سائر العلماء فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد تأويله من الإقرار بنص الكتاب، وسنة رسول الله - ﷺ -. وأما أن يكون في زمـــن أبي مجلز أو قبله أو بعده حاكم حكم بقضاء في أمر جاحدًا لحكم من أحكام الشريعة، أو مؤثرًا لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام، فذلك لم يكن قط فلا يمكن صرف كلام أبي مجلز والإباضيين إليه.

فمن احتج بهذين الأثرين وغيرهما في غير بابهما، وصرفهما إلى غير معناهما رغـــبة في نصرة سلطان، أو احتيالاً على تسويغ الحكم بغير ما أنزل الله وفرض على عباده، فحكمه في الشريعة حكم الجاحد بحكم من أحكام الله: أن يستتاب، فـــإن أصر وكابر وجحد حكم الله، ورضي بتبديل الأحكام فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهل هذا الدين "[2].

والذي نخلص إليه من ذلك كله أن قول بعض السلف كفر دون كفر في تفسير هذه الآية لا ينصرف مناطه إلى مناط العلمانية التي ترد مرجعية

(١) [راجع تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر ٣٤٩/١٠] .

(٢)[تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر: ٣٥٨/١٠]

الشريعة، وتهدر سيادتها في علاقة الدين بالدولة، وتجعل من التحاكم إليها خروجًا على الشرعية وسببًا قاطعًا من أسباب بطلان الحكم ونقضه!

سادساً شبهة وجوابها

ولكـــن تبقى بعد ذلك شبهة: وهي أن هذه النصوص السابقة إنما هي في قوم رفضوا الدخول في الإسلام من البداية، وأبوا أن يذعنوا له رغم معرفتهم بأنه حق من عند الله، أما هؤلاء الممتنعون عن التزام الشرائع أو الحكم بها فقد أعلنوا قبولهم للإسلام في الجملة.

ويجـــاب عن هذا بأنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا فرق بين من يدفع جميع ما أنزل الله على عباده، ومن يدفع شيئًا واحدًا من ذلك، كما لا فـــرق بين من يكذب بالقرآن كله ومن يكذب بسورة واحدة من سوره أو حتى آيـــة واحدة من آياته، ولا بين من يجحد الإسلام من البداية ومن يجحد حكمًا واحـــدًا من أحكامه القطعية، فمن أعلن قبوله للإسلام والتزامه بشرائعه جملة، ثم رد شـــيئًا من أحكامه القطعية فقد خرق بذلك قاعدة الخضوع والتزام الطاعة، وهي التي تمثل إحدى دعامتي التوحيد كما سبق القول.

ولكن سؤالاً يرد في هذا المقام:

هل مجرد التحاكم إلى الشرائع الوضعية والتزامها يعد خلعًا للربقة وتحللاً من الالتزام بشرائع الله ؟

وفي الجواب على هذا تفصيل لا غنى عن ذكره:

أولاً: لا شـــك أن الإقدام على نقض أحكام الله وتبديل شرائعه، وإحلال أهـــواء البشر محلها طواعية واختيارًا بلا عارض من تأويل أو إكراه، وحمل الأمة على ذلك بقوة السلطان يعد شركًا بالله العظيم وكفرًا بربوبيته وألوهيته.

ثانيًا: أما من توارث ذلك عمن سبقه من الولاة، ولم يبتدئ جريمة التبديل والفصل بين الدين والدولة فلا يخلو حاله من صورة من هذه الصور:

- أن يرضى بهذه العلمانية، ويعلن التزامه بها، ويسعى للتمكين لها، ويعقد ولاءه وبراءه عليها، فهذا لا شك في كفره؛ لأن الرضا بالكفر والتزامه كفر بالاتفاق.

- أن يعلـــن الكفـــر بها والعزم على تغييرها، ويتخذ بهذا الصدد خطوات حقيقية تبين صدقه في دعواه، فهذا قد برئ من الرضا والمتابعة، وذلك هو المسلم الذي له ذمة الله ورسوله، ويجب على الأمة عونه وتأييده، وقد يستغرق استكمال التغـــيير مُددًا تطول أو تقصر، ولكن هذا لا يقدح في صحة إسلامه ما صدقت أفعاله أقواله.

- أن يروغ في مواقفه، فلا يعلن صريح الرضا والمتابعة، ولا صريح الانخلاع والبراءة، وإنما تتذبذب مواقفه بين الفريقين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فهذا هو النفاق الذي ما فتئت تواجهه الدعوات على مدار التاريخ، وعلى الأمة أن تتابع مواقفه، وأن تلجئه إلى التزام أحد المنهجين لتفوت عليه ما يريده من الخداع والتلبيس، فإذا ما أظهر نفاقه بيقين فقد زالت شرعيته وسقطت طاعته.

والحق أن هذا الموقف الأخير هو أخطر ما يواجه الدعوة إلى إقامة الدين في هذا العصر؛ لأنه يجعل الناس في هؤلاء المارقين فئتين:

- فئة تحسن الظن بأقوالهم، فتلقي إليهم السلم، وتشايعهم بالقول والعمل، وتتهم الآخرين بالغلو والشطط !

- وفئة أخرى حاكمت أقوالهم إلى أعمالهم، فتبين لها كذب المقالات وزيف الشعارات، فلم تقم لها وزنًا وحكمت عليهم بما أسفر عنه استقراء واقعهم، ورصد حقيقتهم.

وإن كانت هذه الأخيرة قد أطلق بعضها القول فلم يدرس الظروف والملابسات التي تحيط ببعض هؤلاء، وربما تمثل شبهة إكراه يجب اعتبارها عند إجراء الأحكام.

وإن المعركة الحقيقية في مثل هذه المواقع لابد أن تكون على محورين:

- **الأول**: بيان حقيقة التوحيد وتبليغها للكافة حتى يستفيض العلم بأنه لا حكم إلا لله، وأن العلمانية والإسلام نقيضان، وأن تحكيم القوانين الوضعية لا يجتمع مع أصل الإيمان بحال من الأحوال.

- **الثاني**: بيان حقيقة الواقع ورصده بمنتهى الموضوعية والدقة، حتى يتبين للناس الحقيقة والدعوى في هذه المزاعم والادعاءات.

ذلك أن من الناس من يجهل حقيقة التوحيد وعلاقته بتحكيم الشريعة ووجوب إفراد الله بالطاعة.

ومـــنهم من يجهل حقيقة الواقع تحت تأثير أبواق التضليل والدعاية وخبراء الخـــداع والتلبـــيس ! وهؤلاء يمثلون في الواقع نسبة عالية لا يستهان بها، وفيهم الدعـــاة والهـــداة من حملة القرآن والسنة ممن يقرون بالقضية في جانبها العلمي، وتعتـــبر عـــند كـــثير منهم من البدهيات والمسلمات، ولكنهم فتنوا بالشعارات والتصريحات التي تطلقها أبواق العلمانية فشوشت عليهم الرؤية وجعلتهم في أمر مريج!

بقيـــت مسألة في غاية الأهمية وهي أن موقف الدعوة من العلمانية موقف عقـــيدي ثابـــت، فالعلمانية والإيمان نقيضان، وهي من الطواغيت التي تعبد الله عباده بالكفر بها واجتنابها، ومهما تفاوتت اجتهادات الدعاة في أشخاص القائمين عليها من طواغيت البشر فلا علاقة لذلك بالقضية الأصلية وهي رفض هذا المنهج وعدم مشايعة سدنته بقول أو عمل.

سابعاً من فتاوى أئمة المسلمين في علمانية التشريع

ابن كثير:

قـــال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

" ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والآهواء والاصطلاحات التي

وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيزخان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير "[1].

ويقول في البداية والنهاية: " فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد ابن عبد الله خاتم الأنبياء ﷺ، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه ؟! من فعل فقد كفر بإجماع المسلمين "[2].

أبو بكر الجصاص:

يقول في أحكام القرآن في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [النساء: ٦٥]: "وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئًا من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام، سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم؛ وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي

(١) [تفسير ابن كثير:٢/٦٧] .

(٢) [البداية والنهاية: ١٣/١١٩].

ذراريهـــم؛ لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي ﷺ قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان"[1] .

النسفي:

ويقـــول النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَـــى اللَّـــهُ وَرَسُـــولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُـــولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً ﴾ [الأحزاب: ٣٥]: " إن كان العصيان عصيان رد وامتـــناع عـــن القبول فهو ضلال كفر، وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق "[2].

ابن تيمية:

" والإنســـان متى أحل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرًا مرتدًّا باتفاق الفقهاء "[3] .

محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

" إن من الكفر الأكبر المستبين؛ تنـــزيل القانون اللعين منـــزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين ".

ثم أخذ يعدد أنواع الحكم بغير ما أنزل الله التي تخرج من الملة فقال:

" من أعظم ذلك وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ورسوله، إيجاد المحاكم الوضعية التي مراجعها القانون الوضعي، كالقانون الفرنسي

---

(١) [أحكام القرآن: ٣/١٨١].

(٢) [تفسير النسفي].

(٣) [مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/٢٦٧].

أو الأمريكي أو البريطاني، أو غير ذلك من مذاهب الكفار، وأي كفر فوق هذا الكفر؟ وأي مناقضة للشهادة بأن محمدًا رسول الله بعد هذه المناقضة؟"[1].

عبد العزيز بن باز:

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز في معرض نقده لدعوة القومية العربية: "إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولابد إلى رفض حكم القرآن؛ لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكامًا وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف، **وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة** كما قال تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾، وقال تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾، وقال تعالى ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾، وقال تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾.

وكل دولة لا تحكم بشرع الله، ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات، يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله حتى تؤمن بالله وحده وتحكم شريعته؛ كما قال عز وجل: ﴿ **قَدْ**

(١) [رسالة تحكيم القوانين: ١، ٧].

كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ "[1]

ويقول في موضع آخر: "وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، أو أن غير هدي رسول الله ﷺ أحسن من هدي الرسول ﷺ فهو كافر، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج على شريعة محمد ﷺ أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال، وبما ذكرناه من الأدلة القرآنية، وإجماع أهل العلم يعلم السائل وغيره، أن الذين يدعون إلى الاشتراكية أو إلى الشيوعية أو غيرها من المذاهب الهادمة المناقضة لحكم الإسلام، كفار ضلال أكفر من اليهود والنصارى؛ لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يجوز أن يجعل أحد منهم خطيبًا أو إمامًا في مسجد من مساجد المسلمين ولا تصح الصلاة خلفهم، وكل من ساعدهم على ضلالهم، وحسَّن ما يدعون إليه وذم دعاة الإسلام ولمزهم، فهو كافر ضال، حكمه حكم الطائفة الملحدة، التي سار في ركابها وأيدها في طلبها، وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من أنواع المساعدة، فهو كافر مثلهم"[2].

محمد الأمين الشنقيطي:

(١) [فكرة القومية العربية لصالح العبود: ٢٦٨].

(٢) [مجموع الفتاوى ومقالات متنوعة: ١/٢٧٤].

ويقـــول الشـــنقيطي: " وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا، يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم "[1] .

ويقـــول في موضـــع آخـــر: " وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق الســـموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض، كدعوى أن تفضيل الذكـــر عـــلى الأنـــثى في المـــيراث ليس بإنصاف بل يلزم استواؤهما في الميراث، وكدعـــوى أن تعـــدد الزوجـــات ظلم، وأن الطلاق ظلم للمرأة، وأن الرجم والقطع ونحوها أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك.. فتحكيم هذا الـــنوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفـــر بخـــالق السموات والأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائـــق كلها وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن أن يكون معه مشرع آخر علوًا كبيرًا ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ "[2] .

محمد حامد الفقي:

ذكـــر في تعليقه على كتاب فتح المجيد معقبًا على كلام ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية:

(١) [أضواء البيان للشنقيطي].

(٢) [أضواء البيان للشنقيطي].

" ومثل هذا وشر منه من اتخذ كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها و لم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها"[1].

أحمد شاكر:

" إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب إلى الإسلام كائنًا من كان في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها، فليحذر امرؤ لنفسه، وكل امرئ حسيب نفسه "[2].

مصطفى صبري "شيخ الإسلام في الدولة العثمانية":

"فصل الدين عن الدولة ارتداد عن الإسلام من الحكومة أولاً ومن الأمة ثانيًا، إن لم يكن ارتداد الداخلين في حوزة تلك الحكومة باعتبارهم أفرادًا فباعتبارهم جماعة وهو أقصر طريق إلى الكفر من ارتداد الأفراد، بل إنه يتضمن ارتداد الأفراد أيضًا لقبولهم الطاعة لتلك الحكومة المرتدة".

(١) [فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: ٤٠٦].

(٢) [عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: ١٧٤/٤].

محمد الخضر حسين شيخ الأزهر سابقًا:

" أما أن تفعل البلاد الإسلامية ما فعلته الدول الغربية مـــن تجريد السياسة من الدين، فهو رأي لا يصدر إلا ممن يكنّ في صدره أن ليس للدين من سلطان عـــلى السياسة، وهذا ما بيته فئة يريدون أن ينقضوا حقيقة الإسلام من أطرافها، حتى تكون بمقدار غيرها من الديانات الروحية التي فصلها أهلها عن السياسة، ثم يصبغوا هذا المقدار بأي صبغة أرادوا فيذهب الإسلام، فلا القرآن نزل ولا محمد ﷺ بعث ! ولا الخلفاء الراشدون جاهدوا في الله حق جهاده ! ولا الراسخون في العلم سهروا في تعرف الأصول من مواردها وانتزاع الأحكام من أصولها !".

إلى أن يقول: " فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم الدين، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين!!" [1].

الكوثري[*]:

"وقـــد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن دين الإسلام جامع لمصلحتي الدنـــيا والآخرة ولأحكامهما دلالة واضحة لا ارتياب فيها، فتكون محاولة فصل الديـــن عن الدولة كفرًا صريحًا منابذًا لإعلاء كلمة الله، وعداءً موجهًا إلى الدين الإســـلامي في صـــميمه، ويكـــون هذا الطلب من الطالب إقرارًا منه بالانتباذ

(١) [رسائل الإصلاح لمحمد خضر حسين] .

(*) والمقصود من إيراد مقالة الكوثري في هذا المقام – رغم وجود بعض الاستدراكات الجوهرية على منهجه– بيان أن الأمة كلها على اختلاف طوائفها ومدارسها الفكرية والعقدية تبرأ من نحلة العلمانية وتجمع على خروجها على محكمات الملة وقواطع الشريعة.

يقـــول لهم: إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان بما أنزل عليكم، فلم قتلتم الأنبـــياء الذيـــن جاؤوكم بتصديق التوراة التي بين أيديكم وقد أمرتم باتباعهم وتصديقهم؟ وهذا خطاب لليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ومعلوم أن أحدًا من هؤلاء لم يرتكب شيئًا من ذلك، وإنما هو أمر جناه آباؤهم من قبل، فخوطبوا به لرضاهم به وإقرارهم له، ومثل ذلك كثير في القرآن.

- المسألة الثانية:

إن القـــول بأن هذه العلمانية المعاصرة تسعى إلى التغيير، وأن ذلك ينفي شبهة الرضا والمتابعة أمر يحتاج إلى تفصيل:

ذلك أنه لا منازعة في صحة المبدأ في ذاته، فمن جاء على ميراث سابق من الكفـــر، ولكـــن أعلن انخلاعه عنه، وكفره به وبراءته منه، ثم توجه نحو تغييره وإزالـــته، فـــلا شك أنه لا ينسحب عليه حكم من سبقه، ولا يُسأل عن جريمة جناها غيره، بل يسلك - إن صدق - في عداد المجاهدين.

أما إذا كان يروغ ويدور، فيزعم الإيمان ويدعي التوجه إلى التغيير، ويقدم بين يدي ذلك أعمالاً هزيلة مدخولة، ثم تتجه خطاه بعد ذلك نحو الباطل الذي توارثـــه تدعيمًا له وتثبيتًا لأركانه، ومدافعة عنه ومجادلة دونه، بل ويوالي ويعادي عـــلى ذلك؛ فمن رضي بشرعه ومنهاجه قربه ووالاه، ومن ظن به سوى ذلك أبعـــده وعاداه، بل يخنق كل صوت يدعو إلى الحق، وكل دعوة تعمل على إقامة الديـــن والتزام شرائعه، فلا يجوز حينئذ أن يعـــول على قـــول تبين زوره، ولا عـــلى دعـــوى تبين بطـــلانها، ولا على زعم تحقق كذبه، بل الأقرب أن يلحق

هؤلاء بالزنادقة الذين لا تقبل لهم توبة في أحكام الدنيا عند بعض أهل العلم، وأيًا كـــان الحكم على أشخاص هؤلاء فإن المقطوع به هو بطلان هذا المنهج وعدم مشايعة أهله على باطلهم بقول أو عمل.

الشبهة الثانية:

وتتمثل هذه الشبهة في القول بأن هذا المنهج يجدد في الأمة مقولة الخوارج وينبـــثق مـــن مشكاتها، فهم الذي رفعوا عبر التاريخ شعار: [لا حكم إلا لله] وعـــرفوا بـــه مـــن دون الفرق جميعًا، وانطلقوا منه في استحلال دماء المخالفين وأموالهم !!

والجواب على هذه الشبهة أن قوله تعالى: ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ قد قَصَّهُ القـــرآن الكـــريم على لسان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقـــوب بـــن إســـحاق بن إبراهيم قبل أن تنقله لنا دواوين التاريخ على ألسنة الخوارج! أفيكون كل من دعا إلى إقامة الدين وتحكيم الشريعة وإفراد الله بالعبادة والتشـــريع المطلـــق خارجيًا من الخوارج ؟ ترى ماذا يكون إذن مبدل الشرع، ومُحِلُّ الحرام ومحرم الحلال والداعي إلى الفصل بين الدين والدولة ؟ أيكون علي بن أبي طالب ؟!.

لقد رفع الخوارج هذا الشعار ليكفّروا به أئمة الجور من المسلمين في وقت كـــان الأصـــل فـــيه هو التحاكم إلى الشريعة، وقيام الدولة على حراسة الدين وسياســـة الدنـــيا به، وإن غشيها من المظالم ما غشيها، بل رفعوه في وجه أمير المؤمنين علي وهو من الأئمة الراشدين! فكانوا مبطلين خارجين عن الحق!

يقـــول لهم: إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان بما أنزل عليكم، فلم قتلتم الأنبـــياء الذيـــن جاؤوكم بتصديق التوراة التي بين أيديكم وقد أمرتم باتباعهم وتصديقهم؟ وهذا خطاب لليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ومعلوم أن أحدًا من هؤلاء لم يرتكب شيئًا من ذلك، وإنما هو أمر جناه آباؤهم من قبل، فخوطبوا به لرضاهم به وإقرارهم له، ومثل ذلك كثير في القرآن.

- المسألة الثانية:

إن القـــول بأن هذه العلمانية المعاصرة تسعى إلى التغيير، وأن ذلك ينفي شبهة الرضا والمتابعة أمر يحتاج إلى تفصيل:

ذلك أنه لا منازعة في صحة المبدأ في ذاته، فمن جاء على ميراث سابق من الكفـــر، ولكـــن أعلن انخلاعه عنه، وكفره به وبراءته منه، ثم توجه نحو تغييره وإزالـــته، فـــلا شك أنه لا ينسحب عليه حكم من سبقه، ولا يُسأل عن جريمة جناها غيره، بل يسلك - إن صدق - في عداد المجاهدين.

أما إذا كان يروغ ويدور، فيزعم الإيمان ويدعي التوجه إلى التغيير، ويقدم بين يدي ذلك أعمالاً هزيلة مدخولة، ثم تتجه خطاه بعد ذلك نحو الباطل الذي توارثـــه تدعيمًا له وتثبيتًا لأركانه، ومدافعة عنه ومجادلة دونه، بل ويوالي ويعادي عـــلى ذلك؛ فمن رضي بشرعه ومنهاجه قربه ووالاه، ومن ظن به سوى ذلك أبعـــده وعاداه، بل يخنق كل صوت يدعو إلى الحق، وكل دعوة تعمل على إقامة الديـــن والتزام شرائعه، فلا يجوز حينئذ أن يعـــول على قـــول تبين زوره، ولا عـــلى دعـــوى تبين بطـــلانها، ولا على زعم تحقق كذبه، بل الأقرب أن يلحق

هؤلاء بالزنادقة الذين لا تقبل لهم توبة في أحكام الدنيا عند بعض أهل العلم، وأيًا كـــان الحكم على أشخاص هؤلاء فإن المقطوع به هو بطلان هذا المنهج وعدم مشايعة أهله على باطلهم بقول أو عمل.

الشبهة الثانية:

وتتمثل هذه الشبهة في القول بأن هذا المنهج يجدد في الأمة مقولة الخوارج وينبـــثق مـــن مشكاتها، فهم الذي رفعوا عبر التاريخ شعار: [لا حكم إلا لله] وعـــرفوا بـــه مـــن دون الفرق جميعًا، وانطلقوا منه في استحلال دماء المخالفين وأموالهم !!

والجواب على هذه الشبهة أن قوله تعالى: ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ قد قَصَّهُ القـــرآن الكـــريم على لسان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقـــوب بـــن إســـحاق بن إبراهيم قبل أن تنقله لنا دواوين التاريخ على ألسنة الخوارج! أفيكون كل من دعا إلى إقامة الدين وتحكيم الشريعة وإفراد الله بالعبادة والتشـــريع المطلـــق خارجيًا من الخوارج ؟ ترى ماذا يكون إذن مبدل الشرع، ومُحِلُّ الحرام ومحرم الحلال والداعي إلى الفصل بين الدين والدولة ؟ أيكون علي بن أبي طالب ؟!.

لقد رفع الخوارج هذا الشعار ليكفّروا به أئمة الجور من المسلمين في وقت كـــان الأصـــل فـــيه هو التحاكم إلى الشريعة، وقيام الدولة على حراسة الدين وسياســـة الدنـــيا به، وإن غشيها من المظالم ما غشيها، بل رفعوه في وجه أمير المؤمنين علي وهو من الأئمة الراشدين! فكانوا مبطلين خارجين عن الحق!

٤- ونقـــض لعقد الإيمان المجمل: فإن أصل الإيمان تصديق الخبر والانقياد للأمر، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر .

٥- واستحلال للحكم بغير ما أنزل الله: وللاستحلال صورتان:

- إحداهما: عدم اعتقاد الحرمة.

- والثانية: اعتقاد الحرمة والامتناع عن قبول هذا التحريم - وكلاهما كفر .

٦- ومنازعة في أصل دين الإسلام: بما تتضمنه العلمانية من رفض للاستسلام لله وحده، وإعلان للكفر بمرجعية وحيه في علاقة الدين بالدولة .

٧- وطاغوت تَعَبَّدَ اللهُ عبادَه باجتنابه والكفر به: لما تقرر من أن الطاغوت هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

- إن تعبير الحكم بغير ما أنزل الله إما أن يقصد به عمل القضاة والمنفذين -الدائر بـــين كفـــر التكذيـــب أو الرد من جهة وبين المعصية في اتباع الهوى من جهة أخـــرى-، وإما أن يقصد به عمل الأصوليين والمشرعين - الذي هو كفر أكبر باتفاق.

- إن الـــوارث للشرائع الوضعية إما أن يصرح بالتزامه بها ورفضه لتغييرها فلا شك في خروجه من الدين، أو برفضها والسعي إلي تغييرها دعوة وعملاً - فهذا قد بَرِئ، وإما أن يراوغ في مواقفه فهذا هو النفاق الذي يجب أن ترصد مواقف أصحابه بدقة حتى يعلنوا انحيازهم إلى أحد المعسكرين .

- فـــتاوى أئمة المسلمين في علمانية التشريع قاطعة الدلالة علي أن العلمانية لا تجتمع مع أصل الإيمان .

- شـــبهات القائلين بتوارث هذه العلمانية وعدم ابتدائها أو القائلين بأن الدعوة إلى حكم الله هي دعوى الخوارج .. شبهات مردودة .

الاختبار البعدي للوحدة السادسة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيـــزي الدارس: ضع علامة (√) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- توحيد الطاعة والانقياد يتحقق بالتصديق الجازم المطلق بكل ما جاء به النبي ﷺ من خبر عن ربه.

٢- اتخـــاذ الله تعالى وحده حكماً في كل شيء هو بعينه العبادة التي أمر الله ألا يصرف شيء منها لغيره تعالى، وهذا هو الدين القيم الذي لا يرضى الله تعالى سواه.

٣- لا يشـــترط في تحكـــيم شـــرع الله تعالى الكفر بما دونه من الأهواء البشرية والمذاهب الوضعية.

٤- من أشق ما تعانيه الدعوة إلى توحيد الطاعة والانقياد هو الغبش واللبس الذي أحاط بمدلولها في عالم الواقع.

٥- العلمانية هي الفصل بين الدين والحياة.

٦- العلمانية تعلي من شأن العلم وتحارب الخرافة.

٧- العلمانية هي الطريق إلى تقدم الأمة بتخليصها من أغلال الخرافة.

٤- ونقـــض لعقد الإيمان المجمل: فإن أصل الإيمان تصديق الخبر والانقياد للأمر، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر .

٥- واستحلال للحكم بغير ما أنزل الله: وللاستحلال صورتان:

- إحداهما: عدم اعتقاد الحرمة.

- والثانية: اعتقاد الحرمة والامتناع عن قبول هذا التحريم - وكلاهما كفر .

٦- ومنازعة في أصل دين الإسلام: بما تتضمنه العلمانية من رفض للاستسلام لله وحده، وإعلان للكفر بمرجعية وحيه في علاقة الدين بالدولة .

٧- وطاغوت تَعَبَّدَ اللهُ عبادَه باجتنابه والكفر به: لما تقرر من أن الطاغوت هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

- إن تعبير الحكم بغير ما أنزل الله إما أن يقصد به عمل القضاة والمنفذين -الدائر بـــين كفـــر التكذيـــب أو الرد من جهة وبين المعصية في اتباع الهوى من جهة أخـــرى-، وإما أن يقصد به عمل الأصوليين والمشرعين - الذي هو كفر أكبر باتفاق.

- إن الـــوارث للشرائع الوضعية إما أن يصرح بالتزامه بها ورفضه لتغييرها فلا شك في خروجه من الدين، أو برفضها والسعي إلي تغييرها دعوة وعملاً - فهذا قد بَرِئ، وإما أن يراوغ في مواقفه فهذا هو النفاق الذي يجب أن ترصد مواقف أصحابه بدقة حتى يعلنوا انحيازهم إلى أحد المعسكرين .

- فـــتاوى أئمة المسلمين في علمانية التشريع قاطعة الدلالة علي أن العلمانية لا تجتمع مع أصل الإيمان .

- شـــبهات القائلين بتوارث هذه العلمانية وعدم ابتدائها أو القائلين بأن الدعوة إلى حكم الله هي دعوى الخوارج .. شبهات مردودة .

الاختبار البعدي للوحدة السادسة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيـــزي الدارس: ضع علامة (√) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- توحيد الطاعة والانقياد يتحقق بالتصديق الجازم المطلق بكل ما جاء به النبي ﷺ من خبر عن ربه.

٢- اتخـــاذ الله تعالى وحده حكماً في كل شيء هو بعينه العبادة التي أمر الله ألا يصرف شيء منها لغيره تعالى، وهذا هو الدين القيم الذي لا يرضى الله تعالى سواه.

٣- لا يشـــترط في تحكـــيم شـــرع الله تعالى الكفر بما دونه من الأهواء البشرية والمذاهب الوضعية.

٤- من أشق ما تعانيه الدعوة إلى توحيد الطاعة والانقياد هو الغبش واللبس الذي أحاط بمدلولها في عالم الواقع.

٥- العلمانية هي الفصل بين الدين والحياة.

٦- العلمانية تعلي من شأن العلم وتحارب الخرافة.

٧- العلمانية هي الطريق إلى تقدم الأمة بتخليصها من أغلال الخرافة.

٢٩- الديموقراطية تعني حق الأمة في اختيار حكامها وهو عين ما جاءت به الشريعة.

٣٠- الديموقراطية فيها ما يحل وفيها ما يحرم فيتعين التفصيل عند تقرير الأحكام.

٣١- من شعارات الديموقراطية المحمودة التي تحقق العدل بين الناس: "حكم الشعب بالشعب" و"الأمة مصدر السلطات".

٣٢- تطبيق الشريعة يقود إلى دولة دينية تحكم بمقتضى الحق الإلهي للخلفاء والأئمة.

٣٣- يثبت عقد الإيمان بالتصديق الخبري لكل ما جاء به رسول الله ﷺ جملة وعلى الغيب.

٣٤- إدخال العمل في أصل مسمى الإيمان عقيدة الخوارج والمرجئة.

٣٥- إخراج العمل من مسمى الإيمان هو عقيدة المرجئة.

٣٦- من لم يسلم للنبي ﷺ قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان.

٣٧- لا ينتقض عقد الإيمان بادعاء أن تطبيق الحدود همجية لعدم إخلال هذه المقولة بأصل التصديق.

٣٨- العلمانية والإيمان نقيضان لا يجتمعان.

٣٩- العلمانية تتفق مع الإيمان من وجه وهو التصديق بخبر الرسول جملة وعلى الغيب.

٤٠- التحليل والتحريم بغير سلطان من الله ناقض للإيمان الواجب الذي يتفاوت فيه الناس.

٤١- حقيقة تصديق النبي ﷺ هي أن يقع في القلب نسبة التصديق إليه ولا يشترط في ذلك الإذعان والقبول.

٤٢- العلمانية طاغوت تعبَّد الله عباده باجتنابه.

٤٣- استحلال الحرام المجمع عليه ردة عن الإسلام.

٤٤- لا يتحقق الاستحلال إلا باعتقاد إباحة المحرمات.

٤٥- يتحقق الاستحلال بعدم اعتقاد الحرمة أو باعتقادها مع رفض هذا التحريم وتنقصه.

٤٦- العلمانية لا تصير استحلالاً للحكم بغير ما أنزل الله إلا في حالة اعتقاد حل المحرمات القطعية.

٤٧- عدم اعتقاد حرمة المحرمات القطعية أشد كفراً من اعتقاد حرمتها مع الامتناع عن التزام التحريم معاندة للمحرم.

٤٨- عدم الالتزام بالحكم بشرائع الإسلام استباحة لما حرم الله ورسوله ﷺ.

٤٩- يشترط في الاستحلال أن يكون دينياً بمعنى اعتقاد حل المحرمات ديناً.

٥٠- تكفير المستحل للحكم بغير ما أنزل الله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام.

٥١- مزاعم العلمانية حول قصور الشريعة وهمجية أحكامها وتخلف شرائعها دلالة على الجهل أو التعصب ولا مساس لها بأصل الدين.

٥٢- العلمانية لا ترفض الدخول ابتداءً تحت دائرة التكليف لأنها تعلن اعترافها بصفة الإسلام.

٥٣- العلمانـــية نقضت أصل دين الإسلام رغم إقرارها بقصد الله تعالى وحده في الشعائر التعبدية.

٥٤- ديـــن الإسلام هو جملة ما جاء به النبي ﷺ من عند ربه من عقائد وعبادات ومعاملات.

٥٥- العلمانية تلتقي في الجملة مع المذاهب التي ثارت فيها خلافات عقدية مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

٥٦- العلمانـــيون يجادلون في حجية الوحي الأعلى المعصوم، ويكفرون بصلاحية الشريعة للتطبيق.

٥٧- الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

٥٨- الكفر بالطاغوت قسيم الإيمان بالله.

٥٩- الطـــاغوت تتعدد صوره وأشكاله، وبالتالي يختلف حكم الكفر به من صورة لأخرى.

٦٠- العلمانـــية طاغوت يجب الكفر بها من ناحية كونها حكماً بغير ما أنزل الله، وشركاً في عبادته.

٦١- الحكم التكليفي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلّفين بالتخيير أو الوضع.

٦٢- الحكـــم بغـــير مـــا أنزل الله كفر دون كفر وكل قول سوى ذلك فهو من مواريث الخوارج.

٦٣- الحكـــم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً أكبر وقد يكون كفراً أصغر بحسب الأحوال.

٦٤- ما نسب إلى ابن عباس وغيره من أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر دون كفر ينصـــرف إلى من يلتزمون بأصل الدين في الجملة ويكون انحرافهم عارضاً في أمور جزئية.

٦٥- يعـــذر المبدلون لشرائع الله في هذا الزمان لأنهم جاءوا على ميراث سابق من التبديل و لم يستأنفوه من تلقاء أنفسهم.

٦٦- التحاكم إلى القضاء الوضعي كفر في جميع الأحوال.

٦٧- اســـتباحة المطلقـــة المسلمة نصف أموال مطلقها من صور الكفر الشائعة في الأوساط الغربية.

٦٨- استحلال المحرمات المعلومة منه ما هو كفر أكبر ومنه ما هو كفر دون كفر.

ثانياً: أسئلة المقال:

س١: اذكر الحكم في كل مما يأتي:

أ – رجل يدعي أن تحكيم الشريعة ليس بواجب في عصر التكنولوجيا والصعود إلى الفضاء.

ب- رجل يقر بأن الشريعة من عند الله، لكنه يقول بعدم صلاحيتها للحكم لتغير الزمان.

ج – تنحية شريعة الله وتحكيم القوانين الوضعية.

د – رجـــل يحكم بكل شرائع الله إلا حكمًا واحدًا يحكم فيه برأيه ويلزم الناس بذلك.

هـــــ- رجـــل يلـــتزم الحكم بكل ما أنزل الله، ولكنه يتهاون في تطبيق بعض الأحكام في بعض الأحيان اتباعًا للهوى.

س٢: وضح في جدول: الفرق بين الانحراف العارض عن الحكم بما أنزل الله وبين العلمانية.

س٣: اذكر – بدون شرح – الأوجه التي تعتبر العلمانية من خلالها ناقضة لأصل الدين.

س٤: **أكمل:**

اتفـــق الأصـــوليون أجمعـــون عـــلى أن الحـــاكم لجميع أفعال المكلفين إنما هو ..... فهو وحده مصدر جميع ..... ، ولذلك اشتهر من أصولهم : .....

س٥: في أي شيء كانت ربوبية الأحبار والرهبان في بني إسرائيل؟ وضح إجابتك بالدليل.

س٦: وضح كيف تكون العلمانية شركًا في الألوهية، مستشهدًا بالقرآن والسنة.

س٧: علام تستدل بقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** ﴾ ؟

س٨: **أكمل :**

حقـــيقة الإيمـــان بنـــبوة محمـــد ﷺ تتمثل في ..... خبره ..... و.....، و..... هديـــه ..... و ..... ، فما آمن

بمحمد ﷺ من ..... بخبره أو ..... شرعه، لأن حقيقة الإيمان هي ..... و.....، ومن لم يحصل في قلبه هذان الأمران فهو .....

س٩: كيف تعتبر العلمانية نقضًا للإيمان المجمل؟ مع التدليل.

س١٠: اذكر صور الاستحلال وحكمها.

س١١: وضح منازعة العلمانية في أصل دين الإسلام.

س١٢: ما معنى الطاغوت؟ وكيف يتحقق هذا المعنى في العلمانية؟

س١٣: كيف يتعامل المسلم مع الطاغوت؟ اذكر من القرآن ما يدل على ما تقول.

س١٤: هل مجرد التحاكم إلى الشرائع الوضعية والتزامها يعد خلعًا لربقة الإسلام وتحللاً من الالتزام بشرائع الله؟

س١٥: بين أصناف الناس أمام الحكام الذين لم تتضح حقيقة موقفهم من الشريعة، ووضح المحاور التي تدور عليها المعركة في هذه الحال.

س١٦: اذكر شبهات المضللين حول مسألة الحاكمية والعلمانية، وبين الرد عليها.

النشاط التعليمي للوحدة السادسة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

اكتب بحثاً عن العلمانية من حيث كونها ناقضة لأصل الدين، وأوجه ذلك، من خلال البحث في أوعية المعرفة المختلفة (المرئية – المقروءة – المسموعة).

الوحدة السابعة
توحيد الأسماء
والصفات

الوحدة السابعة
توحيد الأسماء والصفات

أهمية دراسة الوحدة:

يجب الإيمان بصفات الله تعالى كما وجب الإيمان بذاته، وإثبات صفاته العلى التي وصف بها نفسه تعالى، من صفات الكمال ونعوت الجلال، من صفات الذات، وصفات الأفعال، بما تضمنته أسماؤه بالاشتقاق كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والعزة والعلو وغيرها من الصفات، ومما أخبر به عن نفسه، وأخبر بها عنه رسوله ﷺ ولم يشتق منه اسماً كحبه المؤمنين والمتقين والمحسنين ورضائه عن عباده المؤمنين ورضاه لهم الإسلام ديناً، وكراهة انبعاث المنافقين وسخطه على الكافرين وغضبه عليهم وإثبات وجهه ذي الجلال والإكرام، فهو مالك السموات والأرض ومليكهما، وهو على كل شيء قدير.

وقد أمر الله عز وجل عباده أن يتقربوا إليه بصفاته وأن يسألوه بأسمائه الحسنى، فقال تعالى ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، وقال جل في علاه ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وفي معية صفات الله تعالى سوف تعيش – عزيزي الدارس – من خلال دراستك لهذه الوحدة، فاحرص على الاستفادة التامة منها.

❁ الأهداف التعليمية للوحدة السابعة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- تبين معنى توحيد الأسماء والصفات، وموقف الناس من تناول قضية الأسماء والصفات في الواقع المعاصر.

٢- تذكر الثوابت والمحكمات في توحيد الأسماء والصفات.

٣- تكتب بالتفصيل عن الممثلة والمعطلة باعتبارهما من الزائغين عن الحق في باب الأسماء والصفات.

٤- تفرق بين أسماء الله تعالى وبين صفاته.

٥- تناقش مع زملائك في الجامعة المفتوحة موضوع توحيد الأسماء والصفات.

الوحدة السابعة: توحيد الأسماء والصفات

أولاً: توحيد الأسماء والصفات وعلاقته بالتوحيد والإيمان.

ثانياً: ثوابت ومحكمات في توحيد الأسماء والصفات.

- الله لا إله لا هو له الأسماء الحسنى.
- أسماؤه تعالى توقيفية وغير محصورة بعدد معين. — ما المراد بإحصاء أسماء الله؟. — أسماء الله تعالى أعلام، وأوصاف. - الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عما يجب فيها. - صفاته تعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه. - باب الصفات أوسع من باب الأسماء. - إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل. - لا يستلزم الاشتراك في الأسماء والصفات تماثل المسميات والموصوفات.

ثالثاً: الزائغون عن الحق في باب الأسماء والصفات فريقان.

الممثلة والمعطلة:

- **الممثلة:** غلوا في جانب الإثبات وقصروا في جانب النفي، فأثبتوا صفات الله على نحو يماثل صفات المخلوقين، ومذهبهم باطل ومنكر يرده العقل والنقل.
- **المعطلة:** غلوا في جانب النفي وقصروا في جانب الإثبات، فأنكروا أسماء الله وصفاته إنكاراً كليًّا أو جزئيًّا، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب والسنة، وهم طوائف منهم الأشاعرة، والمعتزلة، والجهمية، والفلاسفة، وغيرهم، وأقربهم للحق الأشاعرة.

رابعاً: الفرق بين أسماء الله وصفاته.

أولاً توحيد الأسماء والصفات

تمهيـــد:

توحيد الأسماء والصفات أحد أركان الإيمان بالله عز وجل، وأحد أقسام توحيده الثلاثة، وقد كثر فيه الجدل ما بين غلاة وجفاة، ولا يتسنى لأحد أن يعبد الله عـــلى بصيرة حتى يعرفه، فإن من عرف الله أحبه، ومن أحبه اجتمع قلبه على عـــبادته وحده، ولا تتسنى معرفة الله – عز وجل – معرفة صحيحة إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والوقوف من ذلك على الجمل الثابتة التي تصون اعتقاده فتنأى به عـــن الشعاب التي تاهت فيها خطى المتكلمين والمتنطعين من قبل، كما تنأى به عـــن التـــناول الجدلي والجاف الذي ألجأت إليه المواجهة مع الفرق المنحرفة عبر الـــتاريخ، والـــذي أفقـــد الدارسين لهذا العلم متعة التحقق بمعاني هذه الأسماء والصفات والتوسل بها إلى الله عز وجل.

إن الله جـــل وعلا يقول في كتابه: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِيـــنَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهذا الدعاء يتضمن دعاء المسألة ودعاء العبادة:

ـــ أما دعاء المسألة فهو أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله ما يناسب المقام، فعندما تختلط عليك الأمور وتمس حاجتك إلى بصيص من نور تلوذ باسمه الهادي فتقول: يا هادي اهدني! وعندما يتعاظمك ذنبك تلوذ باسمه الغفور فتقول:

يا غفور اغفر لي، وعندما تحتوشك الكروب وتحاصرك الشدائد تلوذ باسمه المغيث فتقول: يا مغيث أغثني، وهكذا.

ـــ وأمـــا دعاء العبادة فهو التعبد إلى الله بمقتضى هذه الأسماء، فتتوب إليه لأنه التواب، وتسأله لأنه هو الكريم، وتخافه بالغيب لأنه هو السميع البصير الذي لا تخفـــى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ولا تقنط من رحمته لأنه الغفور الرحيم، وهكذا.

هـــذا وإن توحيد الأسماء والصفات من القضايا الشائكة التي تفرقت حولها الفرق في ماضي هذه الأمة وحاضرها، وقد هلك فيها فريقان من الناس:

- المشبهة الذين غلوا في إثبات صفات الله عز وجل، حتى هووا إلى دركة التشبيه والتمثيل!

- والمعطلـــة الذيـــن غلـــوا في باب النفي والتنـــزيه، فهووا إلى دركة التحريف والتعطيل!

وهـــدى الله أهل السنة والجماعة إلى العقيدة الوسط، فأثبتوا لله ما أثبته الله عز وجل لنفسه وما أثبته له رسله، ونفوا عن الله عز وجل ما نفاه الله عن نفسه وما نفته عنه رسله، بلا تمثيل ولا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

والناس في تناولهم لهذه القضية في واقعنا المعاصر طرفان وواسطة:

- فمـــنهم من غلا فيها غلوًّا منكرًا، فأحيا الخلافات المندثرة حولها، وفتن العامـــة بها، وألزمهم بتفصيلات ومصطلحات لا تبلغها عقولهم، ولا ترقى إليها

مداركهـــم، وأثار حولها من الجدل والخصومات ما لا يعلم مداه إلا الله، وجعل ذلك كله من معاقد الولاء والبراء !

- ومنهم من فرط فيها تفريطًا منكرًا، فهمَّش قيمتها، ونهى عن الاشتغال بها واعتبرها من قضايا الفتنة التي ينهى عن مجرد الدخول فيها، وتستمطر اللعنات على من أيقظها !

- وبين هؤلاء وهؤلاء وقف أهل القصد والاعتدال، الذين لم يتعمقوا فيها تعمق الأولين، و لم يجفوا عنها جفاء الآخرين، بل ألزموا العامة فيها بالجمل الثابتة التي لا لبس فيها ولا غموض، وأحالوا إلى أهل العلم ما وراء ذلك من الجزئيات والتفاصيل التي لا تبلغها عقول العامة و لم تتهيأ لها، واعتبروا بواقع الفتنة والغربة الـــذي يغشى الأمة في هذه الأيام، فلم يثربوا على المخالف التثريب الذي يحمله عـــلى الانحياز إلى معسكر الخصوم ! و لم يسكتوا عنه السكوت الذي تغيم معه الرؤية وتشتبه به الأمور، بل المداراة والتألف مع الإلحاح في البلاغ والبيان.

ونـــود في هذه الدراسة أن نشير إلى بعض القواعد الكلية في باب توحيد الأسماء والصفات التي لا يسع المبتدئ جهلها، محيلين فيما وراء ذلك إلى المراجع والمطـــولات.

ثانياً ثوابت ومحكمات في توحيد الأسماء والصفات

١- الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى:

فكل أسمائه تعالى قد أوفت على الغاية في الحسن، وذلك لتضمنها صفات كاملة لايرد عليها النقص بوجه من الوجوه لا احتمالاً ولا تقديرًا.

ـــ فالحي من أسمائه تعالى يتضمن الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم والتي لا يـــلحقها زوال، والتي تستلزم كمال الصفات من السمع والبصر والعلم والقدرة وغيرها.

ـــ والعلـــيم مـــن أسمائه تعالى يتضمن العلم المحيط الكامل الذي لم يسبق بجهـــل، ولا يلحقه نسيان، قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْـــبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى ﴾ [طه: ١٨٧].

٢- أسماؤه تعالى توقيفية وغير محصورة بعدد معين:

أمـــا أن أسمـــاءه تعـــالى توقيفية فلأن العقل لا يستقل بإدراكها، فيجب الوقـــوف في ذلك على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد على ذلك ولا ينقص، وإلا كان قولاً على الله بغير علم وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وأما أن أسماءه تعالى غير محصورة بعدد معين فلقوله - ﷺ - في الحديث: « **أســألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحــدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك** »[1] وما استأثر به في علم الغيب عنده لا سبيل لاطلاع أحد من البشر عليه.

وأما قوله ﷺ : « **إن لله تسعة وتسعين اسمًا مــن أحصاها دخل الجنة**»[2] فلا يدل على حصر الأسماء في هذا العدد، وإنما هو بمثابة قولك: عندي مائة درهم للصدقة؛ فإن هذا القول لا يمنع من وجود دراهم أخرى لديك لم تعدها للصدقة، ويصبح معني الحديث: إن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك.

ولم يصح عن النبي ﷺ في تعيين هذه الأسماء شيء، والحديث الذي روي في ذلك حديث ضعيف، ولأهل العلم اجتهادات مختلفة في تعيينها بناء على النظر في نصوص الكتاب والسنة.

ما المراد بإحصاء أسماء الله ؟

اختلف أهل العلم في المراد بقوله ﷺ: « **من أحصاها** ».

فقــال قــوم: إن المقصود بذلك دعاء الله بها كلها والثناء عليه بها جميعًا، وذلك يستلزم حفظها بطبيعة الحال، وقد اختار هذا البخاري رحمه الله، فقد فسر الإحصاء بالحفظ، واستدل له برواية: « **من حفظها** ».

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣٩١/١، ٤٥٦ عن عبد الله بن مسعود ﷺ بإسناد حسن.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشروط: باب ما يجوز من الاشتراط... ١٢٤/٢ عن أبي هريرة ﷺ .

وقـــال آخرون: إن المراد بذلك الاعتبار بمعانيها والعمل بموجبها، فما كان يســـوغ الاقتداء به كالكريم والرحيم فإنه يمرن نفسه على التحلي به، وما اختص الله به نفسه كالمتكبر والجبار فعليه أن يفرد الله به وألا ينازعه شيئًا منه، وما كان فيه معنى الوعد وقف فيه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد وقف فيه عـــند الخشية والرهبة، ولا تنافي بين هذين القولين بل يصح تفسير الإحصاء بهما جميعًا. ويكون المراد به العلم والعمل، والله أعلم.

٣- أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف:

فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعـــاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة، لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجـــل، وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص. فعندما تقـــرأ قول الله عز وجل: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِـــنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الـــبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٣- ٢٤]؛ فستجد أن كل هذه أسماء لمسمى واحد وهو الله عـــز وجـــل، ولكن معاني هذه الأسماء مختلفة بطبيعة الحال، فمعنى الملك غير معنى القدوس وهكذا.

٤- الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عما يجب فيها:

وهذا الإلحاد أنواع، منها:

أ- التعطيل: وهو أن ينكر شيئًا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام.

ب- التشبيه: وهو تمثيلها بصفات المخلوقين.

ج- تسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له (الأب)، وتسمية الفلاسفة له (العلة الفاعلة)؛ لأن أسماء الله كما سبق القول توقيفية، فتسميته تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها فضلاً عن بطلان هذه الأسماء في نفسها.

د- اشتقاق أسماء للأنداد من أسمائه تعالى، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله - على أحد القولين-.

٥- صفاته تعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه:

فكل ما وصف الله به نفسه فهو كمال مطلق لا يرد عليه النقص بحال من الأحوال، كالعلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر ونحوه، قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠]، والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى.

وعلى هذا فإذا كانت الصفة نقصًا محضًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه تعالى، كالموت والجهل والعجز والنسيان والعمى والصمم والبكم ونحوه، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢]، وقال ﷺ في وصف الدجال: « إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور »[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد: باب كيف يعرض الإسلام على الصبي ١٧٩/٢ ومسلم في كتاب الفتن: باب ذكر ابن الصياد ٢٢٤٤/٤ - ٢٢٤٥ ح ٩٥ كلاهما في حديث طويل عن ابن عمر - رضي الله عنه - .

وإذا كانـــت الصفة كمالاً في حال ونقصًا في حال فإنما تجوز على الله في الحال التي تكون فيها كمالاً وتمتنع في الحال التي تكون فيها نقصًا، وذلك كالمكر والخداع ونحوه، فإن هذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة الفاعل بمثلها لأنها تدل حينئذ على القدرة، وتكون نقصًا في غير هذه الحال؛ ولهذا لم يذكرها الله تعالى في صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقـــوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفـــال: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾ [الطارق: ١٥- ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٤- ١٥]، ولهـــذا لم يذكر الله تعالى أنه خان من خانوه، لأن الخيانة خدعة في مقام الائـــتمان، وهي صفة ذم مطلقًا، قال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّـــهَ مِـــن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧١]، فقال ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ولم يقل فخانهم.

٦- باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

وذلك لأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى وأفعاله لا منتهى لها، قال تعـــالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ [لقمـــان: ٢٧]، فمن صفاته تعالى الأخذ والإمساك والبطش كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْـــذَهُ أَلِـــيمٌ شَـــدِيدٌ ﴾ [هـــود: ١٠٢]، وكما قـــال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾ [فاطـــر: ٤١]، وكمـــا قـــال تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ

﴿ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: ١٢]، ولا يصح أن نشتق له منها أسماء فنقول: إن من أسمائه الآخذ والممسك والباطش !!

٦- الجمع بين النفي والإثبات هو حقيقة التوحيد في باب الأسماء والصفات؛

لأن الاقتصار على النفي المحض تعطيل محض، والاقتصار على الإثبات المحض لا يمنع المشاركة، فلو قلت: " ليس محمد بعالم " فقد نفيت عنه صفة العلم وعطلته منها وإن قلت: " محمد عالم " فإنك وإن أثبت له صفة العلم إلا أن هذا لا يمنع مشاركة غيره له في ذلك، بخلاف ما لو قلت: " لا عالم إلا محمد " فقد أثبت له صفة العلم ونفيتها عن غيره، فتكون موحدًا له في هذه الصفة.

٨- **صفات الله تعالى قسمان:** ثبوتية والغالب فيها التفصيل، ومنفية والغالب فيها الإجمال.

ويراد بالصفات الثبوتية كل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كالحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والاستواء على العرش ونحوه، وإنما كان الغالب فيها التفصيل لأن ذلك يظهر من كمال الموصوف بها ما لم يكن معلومًا من قبل.

وأما الصفات المنفية فهي كل ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ كالموت والجهل والظلم والعجز وغير ذلك من صفات النقص التي لا تليق بذاته تعالى، وإنما كان الغالب فيها هو الإجمال لأن ذلك أبلغ في تعظيم الموصوف

وأكمل في التنـــزيه، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر من الصفات المنفية التي نفاها الله عن نفسه.

٩- إثبات بلا تمثيل، وتنـــزيه بلا تعطيل:

إن جماع القول في باب الأسماء والصفات أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وما وصفته به رسله، إثباتًا بلا تمثيل ولا تكييف، وتنـــزيهًا بلا تعطيل، وقد جمع الله ذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١١].

والتمثـــيل هو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقـــين، والتشـــبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصـــفات، والتشـــبيه التسوية في أكثرها، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن، قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى:١١].

وأما التكييف فهو أن يعتقد المثبت أن صفات الله على نحو كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل، وكل من التكييف والتمثيل باطل بلا نزاع.

ولهذه القاعدة دليلان: نقلي وعقلي:

- **أما الدليل النقلي**: فمثل قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١] ففي قوله: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ رد للتكييف والتمثيل. وفي قولـــه: ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ رد للإلحاد والتعطيل.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

– **وأمـــا الدليل العقلي**: فلأن القول في أسماء الله وصفاته من باب الخبر المحـــض الذي لا يمكن للعقل إدراك تفاصيله، فوجب الوقوف فيه على ما جاء به الشـــرع، ولهذا لما سئل مالك رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْـــتَوَى ﴾ كيف استوى؟ أطرق رحمه الله حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

١٠– لا يستلزم الاشتراك في الأسماء والصفات تماثل المسميات والموصوفات:

ولهذه القاعدة أدلة نقلية وعقلية:

– **فمن النقل** نجد أن الله تعالى قد أثبت لنفسه السمع والبصر، في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [النساء: ٥٨] وأثبت للإنسان السمع والبصر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [الإنسان: ٢]، ونفى أن يكون سمعه وبصره كسمع الإنسان وبصره، فقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وفي باب العلم نجد أن الله قد أثبت لنفسه العلم، في مثل قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وأثبت لعباده العلم في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وليس علم الإنسان كعلم الله عز وجل، فقد قال تعالى عـــن نفسه: ﴿ وَسِعَ كُلَّ

شَيْءٍ عِلْماً ﴾ [طه: ٩٨] وقال عن بني آدم: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الاسراء: ٨٥]. ومن العقل ما هو معلوم البداهة من أن المعاني والأوصاف إنما تتقيد وتتميز بحسب ما تضاف إليه، فللذباب جسم وقوة، وللفيل جسم وقوة، وشتان ما بين الجسمين والقوتين ! فإذا كان الاشتراك في الاسم والصفة في عالم المخلوقات لا يستلزم التماثل في الحقيقة، فانتفاء التلازم في ذلك بين الخالق والمخلوق أولى وأجلى.

١١- الأصل هو إجراء نصوص الصفات على ظاهرها بغير تحريف:

وظاهر النصوص: هو ما يتبادر منها من المعاني بحسب ما تضاف إليه وما يحيط بها من القرائن. فليس الظاهر هو ما يتوهمه المؤولة من التمثيل والمعاني الفاسدة، فإن هذا - وإن كان غير مراد - لكنه ليس ظاهر نصوص الكتاب والسنة.

فقد اتفق السلف والأئمة على أن نصوص الصفات تجري على ظاهرها اللائق بالله عز وجل من غير تحريف، وأن هذا الظاهر لا يقتضي تمثيل الخالق بالمخلوق.

وبيان ذلك أن من صفات البشر ما هو معانٍ وأعراض قائمة بهم كالعلم والقدرة والإرادة، ومنها ما هو أعيان وأجسام كالوجه واليدين، ومن المعلوم أن الله قد وصف نفسه بالعلم والقدرة والإرادة، ولم يقل أحد: إن علمه وقدرته وإرادته كعلم البشر وقدرتهم وإرادتهم، كما وصف نفسه بأن له وجهًا ويدَيْن،

ولم يقل أحدٌ من السلف أو الأئمة كذلك: إن وجهه تعالى ويديه كوجوه البشر وأيديهم، بل كما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه الصفات.

ومن قال من المؤولة: إن ظاهر نصوص الصفات غير مراد فقد أخطأ في تحديد المراد بهذا الظاهر ! لأنه يكون قد فسر اللفظ بمعنى فاسد لا يدل عليه، أو أخطأ في رد معنى ظاهر صحيح توهم أنه فاسد بناء على فهم مغلوط لديه.

- فمن زعم أن ظاهر قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [القمر: ١٤] أنها تجري في عين الله، فقد أبعد النجعة لأن هذا ليس بظاهر، ولا هو المتبادر من اللفظ فيما يفهمه عقلاء الناس بل وسفهاؤهم عند سماع هذه الآية ! بل يفهم الناس جميعًا أن السفينة تجري وأن الله يكلؤها بعينه.

- ومن زعم أن ظاهر قوله تعالى في الحديث القدسي: « **ابن آدم مرضت ولم تزرني..** » إلخ أن الله عز وجل يمرض ويجوع ويعطش، قيل له: ليس هذا هو المعنى المتبادر الظاهر من جملة الحديث؛ لأن بقية الحديث ترد هذا الظاهر المزعوم، وتبين أن الذي مرض وجاع وعطش إنما هو العبد وليس الله رب العالمين ! وذلك في قوله تعالى في الحديث نفسه، مبينًا لمعنى هذه العبارة: « **أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده...** »[1] إلخ.

(١) الحديث القدسي أخرجه أحمد في المسند: ٢/٤٠٤ عن أبي هريرة ﷺ بإسناد حسن.

وقد يرد المؤولة معنى صحيحًا يتوهمون فساده، كما ردوا حقيقة الاستواء بدعوى أنه يستلزم أن يكون الله محدودًا وهو محال، وقد أُتُوا من جهة توهم هذا اللازم الفاسد ؛ لأن استواء الله على عرشه لا يقتضي أن يكون الله محدودًا - وإن كان العرش محدودًا- لأنه علو يليق بجلال الله وعظمته ولا يماثل علو المخلوق على المخلوق.

ثالثاً الزائغون عن الحق في باب الأسماء والصفات

الممثلة والمعطلة:

فالممثلة غلَوْا في جانب الإثبات وقصَّروا في جانب النفي، فأثبتوا صفات الله على نحو يماثل صفات المخلوقين، فأثبتوا لله وجهًا ويدًا وعينًا كوجه الإنسان ويده وعينه.

وشبهتهم في ذلك قياس الغائب على الشاهد، يقولون: إن القرآن خاطبنا بما نفهم ونعقل ونحن لا نفهم ولا نعقل إلا ما كان شاهدًا، فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على الشاهد.

ومذهبهم باطل ومنكر يرده النقل والعقل.

- **فمن النقل** أن الله عز وجل قد نفى أن يكون له مماثل، في مثل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى:

﴿ وَلَـــمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] ونهى أن تضرب له الأمثال، في مثل قوله تعالى: ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ [النحل: ٧٤].

– **ومن العقل** أن التباين بين الخالق والمخلوق في الذات يستلزم التباين في الصـــفات، فالمعـــاني والصفات تتميز وتتقيد بحسب ما تضاف إليه، وأن القول بالمماثلة يقتضي النقص وهو محال وضلال.

وأما قياسهم الغائب على الشاهد فهو باطل من وجهين:

أ- أن مـــا أخبر الله به عن نفسه أخبر به مضافًا إلى ذاته المقدسة، فيكون على وجه يليق بذاته المقدسة لا مماثلاً لمخلوقاته.

ب- أن المماثلة تستلزم نقص الخالق، واعتقاد ذلك كفر وضلال.

والمعطلة غلَوْا في جانب النفي وقصَّروا في جانب الإثبات، فأنكروا أسماء الله وصـــفاته إنكارًا كليًّا أو جزئيًّا، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب والسنة، وهـــم طوائـــف منهم: الأشاعرة والمعتزلة والجهمية والقرامطة والفلاسفة، على تفاوت ما بينهم في التعطيل والتحريف.

وأظهـــر هذه الطوائف في واقعنا المعاصر هم الأشاعرة، وإن كانوا أقرب هـــذه الطوائـــف إلى الحق، وطريقتهم في ذلك أنهم أثبتوا بعض الصفات ونفوا بعضـــها الآخـــر وردوا لذلك من النصوص ما أمكنهم رده، وأولوا ما أعجزهم رده، فأثبتوا صفات الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، على

خلاف بينهم وبين السلف في كيفية إثباتها لأن العقل قد دل عليها، ونفوا كثيرًا من الصفات بدعوى أن إثباتها يستلزم التشبيه.

ومما يرد عليهم فيما ذهبوا إليه ما يلي:

- أن منهج السلف الصالح في هذا الباب هو الرجوع إلى الكتاب والسنة وليس إلى العقل، قال أحمد رحمه الله: نَصِفُ الله بما وصف به نفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث.

- أن الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف للعقل ؛ لأنه من الأمور الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال، فإن العقل لا يمكنه أن يدرك بالتفصيل ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله عز وجل، وإنما مرد ذلك إلى النقل.

- أن تحكيم العقل في ذلك يستلزم الاختلاف والتناقض، فإن العقول متفاوتة، وما يثبته هذا قد ينفيه ذاك، ولا يخفى أن تناقض الأقوال دليل على فسادها، ورحم الله مالك بن أنس حيث قال: (أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به محمد ﷺ لجدل هؤلاء ؟!).

- أنه يلزمهم في المعنى الذي صرفوا إليه نصوص الصفات ما يلزمهم في المعنى الذي نفوه مع وقوعهم في التحريف، فإن نفوا حقيقة اليد حتى لا يقعوا في التشبيه وتأولوها بالقوة، فإنه يلزمهم في إثبات القوة نظير ما يلزمهم في إثبات اليد الحقيقية؛ لأن للمخلوق قوة كذلك فإثبات القوة لله يستلزم التشبيه بناء على هذه القاعدة !

فإن قالوا: إننا نثبت القوة على وجه يليق بذاته تعالى لا على وجه المماثلة للمخلوقين. قيل لهم: وكذلك اليد ولا فرق !

- أن القـــول في بعض الصفات كالقول في بعض، فمن أثبت لله شيئًا مما أثبته الله لنفسه من الصفات لزمه إثبات الباقي، أو الوقوع في التناقض لا محالة !

فمـــن أثبت حقيقة الإرادة ونفى حقيقة المحبة، قيل له: لا فرق بين ما أثبته من حقيقة الإرادة وما نفيته من حقيقة المحبة، فإن كان إثبات حقيقة المحبة يستلزم التمثـــيل فكذلك إثبات حقيقة الإرادة، وإن كان إثبات حقيقة الإرادة لا يستلزم التمثـــيل فكذلـــك إثبات حقيقة المحبة، فلزمك إثبات الجميع أو نفي الجميع أو التناقض !

فإن قال: أثبت إرادة تليق بجلال الله لا على وجه المماثلة للمخلوقين، قيل له: وكذلك في المحبة.

- أن القـــول في الذات كالقول في الصفات، فكما أثبتنا لله ذاتًا لا تماثل ذوات المخلوقين لزم أن نثبت له صفات لا تماثل صفات المخلوقين، وهذا يتضمن الرد على الزائغين جميعًا سواء كانوا من المعطلة أو من الممثلة.

رابعاً الفرق بين أسماء الله وصفاته

أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به تعالى مثل العلـــيم الحكيم السميع البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر، أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة

بالذات كالعلم والحكمة والسمع والبصر، فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد، ولهذا يقال: الاسم متضمن للصفة والصفة مستلزمة للاسم في الأعم الأغلب، ويجب الإيمان بكل ما ثبت منهما عن الله تعالى أو عن النبي ﷺ على الوجه اللائق به سبحانه مع الإيمان بأنه تعالى لا يشبه أحدًا من خلقه في شيء من صفاته كما أنه سبحانه لا يشبههم في ذاته، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

خلاصة الوحدة السابعة

- دعاء الله بأسمائه يتضمن دعاء المسألة ودعاء العبادة:

أما دعاء المسألة: فهو أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله ما يناسب المقام، وأما دعاء العبادة: فهو التعبد إلى الله بمقتضى هذه الأسماء.

- هلك في قضية الأسماء والصفات فريقان من الناس:

- المشبهة الذين غلوا في إثبات صفات الله عز وجل.

- والمعطلة الذين غلوا في النفي والتنـــزيه.

- وأما أهل السنة والجماعة فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسله، ونفوا عنه عز وجل ما نفاه عن نفسه وما نفته عنه رسله، بلا تمثيل ولا تعطيل.

- الناس في تناولهم لهذه القضية في واقعنا المعاصر طرفان وواسطة:

- فمنهم من غلا فيها غلواً منكراً، فأحيا الخلافات المندثرة حولها.

- ومنهم من فرط فيها تفريطاً منكراً، فهمش من قيمتها ونهى عن الاشتغال بها.

- وأما أهل القصد والاعتدال فألزموا العامة فيها بالجمل الثابتة، وأحالوا إلى أهل العلم ما وراء ذلك من الجزئيات والتفاصيل.

من الثوابت والمحكمات في توحيد الأسماء والصفات ما يلي:

١- الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى:

- فكل أسمائه تعالى قد أوفت على الغاية في الحسن.

٢- أسماؤه تعالى توفيقية وغير محصورة بعدد معين:

والمراد بإحصاء أسمائه تعالى في قوله ﷺ: (**من أحصاها دخل الجنة**)؛ دعاء الله بها كلها والثناء عليه بها جميعاً.

وقال آخرون: إن المراد بذلك: الاعتبار بمعانيها والعمل بموجبها.

٣- أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف: فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه المعاني.

٤- الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عما يجب فيها، وهو أنواع، منها:

- التعطيل. - التشبيه.

- تسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه.

- اشتقاق أسماء للأنداد من أسماء الله تعالى.

٥- صفاته تعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه:

وعلى هذا فإذا كانت الصفة كمالاً في حال ونقصاً في حال فإنها تجوز على الله في الحالة التي تكون فيها كمالاً، وتمتنع في الحالة التي تكون فيها نقصاً.

٦- باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

لأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها.

٧- الجمع بين النفي والإثبات هو حقيقة التوحيد في باب الأسماء والصفات.

٨- صفات الله تعالى قسمان:

- ثبوتية: والغالب فيها التفصيل.

- منفية: والغالب فيها الإجمال.

٩- عقـــيدة أهل السنة في باب الأسماء والصفات: إثبات بلا تمثيل، وتنـــزيه بلا تعطيل: ولهذه القاعدة دليلان:

- الدليل النقلي: مثل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾.

- الدليل العقلي: وجوب الوقوف في القول في الأسماء والصفات على ما جاء به الشـــرع؛ لأن القـــول فـــيها من باب الخبر المحض الذي لا يمكن للعقل إدراك تفاصيله.

١٠- لا يستلزم الاشتراك في الأسماء والصفات تماثل المسميات والموصوفات.

١١- الأصل هو إجراء نصوص الصفات على ظاهرها بغير تحريف.

١٢- الزائغون عن الحق في باب الأسماء والصفات فريقان: الممثلة والمعطلة.

١٣- الفـــرق بين أسماء الله وصفاته: أن أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صـــفات الكمـــال القائمـــة به تعالى، أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات.

الاختبار البعدي للوحدة السابعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

عزيـــزي الدارس: ضع علامة (√) أمام الإجابة الصحيحة، وعلامة (X) أمام الإجابة الخطأ في كل مما يلي:

١- لا تتســـى معـــرفة الله في باب الصفات إلا بالوقوف على الجمل الثابتة التي تصون الاعتقاد.

٢- القـــول في الأسمـــاء والصفات من باب الخبر المحض الذي يمكن للعقل إدراك تفاصيله.

٣- دعاء العبادة هو تقديم العبد بين يدي حاجته من الله ما يناسب المقام من أسماء الله وصفاته.

٤- دعاء العبادة هو التعبد إلى الله بمقتضى أسمائه وصفاته.

٥- التـــناول الصـــحيح لقضـــية الأسمـــاء والصفات يكون بتحقيق الخلافات والتفصيلات وتعليمها لجميع المسلمين.

٦- الأسماء والصفات من قضايا الفتنة التي نهى الشارع عن الدخول فيها لكثرة ما فيها من جدل.

٧- أسماء الله تعالى تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة.

٨- معـــنى كون أسماء الله تعالى توقيفية أن العقل يقف في إدراكها على ما أودع الله فيه من قدرات وطاقات.

٩- إحصاء أسماء الله تعالى يعني حصرها كلها وحفظها عن ظهر قلب.

١٠- اشتقاق أسماء للأنداد من أسماء الله يعد من الإلحاد في أسمائه تعالى .

١١- كـــل ما وصف الله تعالى به نفسه فهو كمال مطلق لا يرد عليه النقص بحال من الأحوال لا احتمالاً ولا تقديراً.

١٢- الصفة التي تكون كمالاً في حال ونقصاً في حال آخر يجوز أن يصف الله بها نفسه في الحال التي تكون فيها كمالاً.

١٣- الاقتصار على الإثبات في باب الأسماء والصفات هو حقيقة التوحيد فيه، أما الاقتصار على النفي فهو تعطيل محض.

١٤- باب الأسماء أوسع من باب الصفات.

١٥- الأصل في باب صفات الله تفويض معناها إلى الله عز وجل.

١٦- الأصل في باب صفات الله عز وجل أن معناها معلوم وكيفيتها مجهولة.

١٧- الصفات الثبوتية التي أخبر الله تعالى بها عن نفسه أكثر من الصفات المنفية التي نفاها الله تعالى عن نفسه.

١٨- ظواهر بعض نصوص الصفات غير مرادة ولذلك ساغ التأويل.

١٩- الأصل هو تأويل ما يحتاج إلى تأويل من نصوص الصفات تحقيقاً للتنـــزيه.

٢٠- الأصل هو إجراء جميع نصوص الصفات على ظواهرها بغير تأويل.

٢١- ظاهر النصوص هو ما يتبادر إلى الذهن من معانيها بحسب ما تضاف إليه وما يحيط بها من القرائن.

٢٢- صفات البشر منها ما هو معانٍ وأعراض كالوجه واليدين، ومنه ما هو أعيان وأجسام كالعلم والإرادة.

٢٣- يصح اشتقاق أسماء الله تعالى من صفاته.

٢٤- الاشتراك في الأسماء والصفات يستلزم التماثل في المسميات والموصوفات.

٢٥- لا ينبغي إغلاق باب التأويل بالكلية لأن إثبات بعض الصفات قد يوهم التشبيه.

٢٦- المشبهة غلوا في باب النفي والتنزيه.

٢٧- المشبهة غلوا في باب إثبات صفات الله حتى هووا إلى دركة التحريف والتعطيل.

٢٨- التكييف هو أن يعتقد المثبت أن صفات الله على نحو كذا وكذا.

٢٩- المعطلة غلوا في باب النفي والتنزيه حتى هووا إلى دركة التحريف والتعطيل.

٣٠- شبهة المعطلة في مذهبهم هي قياس الغائب على الشاهد.

٣١- المعطلة أثبتوا بعض الصفات لدلالة العقل عليها ونفوا بعضها الآخر حتى لا يقعوا في التشبيه.

٣٢- المؤولة وقعوا في التشبيه من حيث أرادوا التنزيه.

٣٣- صفات الله متضمنة لأسمائه وأسماؤه مستلزمة لصفاته.

٣٤- يصح إطلاق اسم (الماسك) على الله تعالى وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾.

٣٥- لا يكتفى بالنفي وحده أو الإثبات وحده لتحقيق التوحيد في باب الأسماء والصفات.

٣٦- صفات الله تعالى قسمان: ثبوتية والغالب فيها الإجمال، ومنفية والغالب فيها التفصيل.

ثانياً: أسئلة المقال:

س١: أكمل:

أ -- دعاء الله بأسمائه الحسنى يتضمن ..... و..... .

أما ..... فهو أن تقدم بين يدي مطلوبك ..... .

أما ..... فهو التعبد إلى الله بـــ..... .

ب – هلك في قضية الأسماء والصفات فريقان من الناس:

الأول: ..... الذين غلوا في ..... .

والثاني: ..... الذين غلوا في ..... .

أما أهل السنة والجماعة فأثبتوا لله ..... .

ونفوا عنه ..... .

إثباتًا بلا ..... وتنزيها بلا .....

س٢: كيف ينبغي أن نتعامل مع قضية الأسماء والصفات في واقعنا المعاصر؟ مع توضيح المواقف المغلوطة التي يتخذها البعض من هذه القضية.

س٣: عـــدد - بـــدون شرح - الثوابت والمحكمات المذكورة في توحيد الأسماء والصفات؟

س٤: ما المراد بإحصاء أسماء الله؟

س٥: كيف تكون أسماء الله تعالى أعلامًا وأوصافًا في آنٍ واحد ؟

س٦: ما هي أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى ؟

س٧: هل يجوز إطلاق صفتي المكر والخداع على الله تعالى ؟ ومتى ؟

س٨: علام تستدل بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ؟

س٩: وضح الأدلة على أنه لا تلازم بين الاشتراك في الأسماء والصفات وبين تماثل المسميات والموصوفات .

س١٠: وضح الفرق بين أسماء الله وصفاته.

س١١: اختر الإجابة الصحيحة:

أ - الأصل هو تأويل النصوص بما يليق بكمال الله.

ب - الأصل هو إجراء النصوص على ظاهرها بما يليق بكمال الله.

ج - الأصل هو إجراء النصوص على ظاهرها حتى لو اقتضت تشبيه الله بمخلوقاته.

د - الأصل هو تأويل النصوص حتى لو اقتضت تعطيل صفات الله عز وجل.

النشاط التعليمي للوحدة السابعة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة عليك أن تقوم بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

بعد انتهائك من دراسة هذه الوحدة، اكتب بحثاً حول موضوع توحيد الأسماء والصفات، وذلك بالاستعانة ببعض المراجع المرتبطة بالموضوع؛مثل: (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بين محمد بن عبد الوهاب، و عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري).

خـــاتمة

أيها الدارسون الأعزاء : إننا نختم هذه الدراسة بالتأكيد على أهمية تصحيح المفاهـــيم، وإزالة ما عسى أن يكون قد لحق بحقائق الإسلام من الغبشن كمقدمة ضرورية لحشد كتائب الحق وتجييشها في معركة الإسلام المقبلة!

إن الـــباطل يحشد أجناده، ويؤجل خلافاته الداخلية إلى حين، ويستنفر كل شيعه وأحزابه لضرب الإسلام والتهييج على دعاته وحملة شريعته، في تواطؤ غير مسبوق في تاريخنا المعاصر.

وإن ترتيب الأوراق داخل الصف الإسلامي وجمع رجالاته حول محكمات الإسلام وثوابته عقيدة وشريعة — بعد بلورتها وإزالة ما علق بها من الغبار والأتربة — لهـــو أولى الخطـــوات الجادة على طريق المواجهة المحتومة ! فلن يثبت في هذه المواجهة إلا من كان على بصيرة من أمره فاستيقن بما هو عليه من الحق وبما عليه خصـــومه مـــن الـــباطل، فلا تتقلقل في قلبه الحقائق، ولا ترتجف فوق شفاهه الكلمات، ولا تضطرب في يديه أسلحة المواجهة !

وأمري وما أمري على بغمة كأسطع شمس لا أراها تماريا

ولا يفوتـــنا أن نذكـــر أن هـــذا لا يعـــني بالضرورة إرهاق الساحة بتفصـــيلات وجزئيات لا تتهيأ لاستيعابها العامة وأشباه العامة، وإنما المقصود هو بلورة الجمل الثابتة والقواعد الكلية في الدين، التي تمثل الشرع المحكم الذي تنتصر له سيوف المسلمين لتكون إطاراً مرجعيًا للصحوة الإسلامية المعاصرة.

فاللهم قيض لهذه الأمة من يردها إلى دينك ردًا جميلاً، وأبرم لها أمر رشد يعـــز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، ويحكم فيه بكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ إنك ولي ذلك والقادر عليه. اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
رسالة إلى الدارس	٣
لوحة المسار لدراسة الكتاب	٤
مكونات الكتاب	٥
الوحدة الأولى: الإيمان بالله	٧ – ٢٦
أهمية دراسة الوحدة	٨
الأهداف التعليمية للوحدة	٩
الرسم الخطي للوحدة	١٠
أولاً : الإيمان بالله هو الفطرة	١١
ثانيًا : الإلحاد شذوذ طارئ	١٣
ثالثًا : شرف علم الإيمان	١٣
رابعًا : الطريق إلى الإيمان	١٤
خامسًا : ثمرات الإيمان	١٨
الخلاصة	٢١
الاختبار البعدي	٢٢
النشاط التعليمي	٢٦

الوحدة الثانية: وجود الله عز وجل	**٢٧ – ٧٥**
أهمية دراسة الوحدة	٢٨
الأهداف التعليمية للوحدة	٢٩
الرسم الخطي للوحدة	٣٠
أولاً : هل يوصف الله بالوجود؟	٣١
ثانيًا : بعض الأدلة على ربوبية الله	٣٣
دلالة الفطرة	٣٣
دلالة الآيات الكونية	٣٧
دليل الخلق	٣٨
الإعجاز في خلق الخلية	٤١
دليل التسوية	٤٢
دليل التقدير	٤٧
دليل الهداية	٤٩
دلالة الحس	٥٢
دلالة إجماع الأمم	٥٥
دلالة العقل	٥٥
الأساس الأول: العدم لا يخلق شيئًا	٥٦
الأساس الثاني: الفعل مرآة لقدرة فاعله وبعض صفاته	٥٧
الأساس الثالث: فاقد الشيء لا يعطيه	٥٩

ثالثًا : شبهات الملاحدة واللادينيين ٦١
بطلان القول بالصدفة ٦١
بطلان القول بخالقية الطبيعة ٦٤
الخلاصة ٦٨
الاختبار البعدي ٧٠
النشاط التعليمي ٧٥

الوحدة الثالثة: توحيد الربوبية ٧٧ – ٩٤
أهمية دراسة الوحدة ٧٨
الأهداف التعليمية للوحدة ٧٩
الرسم الخطي للوحدة ٨٠
أولاً : توحيد الربوبية ٨١
ثانيًا : لا يكفي الإقرار بالربوبية للبراءة من الشرك ٨٢
ثالثًا : وقوع الشرك في بعض الربوبية ٨٣
رابعًا : الإيمان بالربوبية هو المدخل إلى توحيد الألوهية ٨٥
الخلاصة ٨٩
الاختبار البعدي ٩٠
النشاط التعليمي ٩٤

الوحدة الرابعة: توحيد الألوهية ٩٥ – ١١٧

أهمية دراسة الوحدة ٩٦

الأهداف التعليمية للوحدة ٩٧

الرسم الخطي للوحدة ٩٨

أولاً : توحيد الألوهية وتعريف العبادة ٩٩

توحيد الألوهية ٩٩

تعريف العبادة ٩٩

ثانيًا : من المفاهيم المغلوطة في باب العبادة ١٠٠

ثالثًا : أنواع العبودية ١٠١

رابعًا : أهمية توحيد الألوهية ومنـــزلته من الدين ١٠٢

خامسًا : الطريق إلى إثبات توحيد الألوهية ١٠٦

سادسًا : أركان توحيد الألوهية ١٠٨

الخلاصة ١٠٩

الاختبار البعدي ١١١

النشاط التعليمي ١١٧

الوحدة الخامسة: توحيد القصد والتأله ١١٩ – ١٧٩

أهمية دراسة الوحدة ١٢٠

الأهداف التعليمية للوحدة ١٢١

الرسم الخطي للوحدة ١٢٢

أولاً : معنى توحيد القصد والتأله	١٢٣
ثانيًا : الدعاء والاستغاثة والاستعاذة	١٢٥
الدعاء	١٢٥
الاستغاثة	١٢٧
مراتب الأدعية البدعية	١٣٠
التوسل المشروع	١٣٣
الاستعاذة	١٣٥
ثالثًا : الخوف والمحبة	١٣٦
الخوف	١٣٦
أقسام الخوف	١٣٧
خوف السر أو الخشية بالغيب	١٣٨
ترك بعض الواجبات خوفًا من الناس	١٣٨
الخوف الطبيعي	١٣٨
المحبة	١٣٩
العبادة	١٣٩
المحبة في الله	١٣٩
المحبة مع الله	١٤٠
ما كان من جنس المحبة الطبيعية	١٤١
رابعًا : النذر والذبح	١٤١
النذر	١٤١

الذبح	١٤٥
صور الذبح	١٤٦
خامسًا : السحر والتنجيم والرقى والتمائم	١٤٧
السحر	١٤٧
حكم السحر	١٤٨
حكم الساحر	١٤٩
من أنواع السحر	١٥٠
النُّشْرة	١٥١
التنجيم	١٥٤
الرقى والتمائم	١٥٨
رقية مشروعة	١٥٩
التمائم	١٦٠
هل يجوز تعليق التمائم إذا كانت من القرآن أو أسماء الله وصفاته؟	١٦٢
سادسًا : الحلف بغير الله	١٦٣
هل يجوز الحلف بالنبي؟	١٦٥
هل يجوز الحلف بالمصحف؟	١٦٥
الخلاصة	١٦٦
الاختبار البعدي	١٧١
النشاط التعليمي	١٧٩

الوحدة السادسة: توحيد الطاعة والانقياد ١٨١ – ٢٤١

أهمية دراسة الوحدة ١٨٢

الأهداف التعليمية للوحدة ١٨٣

الرسم الخطي للوحدة ١٨٤

أولاً : معنى توحيد الطاعة والانقياد ١٨٥

محل النـــزاع ١٨٦

ثانـــيًا : الفرق بين الانحراف العارض عن الحكم بما أنزل الله ١٨٧

وبين العلمانية ١٨٩

ثالثًا : مفهوم العلمانية والتلبيس الواقع في هذا المصطلح

مفهوم العلمانية ١٨٩

جناية المصطلحات ١٩٠

رابعًا : العلمانية ناقضة لأصل الدين ١٩١

العلمانية شرك في الربوبية ١٩١

العلمانية شرك في الألوهية ١٩٥

العلمانية ثورة على النبوة ١٩٧

العلمانية نقض لعقد الإيمان المجمل ٢٠٠

العلمانية استحلال للحكم بغير ما أنزل الله ٢٠٢

خامسًا : خلاصة القول في شبهة التسوية بين العلمانية وبين ٢٠٩

انحرافات التطبيق الجزئية

سادسًا : شبهة وجوابها	٢١٤
سابعًا : من فتاوى أئمة المسلمين في علمانية التشريع	٢١٨
ابن كثير	٢١٨
الإمام أبو بكر الجصاص	٢١٩
النسفي	٢١٩
ابن تيمية	٢١٩
محمد بن إبراهيم آل شيخ	٢٢٠
عبد العزيز بن باز	٢٢٠
محمد الأمين الشنقيطي	٢٢٢
محمد حامد الفقي	٢٢٣
أحمد شاكر	٢٢٣
مصطفى صبري (شيخ الإسلام في الدولة العثمانية)	٢٢٣
محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر سابقًا)	٢٢٤
الكوثري	٢٢٤
يوسف القرضاوي	٢٢٥
ثامنًا : شبهات وجوابها	٢٢٥
الشبهة الأولى	٢٢٥
المسألة الأولى	٢٢٦
المسألة الثانية	٢٢٧
الشبهة الثانية	٢٢٨

الخلاصة ٢٣٠
الاختبار البعدي ٢٣٢
النشاط التعليمي ٢٤١

الوحدة السابعة: توحيد الأسماء والصفات ٢٤٣ - ٢٧٣

أهمية دراسة الوحدة ٢٤٤
الأهداف التعليمية للوحدة ٢٤٥
الرسم الخطي للوحدة ٢٤٦
أولاً : توحيد الأسماء والصفات ٢٤٧
تمهيد ٢٤٧
ثانيًا : ثوابت ومحكمات في توحيد الأسماء والصفات ٢٥٠
الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ٢٥٠
أسماؤه تعالى توقيفية وغير محصورة بعدد معين ٢٥٠
ما المراد بإحصاء أسماء الله؟ ٢٥١
أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف ٢٥٢
الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عما يجب فيها ٢٥٣
صفاته تعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه ٢٥٣
باب الصفات أوسع من باب الأسماء ٢٥٤
الجمع بين النفي والإثبات هو حقيقة التوحيد في باب ٢٥٥

الأسماء والصفات	
صفات الله تعالى	٢٥٥
الصفات الثبوتية	٢٥٥
الصفات المنفية	٢٥٦
إثبات بلا تمثيل، وتنـــزيه بلا تعطيل	٢٥٦
لا يستلزم الاشتراك في الأسماء والصفات تماثل المسميات والموصوفات	٢٥٧
الأصـــل هو إجراء نصوص الصفات على ظاهرها بغير تحريف	٢٥٨
ثالثًا : الزائغون عن الحق في باب الأسماء والصفات	٢٦٠
الممثلة والمعطلة	٢٦٠
رابعًا : الفرق بين أسماء الله وصفاته	٢٦٣
الخلاصة	٢٦٥
الاختبار البعدي	٢٦٨
النشاط التعليمي	٢٧٣
الخاتمة	٢٧٤
الفهرس	٢٧٥